جامعة الجزائر(2)
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

العلاقات الخارجية لإمارة أنطاكية الصليبية

(1098م-1268م)/491هـ-666هـ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصر الوسيط
تخصص أوربا في العصور الوسطى

إعداد الطالب
مبروك بن مسعود

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد العزيز بوكنة

الموسم الجامعي:2012م-2013م/1433هـ-1434هـ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أَفَمَنْ أَسّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ)

[التوبة:109]

الإهداء

إلى شهداء الأمة الإسلامية عامة وشهداء الجزائر خاصة ، إلى كل من يحب رفع راية الحق خفاقة في أرض الإسراء والمعراج فلسطين الجريحة، إلى من قال الله سبحانه وتعالى في حقهما(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا) الوالدين الكريمين، إلى ولديّ العزيزين خيرة شهرزاد وعماد الدين محمود، إلى كل أفراد الأسرة وأخص بالذكر الأخ الأكبر إبراهيم.

إلى الأستاذ الدكتور الموقر عبد العزيز بوكنة، الذي كان خير أستاذ لي في مرحلة التدرج وشاء الله أن يكون مشرفا على إعداد مذكرتي في الماجستير، وكذلك الدكتور رشيد تومي الذي كان لنا خير عون، ولم يبخل علينا بنصائحه. فجزاهما الله عنا كل خير، إلى رفقاء الدرب لخضر بن نيلي، الأغويني برق، خلف الله وجدي. أهدي هذا العمل المتواضع.

مبروك بن مسعود

جامعة الجزائر (2)

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

العلاقات الخارجية لإمارة أنطاكية الصليبية

(1098م-1268م)/(491هـ-666هـ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصر الوسيط

تخصص أوربا في العصور الوسطى

أعضاء لجنة المناقشة

- د. / أحمد شريفي..رئيس اللجنة
- أ.د./ عبد العزيز بوكنة......................................مقررا
- د. / تومي رشيد ....عضوا

إعداد الطالب

مبروك بن مسعود

إشراف أ.د.

عبد العزيز بوكنة

الموسم الجامعي:(2012م-2013م)/(1433هـ-1434هـ)

المختصرات

باللغة العربية:

ت: ترجمة.

ج: جزء.

ح: حولية.

د.ط: دون تاريخ طبعة.

ط: طبعة.

مج: مجلد.

ع: عدد.

ق: قسم.

باللغة الأجنبية:

C.M.H.F: Collection des Mémoires Relatifs A L' Histoire de France.

Ed: Edition

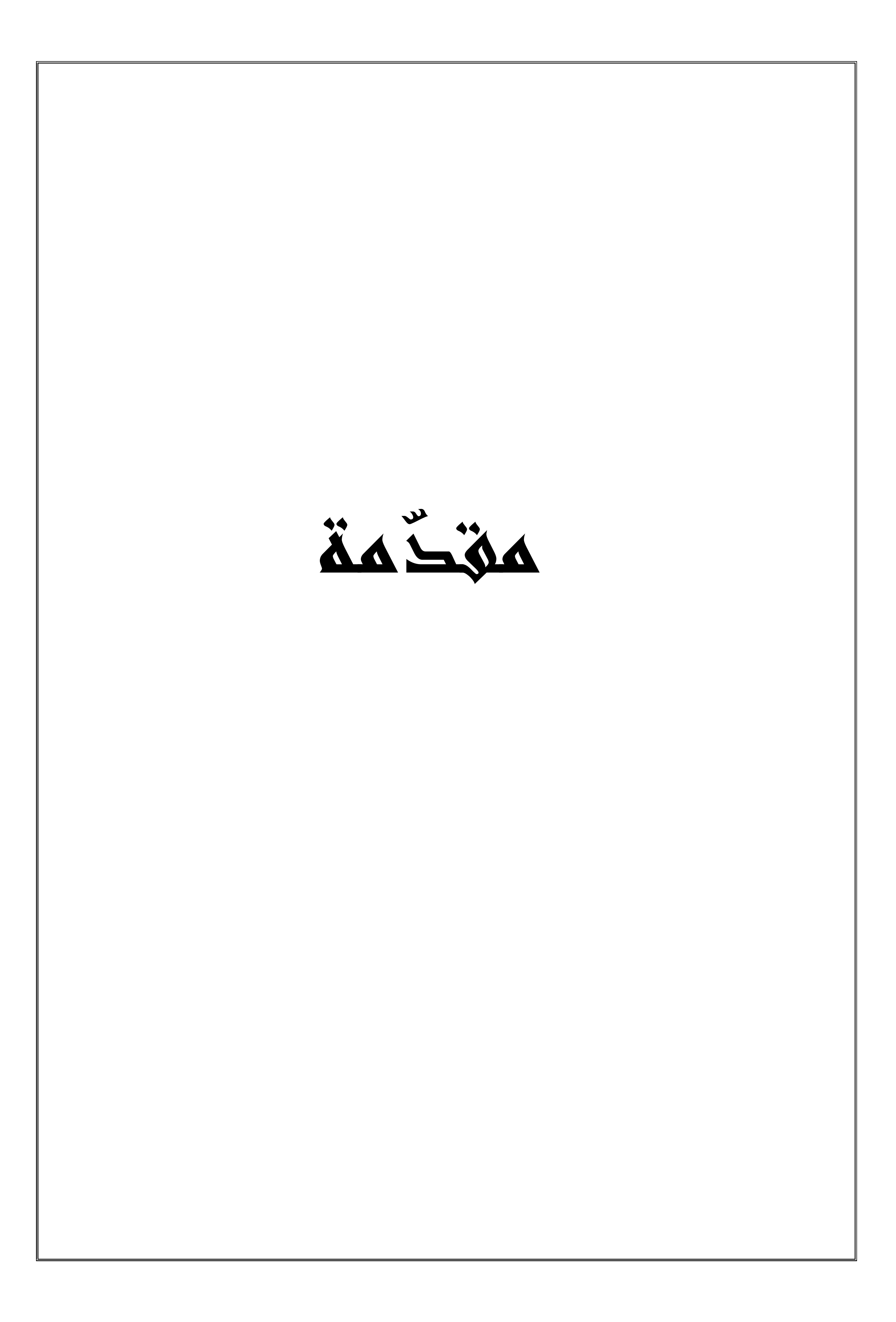
Imp. : Imprimerie

T: Tome

VOL: Volume.

U.K: United Kingdom

U.S.A: United States of America



مقدّمة

I–أهمية الموضوع وإشكاليته:

تعتبر الحروب الصليبية حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب، إذ أن أوربا زحفت نحو بلاد الشام، مريدة بذلك استرجاع المقدسات الدينية المسيحية، دون أن يخفى أن هناك دوافع أخرى وراء ذلك الزحف.
ولكن تخفّى بعض قادة تلك الحملة بغطاء الوازع الديني، كونه الذي حرك تلك الجموع الغفيرة من مختلف أنحاء أوربا، في حين أن البابوية هي التي تزعمت تلك الحملة، وبدعوة من البابا أوربان الثاني Urban II(ت.1099م)، الذي تحمل المسؤولية في إثارة الحماس الديني في نفوس أبناء الغرب اللاتيني، ليحقق للكنيسة والبابوية أهدافها، والتي بإمكانها أن تبسط سيطرتها ونفوذها على العالم المسيحي بشقيه الشرقي والغربي.
في ظل ظروف غلب عليها التدين في الغرب المسيحي، خلال القرن العاشر الميلادي(الرابع الهجري)، والذي ربما كان تأثيره في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي(الخامس الهجري)، نتيجة دعوة البابوية لذلك ولهذا كان هذا الزحف المهول باتجاه المشرق. فهل فعلا ذلك يبرر لمختلف الفئات المتجهة نحو الأراضي المقدسة حجتها، باسترجاع تلك الأماكن أم أنها كانت ذريعة غير مبررة؟ أي أن هناك أهدافا أخرى تتستر بالوازع الديني ؟ ومما لاشك فيه أن تلك الحركة لم تكن لتبررها أي إجابة تخص المقدسات الدينية، وهذا لا يدفعنا إلى نفي وجود الحماس الديني. فهناك من كانت نياتهم الوصول إلى الأراضي المقدسة وتخليصها من أيدي المسلمين.
فمنذ أن حطت الرحال جحافل القادة والفرسان بأرض القسطنطينية، واندفاعها نحو بلاد الشام وتنافس أمرائها وقادتها حول بعض المدن هناك، لم يكن سوى تحقيقا لأطماع حان وقت تنفيذها. فبعد أن نجحت الحملة في نيقية ثم في دوروليوم، وانقسام الحملة على نفسها بأن قام بعض الأمراء بشق طريقهم في اتجاهات غير الأراضي المقدسة، فمسير بولدوين Baldwin إلى منطقة أعالي الفرات والاستيلاء على الرها، لم يكن ذلك إلا هدفا من بين الأهداف التي يسعى إليها القادة والأمراء، في حين توجه باقي القادة إلى منطقة أنطاكية ومحاصرة المدينة، التي استغرق حصارها ثمانية أشهر، ومعاناة هذا الجيش من المأساة ونقص المؤونة وتحمل ذلك والاستيلاء عليها أخيرا بالمؤامرة أصبحت هي الأخرى مُلكا لهم. ألا يمكن الآن أن يكون الأجل قد حان باتجاه بيت المقدس، أم أن الرحلة قد انتهت، أم هناك أمور أخرى تخص القادة في هذا المكان؟، فمنذ أن تم الاستيلاء على أنطاكية، ظهر العداء جليا بين قادتها خاصة بوهمند قائد النورمان من جنوب ايطاليا، وريموند الرابع قائد البروفنساليين من جنوب فرنسا. وعلى ما يبدو أن أهداف القائدين قد تصادمت بعد الحصول على المدينة، إذ أن كلٌ منهما أراد الاستئثار بها لنفسه، ولكن ذلك ينقض اتفاقية القسطنطينية(1097م) بينهم وبين الإمبراطور الكسيوس كومنين، والتي تقضي باسترجاع الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها وبحكم التاريخ أنها مدن بيزنطية، ومنها أنطاكية التي كانت محط نظر القائدين.

كل تلك الأحداث كانت في ظل انقسام البيت الإسلامي على نفسه في بلاد الشام، ففي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي (منتصف القرن الخامس الهجري)، عرفت هذه المنطقة تدفق عناصر جديدة، والمتمثلة في العنصر السلجوقي الذي أحدث تغييرا في الخريطة السياسية ببلاد الشام، إضافة إلى وجود الإمارات العربية وتداخلها، مما انعكس سلبا عليها وأصبح المسلمون في فرقة وتشرذم. ولولا ذلك لما استطاع الصليبيون الانتصار، ولما استطاعوا تكوين إمارات صليبية، والتي استطاعت أن تمكن نفسها وترتبط ببعضها طيلة عقود.

وما يهم في هذا هو إمارة أنطاكية الصليبية، التي أقامها النورمان في الشمال الغربي من بلاد الشام، ولا شك أن هناك دوافع شجعتني على اختيار هذا الموضوع، من بينها ندرة الدراسات العلمية المغاربية المتخصصة التي تعرضت لهذا النوع من المواضيع، وهذا مما جعلها عديمة في مختلف المكتبات، وكذا تعدد علاقات الإمارة مع مختلف القوى السياسية الفاعلة وانعكاس ذلك وتأثيره في بقائها واستمرارها، واندماجها في البيئة الشرقية إلى حين أجلها.

وعليه اخترت هذا الموضوع تحت عنوان: "**العلاقات الخارجية لإمارة أنطاكية الصليبية(1098-1268م)/(491-666هـ)**"، ولهذا وضعت خطة تقوم على الشكل التالي: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

ولقد كان عنوان الفصل الأول:"**تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية**"، تعرضت فيه لعرض وجيز عن الحالة السياسية لبلاد الشام قبل الحملة الصليبية الأولى(1095-1099م)، حيث كان هناك تشرذم سياسي، وانقسام طائفي وعرقي في بلاد الشام، وانعكاس ذلك سلبا على المنطقة، إذ تمكن الصليبيون من تأسيس إماراتهم خاصة أنطاكية. هذه المدينة التي تعرضت لحصار طويل المدى وأخيرا سقطت في أيدي الصليبيين، وبهذا تمكن بوهمند من تأسيس إمارته بها وكسب شرعيتها بزيارته إلى بيت المقدس، وأخذه التقليد من البطريرك دايمبرت البيزاوي، وبهذا أصبح للصليبيين إمارة ثانية بأرض الشام.

وأما الفصل الثاني فقد أوضحت فيه علاقة هذه الإمارة بالأطراف المسيحية، وكان عنوانه:"**علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقُوى المسيحية والمغولية**"، وكان توزيعه كالآتي: 1- **علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى المسيحية والمغولية في المشرق،** حيث بينت كيف كانت علاقات هذه الأمارة، بالقوى السياسية المسيحية والمغولية في المشرق وأثرها الايجابي والسلبي. 2- **علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقُوى المسيحية في الغرب اللاتيني،** أوضحت فيه علاقة إمارة أنطاكية بالغرب اللاتيني، أي علاقتها بالملوك والأمراء والأباطرة والبابوية وبالمدن الإيطالية، وكل تلك العلاقات كان لها تأثيرها على بقاء الإمارة في حيز الوجود، في ظل التقلبات التي حدثت.

وفي ما يخص الفصل الثالث فقد وضعت له عنوانا هو:"**علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقُوى الإسلامية في المشرق**"، حاولت فيه إبراز علاقات هذه الإمارة بأهم القوى السياسية المتاخمة لحدودها، ومدى تأثير هذه

العلاقات على وجود الإمارة، من حيث الاستمرار والبقاء كدويلة في الشمال هذا من جهة، كما أن هناك رد فعل تجاهها مما أدى بها إلى إتباع سياسة مكنتها من توطين نفسها بالمنطقة، واندماجها في المحيط الإسلامي.

وفي خاتمة هذا البحث خلصت إلى بعض النتائج، ونذكر أهمها أن هذه الإمارة تأسست في ظروف كانت بلاد الشام منقسمة على نفسها، كما أن الدولة البيزنطية، لم تكن في المستوى المطلوب، إذ أن إمبراطورها لم يبادر باتخاذ خطوة جريئة، لتقويض أركان الإمارة منذ مهدها الأول. ولولا ذلك لما استطاع الصليبيون إطلاقا تأسيس إماراتهم ومواصلة تمكين وجودهم بالمنطقة.

فبالاستيلاء على أنطاكية، أصبح المجال مفتوحا أمام القوات الصليبية باتجاه بيت المقدس، إذ أنها تعتبر مفتاح سوريا إلى الجنوب دون خطر يعترضها، بل والأدهى من ذلك أن بعض الإمارات العربية هادنت قادة الفرنج وساعدتهم إلى حد ما في مواصلة المسير باتجاه الهدف المنشود. إضافة إلى أنه بعد تأسيس إمارة أنطاكية كانت سياسة أمرائها ناجحة في تثبيت أركانها كإقامة علاقات وتحالفات مع الأطراف الفاعلة، في ظل تلك الظروف، مما كان له الأثر الايجابي على استمرار وجودها في شمال بلاد الشام.

وعند ظهور رد الفعل الاسلامي كان بإمكان القادة المسلمين، أمثال ايلغازي ونور الدين محمود إنهاء وجودها، لكن ذلك لم يتم فالأول بعد انتصاره في معركة ساحة الدم ومقتل الامير روجر، لم يُكمل مسيره باتجاه عاصمة الإمارة إلة أن وصل إليها المدد من مملكة بيت المقدس، في حين لم يبادر نور الدين محمود بدخولها أثناء انتصاره في موقعة حارم وأسره لأميرها بوهمند الثالث مع قادة الفرنج، وهذا لعدة اعتبارات كونه كان يقدر قوة بيزنطة، التي تقف إلى جانب أنطاكية. وإستراتيجية منه في بقائها كدويلة حاجزة بينه وبين الإمبراطورية، وذلك أعطى لها فرصة البقاء والاستمرار كقوة صليبية في شماله.

II–عرض لأهم المصادر والمراجع:

لإنجاز هذا البحث اعتمدت على مجموعة من المصادر، وبعض المراجع المتخصصة، والتي قدمت لي الكثير من الحقائق. وهي كالآتي:

- **أ– المصادر الأجنبية.**
- **ب–المصادر العربية.**
- **ج– المراجع الأجنبية.**
- **د– المراجع العربية والمعربة.**

أ–المصادر الأجنبية:

إن المصادر التي عايشت تلك الأحداث أو كانت قريبة منها، قد لعبت دون شك دورا أساسياً في إبراز كثير من الحقائق، حول زحف تلك الجحافل من الجيوش وانتصاراتها وصولا إلى أنطاكية، وكيفية حصارها ومعاناة

هذا الجيوش أثناء ذلك، وانتصاراتها في هذه الفترة الحاسمة. وتأسيس أنطاكية كإمارة صليبية في شمال الشام وإبراز علاقاتها مع الصليبيين وجيرانها المسلمين وغيرهم من بيزنطيين وأرمن، بل حتى مع الغرب اللاتيني.

ويأتي في مقدمة هذه المصادر، مؤرخ مجهول صاحب كتاب أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس Gesta Francorum et Aliorum Hierrosolymitanorum، اصطحب هذا المورخ مجموعة نورمان جنوب ايطاليا، التي شاركت في الحملة الصليبية الأولى، حيث غطّى أحداثاً هامة أثناء سير هذه الحملة(1095م-1099م)، حيث واكب وصولها إلى القسطنطينية وما دار فيها من أحداث. بعد ذلك واصلت واصلت الجيوش الصليبية باتجاه الشام وحصارها لأنطاكية، وما حدث في فترة الحصار التي استغرقت ثمانية أشهر(أكتوبر1097م-جوان1098م)، واخيرا انتزاعها من المسلمين بالمؤامرة التي حاكها بوهمند.

واصل هذا المؤرخ مسيره مع الحملة إلى بيت المقدس، حيث بيّن كيفية استيلاء الصليبيين عليها وما جرى فيها من تنكيل بالمسلمين. ولقد قام بترجمة هذا العمل الدكتور حسن حبشي، نشر دار الفكر لسنة 1958.

ويليه المؤرخ بطرس توديبود صاحب كتاب تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس Historia de Hierosolymitano Itinere، حيث يكتسي هذا المصدر أهمية كبيرة، إذ أنه يبين الأحداث خلال الحملة الصليبية الأولى من الاستيلاء على أنطاكية وصولا إلى بيت المقدس، وقد قام بترجمته محمد حسين عطية نقلا عن النسخة الانجليزية للمترجمين جون هيوج هيلJohn Hug Hill ولوريتا هيل Laurita Hill، نشر دار المعرفة الجامعية 1998.

كما أن هناك المؤرخ الفرنسي فولتشر دي شارتر Fulcher de chartres صاحب كتاب "تاريخ الرحلة إلى القدس "Gesta Francorum Iherosalem Peregrinantium"، هذا المؤرخ شغل قسيسا لبلدوين البولوني Baldwin de Bouillon مكنه ذلك من الإطلاع على دقائق الأمور، ووصف أحداث الحملة الصليبية الأولى وصفا دقيقا، قسم كتابه إلى ثلاثة أجزاء تنتهي أحداثه سنة 1127، وهي ربما سنة وفاته. قام بترجمته زياد العسلي عن النسخة الانجليزية للراهبة فرنسيس ريتا ريان Frances Rita Ryan، نشر دار الشروق، بيروت،1990.

إضافة إلى المؤرخ ريمونداجيل Raymond de Aiguilers، صاحب كتاب"تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس"Historia Francorum Qui Ceperum Iharusalem"، كان قسيسا يتبع لريموند الصنجيلي قائد البروفنساليين من جنوب فرنسا، وكان يمتدح الأعمال الوحشية لسيده ريموند.

كتابه ذا أهمية عن أحداث الحملة الصليبية الأولى وصولا إلى القدس، ولقد اعتمدت على النسخة المترجمة إلى الفرنسية، والتي قام بترجمتها فرانسوا جيزوت Guizot في Collections des Mémoires Relatifs A L'Histoire de France,De puis La Fondation de La

Monarchie Française Jusqu'au 13e Siecle, Imp., De A., Belin, .Paris,1824.

وهناك مؤلف آخر يتمثل في أنا كومنينا Anna Comnena، صاحبة كتاب الكسياد"Alexiad"، والتي نسبته إلى والدها الإمبراطور الكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus"(1081- 1118 م) وهو من المصادر اليونانية الهامة، تطرقت فيه الكاتبة إلى حياة والدها، وما حدث فيه من وقائع ذات أهمية، ويُعد كتابها مصدراً للتاريخ البيزنطي، كما أنه مصدرا أساسيا لتاريخ الحملة الصليبية الأولى.

وقد اعتمدت على النسخة المترجمة للانجليزية لمؤلفتها اليزابث داوس

DawesElizabeth, Alexiad, Byzantine Series, parentheses, Publications ,Cambridge , ontarion,2000.

وأخيرا المؤرخ وليم الصوري، الذي يعتبر من أهم مؤرخي العصور الوسطى، توفرت له من أدوات الكتابة ما لم يتوفر لغيره، إذ كان ملما بعدة لغات منها اللاتينية واليونانية والفرنسية والعربية، مما جعله يكون على اطلاع واسع، ويمتد الإطار الزمني لكتابه إلى سنة1184م وهو ما يقارب سبعين. ولقد اعتمدت على النسخة المترجمة إلى العربية للدكتور حسن حبشي بعنوان الحروب الصليبية، نشر الهيئة العامة المصرية للكتاب،1991.

ب-المصادر العربية:

للمصادر العربية دورا كبيرا في هذا المجال، خاصة وأن مسرح الأحداث كان في بلاد الشام، فهي تضاهي نظيرتها الأجنبية، خاصة ما يتعلق بالعلاقات في ما بين الصليبيين والقوى الفاعلة بالمنطقة، ونجد في مقدمة هذه المصادر، ابن القلانسي(أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي (1072-1160م/464-555هـ)، وهو أديب وكاتب وشاعر ومؤرخ، تولى رئاسة الإنشاء في دمشق، مما مكنه من الإطلاع على كثير من الوثائق، عاصر الحملة الصليبية الأولى، وبهذا سجل بدقة وصول الصليبيين إلى الشام، وما دار من أحداث خلال تلك الفترة، في كتابه المسمى "**بذيل تاريخ دمشق**"، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908، وعلى هذه النسخة اعتمدت في تقصي الحقائق.

ويليه المؤرخ ابن العديم(كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد هبة الله) المعروف بابن العديم(588-660هـ/1192-1261م)، عالم وأديب ومؤرخ كان أجداده من الذين تولوا القضاء، كما تولى هو أيضا التدريس والقضاء، له كتاب والمسمى "**زبدة الحلب من تاريخ حلب**"، يتكلم فيه عن تاريخ حلب وبنائها وعلاقاتها، إلى أن حمل أهلها راية الجهاد ضد الصليبيين، كتابه مرتب بالسنين. ولقد اعتمدت على جزئي هذا الكتاب الأول والثاني، الجزء الأول تحقيق سهيل زكار، نشر دار الكتاب العربي ،دمشق،1997. أما الثاني فتحقيق سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق،1954، إذ أن هذا المؤرخ وكتابه لا يقل

أهمية عن سابقه، وهو من أهم المصادر في هذه الفترة، التي تحدثت عن كثير من الحقائق وتناولتها بالتفصيل، خاصة فيما يتعلق بالصراع الصليبي الإسلامي، وما تم خلاله من اتفاقات بين القوى الإسلامية والصليبية الفاعلة آنذاك، كما استفدت من كتاب آخر له، وهو "**بغية الطلب في تاريخ حلب**"، هذا الكتاب صنف في اثني عشر جزءا، يتحدث فيه المؤلف عن ترجمة لأعلام حلب ، ووصفا للأماكن، بل أنه شامل لتاريخ الشام جنوبه وشماله. ولقد اعتمدت على الطبعة التي حققها سهيل زكار، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان.

ومن المصادر التي كان لها باع في التاريخ، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب بعز الدين (555-630هـ/1160-1233هـ)، ولد بجزيرة ابن عمر يتمثل كتابه "**التاريخ الكبير**" المسمى "**الكامل في التاريخ**"، وهو من الكتب الجامعة، تحدث فيه عن تاريخ ملوك الشرق والغرب، وعن الأحداث جميعها من أول الزمان. وكتابه هذا عبارة عن حوليات، حيث يدون كل ما يحدث في السنة من أحداث ويذكرها بالتفصيل، ولقد استفدت من معلومات هذا المؤلَّف في طبعته الأولى من دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1987.

ج- **المراجع الأجنبية:**

من المراجع الأجنبية المتخصصة في إمارة أنطاكية، والتي اعتمدت عليها في دراستي لهذا الموضوع هو توماس أسبريدج Thomas Asbridge، الذي له عدة مؤلفات عن الحركة الصليبية، ويظهر كتابه الذي يحمل عنوان "**تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية 1098-1130م**" "The Creation of The Principality of Antioch.1098-1130"، خاصة في فترة وضع أقدامها في شمال الشام، هذه الفترة كانت أصعب فترات التوطن كإمارة صليبية، وبفضل سياسة وإستراتيجية أمرائها خاصة الأوائل، استطاعت أن تُمكن نفسها في المنطقة. وأن يبدأ الاستيطان بشمال الشام، ويظهر ذلك في الإقطاعيات النورمانية بالإمارة، وطبعا ذلك له أثر ايجابي في الدفاع عن معاقلها.

أما في ما يخص المرجع الثاني فهو جون لامونتJohn LA Monte، وكتابه بعنوان "**الإقطاع في مملكة بيت المقدس اللاتينية1100-1291م**" " Feudal Monarchy In The Latin Kingdom of Jerusalem 1100-1291". هذا المؤَلق بحق له أهمية كبيرة، إذ أنه يُبين حقيقة الإقطاع بالشام اللاتيني، فالإمارات الصليبية بقدر ما ترتبط بالمملكة، بقدر ما لها حريتها في شؤونها الخارجية، وتصّرف أمرائها بحرية تامة. أي أن الوجود الصليبي بالشام هو عبارة عن دويلات ذات سيادة، وإنما ترتبط برباط الإقطاع والعقيدة المشتركة، وأن إمارة أنطاكية في الشمال جعلها موقعها تتميز عن باقي الإمارات، والتي تعرضت للضغط الإسلامي والبيزنطي، بل حتى الأرميني على حد سواء، مما جعل المملكة تقف إلى جانبها، وتحافظ على وجودها كدويلة

حاجزة، لأن ذلك يعود بالفائدة على بيت المقدس نفسها.

أما في ما يخص المرجع الثالث فهو كلود كاهين Claude Cahen وكتابه بعنوان "**سوريا الشمالية في فترة الحروب الصليبية والإمارة الإفرنجية بأنطاكية** " La Syrie du Nord A L' époque des Croisades et LA Principauté Franque D' Antioche ". هذا الكتاب له أهميته في تاريخ الحركة الصليبية واستيطان اللاتين بأرض الشام، كما أنه يركز على إمارة أنطاكية كوحدة سياسية في شماله، ومدى ارتباطها بالقوى السياسية المعاصرة وتأثير ذلك على وجودها كإمارة صليبية بالمنطقة. إضافة إلى أنه يتحدث عن العائلات الإقطاعية بالإمارة الصليبية وأصولها.

د- **المراجع العربية والمعربة:**

إن هذه المراجع لها أهميتها، خاصة في ما يتعلق بالحركة الصليبية بصفة عامة وأنطاكية خاصة. وفي مقدمة ذلك نجد المؤرخ **حسين محمد عطية،** صاحب كتاب **إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون(1171م-1268م)،** حيث يتحدث المؤلف عن ظهور أنطاكية كإمارة صليبية في شمال الشام، وسياسة أمرائها تجاه المسلمين منذ النشأة إلى سقوط الدولة الفاطمية، ودور تلك الإمارة في تدعيم القوى الصليبية بالشام كالجاليات الايطالية وفرق الرهبان العسكرية. إضافة إلى تطرقه إلى العلاقات السياسية، بين إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمين في فترة الانحسار الصليبي، ثم توازن القوى في المنطقة، كما يبين العلاقات بين الإمارة والمسلمين في فترة تفكك القوى الصليبية والإسلامية على حد سواء، وأخيرا سقوط الإمارة الصليبية بأنطاكية على يد المماليك. ويليه كتاب آخر بعنوان: **تشريعات الصليبيين (دراسات في قوانين أنطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية)،** طبع ونشر دار المعرفة الجامعية،2012، حيث يتحدث فيه المؤرخ حسين عطية عن التشريعات الصليبية، خاصة في إمارة أنطاكية وبيت المقدس، يعتبر بحق مرجعا هاما، أي أنه يبين القوانين والتشريعات والنظم التي تحكم الدويلات الصليبية في المشرق، والتي من شأنها أن تجعل المجتمع اللاتيني في االشام أكثر تماسكا وتنظيما من خلال إخضاعه للقوانين والأعراف.

كما يوجد هناك المؤرخ **سعيد عبد الفتاح عاشور،** الذي له عدة مؤلفات وبحوث ودراسات وتحقيقات في تاريخ العصور الوسطى، وأخص بالذكر مؤَلفه عن الحركة الصليبية في جزئيه بعنوان: **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى،** ماهيتها وبواعثها. إذ أن المؤرخ عاشور عبد الفتاح يسرد ويفسر ويعلق على كثير من الأحداث في هذه الحملة، والتي تعتبر بحق زحف مهول لأوربا نحو المشرق الإسلامي، والتي سعى الغرب من خلالها لتأسيس إمارات له والاستيطان بأرض الشام، إضافة إلى أنه يبين كيف كانت العلاقات بين هذه الإمارات، وغيرها من الإمارات الإسلامية، بل حتى الدولة البيزنطية والمملكة الأرمينية. وأخيرا كيف تم القضاء على الوجود الصليبي بالمشرق، إضافة إلى أثر الحروب الصليبية على المجتمع الغربي.

وأما في ما يخص المراجع المعربة فنجد المؤرخ **ستيفن رانسيمان** ويظهر مؤلفه في: "**تاريخ الحملات الصليبية**" في ثلاث أجزاء، حيث توجد ترجمة للدكتور نور الدين خليل، نشر الهيئة العامة المصرية للكتاب 1994، وقد وظفت الجزئين الثاني والثالث في تتبع حقيقة الحركة الصليبية، وكيف استطاع الصليبيون تأسيس إماراتهم بأرض الشام، وما هو رد الفعل الإسلامي تجاه ذلك. إضافة إلى أنه بمرور الزمن تداخلت الحياتين الشرقية والغربية، وأصبح اللاتين يتوقون إلى تقليد المسلمين في كثير من أنماط الحياة الشرقية.

كما أنه يوجد من المراجع الأجنبية المترجمة والتي لها نصيب في دراسة الحركة الصليبية، ونخص بالذكر **أرنست باركر**، حيث يحمل كتابه عنون:" **الحروب الصليبية**" ترجمة الدكتور السيد البار العريني، إذ نجد أن المؤلف يتطرق إلى أهمية الحروب الصليبية والأسباب التاريخية لهذه الحروب، وكيف استطاع الصليبيون إحراز النصر، على المسلمين الذين يعانون من التشرذم، وبهذا تمكن الصليبيون من تأسيس إماراتهم وتوطين أنفسهم وارتبطوا بعلاقات ببعضهم كجسم واحد لمقاومة رد الفعل الإسلامي الأولي، غير أنه بتكوين جبهة إسلامية موحدة والتي ظهرت نتائجها بقيادة صلاح الدين، استطاع المسلمون تقويض أركان المملكة الصليبية، ومحاولة الصليبيين استعادتها، لكن ذلك لم يحدث. حتى وإن استطاع الغرب من تحقيق نتائج وظهور مملكة بيت المقدس في طابعها الجديد بعكا، وما تلتها حملات صليبية أخرى، إلا أن العد التنازلي لزوال الوجود الصليبي قد بدأ، إلى أن جاءت ساعة الحسم وإنهائه بأرض الشام. ويخلص المؤرخ في نهاية كتابه إلى نتائج الحركة الصليبية بتأثر الصليبيين بالبيئة الشرقية وفنونها. كما أنه وضع الغرب وجها لوجه مع الشرق، وتبدأ مرحلة جديدة من الحركة الصليبية وهي الحركة التبشيرية، هذا فضلا عن ظهور الرهبنة العسكرية، وإحياء حركة النشاط التجاري.

ومما لاشك فيه أنني قد واجهت صعوبات أثناء انجاز بحثي هذا، وطبعا ذلك يكون في كل بحث وخاصة مجال التاريخ، فمنها ما يتعلق بالمصادر أو ما يتعلق بطبيعة الموضوع في حد ذاته، لاسيما العلاقات. إضافة إلى أن الترجمة تتطلب وقتا طويلا لصياغة الفكرة وبشكل سليم، بحيث تكون مطابقة تماما للنص المترجم مهما كانت لغته. وبكل محاولاتي هاته فإنه لاشك بأن هذا البحث لا يخلو من نقائص، كما أنه لا يفوتني أن أعتذر لأعضاء اللجنة الموقرة عما بدر مني من أخطاء.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري وعرفاني لكل من قدم لي يد المساعدة، أثناء إنجاز هذه المذكرة البسيطة والمتواضعة، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور "عبد العزيز بوكنة"، الذي تجاوب مع اختياري لهذا البحث وقبِل الإشراف عليّ لإنجازه وأسدى لي النصح، وساعدني على إتمامه.

وفي ختام ذلك أسأل الله العلي القدير أن يوفقني في بحثي، وفي كل ما يُحب ويرضى.

مبروك بن مسعود

الفصل الأول: تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية

I-الأوضاع السياسية في بلاد الشام قبل الحملة الصليبية الأولى.

1 – الصراع العباسي الفاطمي على بلاد الشام و دخول السلاجقة بغداد.

2 – التوسع السلجوقي في بلاد الشام.

3 –الإمارات العربية ببلاد الشام وصراعها قبل الغزو الصليبي.

4 – صراع الأمراء والقادة السلاجقة في بلاد الشام.

5 – تراجع وانهيار النفوذ الفاطمي ببلاد الشام.

6– تعدد ونزاع الأقليات الدينية والعرقية في بلاد الشام.

II– الحملة الصليبية الأولى و قيام إمارة أنطاكية الصليبية

1– الأحوال السياسية للمدينة.

2– الموقع الاستراتيجي لمدينة أنطاكية.

3– المكانة الاقتصادية للمدينة.

4– المكانة الدينية للمدينة.

5– الإعداد للحملة الصليبية في الغرب اللاتيني

6– وصول الصليبيين إلى القسطنطينية وزحفهم باتجاه الشام.

7– قيام إمارة الرها الصليبية.

8– بداية حصار مدينة أنطاكية ومقاومة ياغي سيان.

9– رد الفعل الإسلامي ببلاد الشام.

10– معاناة الجيوش الصليبية ومحاولة بوهمند استغلال ذلك.

11– سقوط مدينة أنطاكية.

12– وصول الجيش الإسلامي بقيادة كربوغا أتابك الموصل وحصاره المدينة.

13– خسارة الجيش الإسلامي وتأكيد سقوط أنطاكية.

14– التنافس بين بوهمند والكونت ريموند حول ملكية المدينة.

15– توسع الصليبيين في نواحي أنطاكية.

16– انفراد بوهمند بحكم مدينة أنطاكية.

17– زحف الصليبيين باتجاه بيت المقدس والاستيلاء عليها

18– رحلة بوهمند إلى بيت المقدس واكتسابه شرعية الإمارة

19– تكوين الإمارة (توسيع حدودها)

20– نظام الحكم في الإمارة: أ/ سلطة الأمير. ب/ الضباط.

21– النظم القضائية : أ/ المحكمة العليا (محكمة البارونات). ب/ محكمة البورجوازية.

ج/ محاكم الجاليات الإيطالية. د/ محاكم الكنيسة.

22– العائلات النبيلة والإقطاع

إن نجاح الحملة الصليبية الأولى(1095م- 1099م) في بلاد الشام[1]، قد تمخض عنها قيام مملكة وثلاث إمارات صليبية بالمنطقة[2]، من بينها إمارة أنطاكية[3] الصليبية. وهي ثاني إمارة لاتينية أقامها الصليبيون النورمان

---

[1] يحدها من جهة الشرق سقي نهر الفرات، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب البحر الأحمر وعريش مصر، ومن الشمال سفوح جبال طوروس المطلة على آسيا الصغرى(الأناضول)، تعرف في العصر الإسلامي بالثغور الشامية والجزرية، وقد أطلق سكان الرافدين على بلاد الشام اسم أمورو، وهي مارتو بالسومرية والتي تعني الغرب.كما استخدم اليونانيون مصطلح سورية والتي استخدمها الترك باسم سورستان، وجاءت باسم أرام في التوراة والتي تعني بلاد الشام أو الشأم أو الشآم. وهناك من يجعله شاما واحدا وهناك من يجعله شامات، فيجعلون بلاد فلسطين والأرض المقدسة إلى الأردن شاما، ويقولون الشام الأعلى ويجعلون دمشق وبلادها من الأردن إلى الجبال المعروفة بالطِّوال شاما. وقد اختلف في تسميتها فهناك من يقول أن قوما من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاءموا إليها، أي: أخذوا ذات الشِّمال، بينما هناك من يرى أن تسميتها تعود إلى سام بن نوح عليه السلام. بها القبلة الأولى وموضع المسْرى والأرض المقدسة والثغور الجليلية، كما بها أمهات المدن مثل بيت المقدس وحلب ودمشق وأنطاكية وطرابلس.، انظر:المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله)،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ط.2، دار صادر- بيروت ،1906،ص.ص.151-152؛ ياقوت الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله)،معجم البلدان ، ،دار صادر،بيروت، 1977، مج .3، ص.ص. 311-312؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد)،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،المطبعة الأميرية،القاهرة،1914،ج.4، ص.90؛ الحريري(أحمد بن علي بن المغربي)،الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ،تحقيق سهيل زكار،مكتبة الملاح، 1981، ص.5؛ محمد بيومي مهران، بلاد الشام (مصر والشرق الأدنى القديم) دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1990م، ص.11. للمزيد حول بلاد الشام شمالا وجنوبا.أنظر الخريطتين(1)و(2)،ص.ص.219-220.

[2] للمزيد حول توطن الصليبيين بمنطقة الشام. أنظر، الخريطة (03) ص.221.

[3] من أمهات مدن الشام، يسميها النصارى مدينة الله ومدينة الملك وأم المدن. تعددت الأقوال حول بنائها، هناك من يقول أن أنطيوخوس Antiochus (أنطيخنوس)، أحد الملوك الذين جاؤوا بعد الاسكندر المقدوني، هو أول من بناها وهناك من يقول أن أول من بناها، انطيغونيا في السنة السادسة بعد موت الاسكندر، ثم أكمل بناءها سلوقوس حوالى 300ق.م. وهناك من يقول بأن أول من بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقن(اليفز) بن سام بن نوح عليه السلام، تُعرف قديما بأنطيوخيا Antiochia تقع في الحوض الأدنى لنهر العاصي Orontes، تبعد عن البحر الأبيض المتوسط ب12ميلا (19.2كلم). وفي زمن الرومان كانت المدينة ثالث عواصم العالم، بعد روما والإسكندرية بها قبر حبيب النجار رضي الله عنه الوارد ذكره في القرآن الكريم: (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) الآية 20 من سورة يس، موصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء،كانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية. أقام فيها القديس بطرس أول أسقفية ومنها أُطْلِق على النصارى لأول مرة اسم المسيحيين، يقول فيها زهير بن أبي سلمى شعرا"علون بأنطاكية فوق عِقمة وراد الحواشي لونها لون عندم"، كما يقول فيها امرئ القيس أيضا:"علون بأنطاكية فوق عقمة كجِرمة نخل أو كجنّة يثرب"، أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج.1،ص.ص. 266-269؛ ابن العديم (كمال الدين عمر)،بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر،بيروت،د.ط، ج.1، ص.ص.81-83، 99-100 ؛

Guillaume de Tyr, Histoire des Faites et Gestes dans les Régions Doutre-Mer , depuis le Temps des Succeesseurs de Mahomet Jusqu'a L'An1184 de Jésus-Christ,Traduction de Guizot(M),dans, C. M.R.H. F., Paris,1824, T.,I ,p.196 ;Runciman(Steven) ,A history of crusades, Cambridge University Press ,U.S.A., Vol.I, 1995,p.213؛ عاشور سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية،مكتبة الأنجلومصرية-القاهرة،ط.2، 1971،ج.1،ص.205 ؛ يحي الشامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت،1993،ص.ص.308-310=

Normans[1]، بقيادة بوهمند Bohemond[2] من جنوب إيطاليا في الشمال الغربي من بلاد الشام بعد إمارة

=محي الدين الألوسي،حصار أنطاكية 491هـ/1097م ، مجلة آداب المستنصرية، بغداد ، 1986، ع.13، ص.419.

[1] لفظ يتكون من جزئين Nord وManni أو North و Manni، والتي تعني رجال الشمال نسبة إلى مواطنهم التي قدموا منها. ويُسّمون كذلك بالفيكينج Viking أي سكان الفيوردات Fiords(الخلجان الصغيرة)، ومواطنهم هي الدانمارك والسويد والنرويج، والتي تعرف بجزيرة اسكندناوةSkindinavia وحوض البلطيقBaltic Sea. وهم ثلاث فروع كلٌّ ينسب إلى منطقته وهم:النرويجيون والسويديون والدانيون(الدانمركيون)، وعندما لم يفرق الفرنجة بين هذه العناصر الغازية أطلقوا على جميعها اسم النورمان، وكان احتياج هذه الجماعات لأوربا خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين. أنظر، تومي رشيد، العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017م-1154م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى(غير منشورة)، إشراف الدكتور، لقبال موسى، جامعة الجزائر، معهد التاريخ،1987، ص.ص.2-3. أنظر أيضا، Elisabeth Van Houts, The Normans In Europe, Manchester University Press,U.K.,2000, Haskins(Charles Homer), The Normans in European History, Houghton Mifflin Company, Boston, New York,1915؛ للمزيد حول شجرة نسب النورمان بأنطاكية. أنظر، الملحق(01)، ص.202.

[2] أمير تارنتو Taranto بإيطاليا Italy، ثم أصبح أميرا لأنطاكية(1099م-1111م) وهو الابن الأكبر لروبرت جيسكارد Robert Guiscard (ت.1085م) دوق أبوليا وقلّورية، وأمه ألبيرادا Alberada، ولد مابين سني 1050 م و1060م شارك مع والده في حرب ضد البيزنطيين ما بين سنة 1081م و1085م. و بعد وفاة أبيه أصبح في صراع مع أخيه غير الشقيق روجر بورصة، وما إن دعا البابا أوربان الثاني Urban II للحملة الصليبية الأولى، أصبحت مشاركته المشروع المفضل له فانتهز الفرصة وسار بجيشه باتجاه الشرق، لإنشاء إمارة طالما حلم بملكيتها. وبفضل براعته استطاع أن يتحايل ويكسب ود الإمبراطور، في اتفاقية القسطنطينية1097م وأن يعلن ولاءه وتبعيته له، ولكن بعد محاصرة الجيش الصليبي لأنطاكية، نفّذ مشروعه بذكاء وأَفْتَكّ من الصليبيين اعترافا بملكيته لأنطاكية، وأن يتصدى لغريمه الكونت ريموند ويزيح نظره عن المدينة، وعند مواصلة الزحف باتجاه بيت المقدس، لم يكن بوهمند من الذين ساروا إليها، وعند الاستيلاء عليها انتقل إليها بصحبة الأسقف دايمبرت Daimbert، وقع بوهمند في أسر الدانشمنديين الأتراك بآسيا الصغرى، بعد محاولته توسيع ملكه، ولكن أُطلق سراحه بعد ثلاث سنوات. ولضمان استمرار وجود الإمارة ومقاومة الخطر المحدق بها، عاد بوهمند إلى الغرب تاركا الإمارة لابن أخته تانكرد للمرة الثانية ، لطلب المساعدة. وأثناء وجوده بالغرب تزوج من الأميرة الفرنسية كونستانس مطلقة هيج أف شامبان Hugh of Champagne، والتي ولدت له ولدين أحدهما توفي قبله والثاني تولى الإمارة باسم بوهمند الثاني. استطاع حشد جيش كبير من الفرسان والمشاة الايطاليين والفرنسيين والألمان والأنجليز، وهاجم الإمبراطورية لكن للأسف هذه المرة انهزم أمام الإمبراطور وعُقِدت بينهما معاهدة ديفول سنة 1108م وبموجبها اعترف بوهمند باليكسيوس Alexius سيدا أعلى له. وبالتالي عودة أنطاكية لبيزنطة، وهذا ما لا يقبله كبرياؤه فقفل راجعا إلى ايطاليا ولم يظهر مرة أخرى، إلى أن أصيب بمرض توفي على إثره سنة 1111م بإيطاليا.

أنظر، An Encyclopedia of Key Figures in Medieval Europe,Routledge, New york-London,2006,pp.86-87;LA Grande Encyclopédie, Société de Savants et des Gens de Lettres,Paris,T.7,pp.37-39; Yewdale(R.B),Bohemond I, Prince of Antioch, A Dessertation Presented to the Faculty of Princeton University in Candidacy for the Degree of Doctor of Philosophy,Accepted by the Département of History and Politics,1917,pp.9-133.

الرُّها[1]، التي أسسها بلدوين البولوني Baldwin of Boulogne[2]. ولقد لعبت إمارة أنطاكية الصليبية دورا رياديا في شمال الشام، استطاعت أن تعمر قرناً وسبعون سنة، وأن ترتبط بعلاقات مع الصليبيين والمسلمين والبيزنطيين والأرمن ومع الهيئات الدينية العسكرية،كما أنها ارتبطت بعلاقات مع الغرب اللاّتيني لتبقى تتلقى الدعم المادي والمعنوي[3].

I–الأوضاع السياسية في بلاد الشام قبل قدوم الحملة الصليبية الأولى:

1 - الصراع العباسي الفاطمي على بلاد الشام و دخول السلاجقة بغداد:

تميزت الأوضاع السياسية في الشرق الأدنى الإسلامي، خاصة بلاد الشام بالاضطراب قبل مجيء الحملة الصليبية الأولى. حيث كانت عوامل الضعف تدب في الدولتين العباسية السنية في بغداد والفاطمية الشيعية في القاهرة، وما تبعهما من ولاءات سياسية ودينية، وتوسُّع الهوَّة بين أبناء المشرق الإسلامي سياسيا ومذهبيا وعرقيا، مما أثرت سلبا على مصير المنطقة. إذ شكل هذا الإقليم مجالا حيويا للصراع العباسي الفاطمي، ومحاولة كل طرف فرض سياسته ومذهبه وذلك بتقديم الدعم والمساندة لهذه الدويلات[4]. ولقد تمكن السلاجقة[5] من دخول

---

[1] أورفا Urfa أو Orfa قيل أنه مستمد من اسمها الآرامي القديم أورهاي Urhai ، فالشائع من أسمائها هو الرُّها بالعربية وإديسا Edessa باللاتينية ، تعددت الأقوال حول تسميتها ،أنظر، ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،مج.3،ص.106؛ابن الشحنة(أبو الفضل محمد)،الدُرُّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب،تحقيق،عبد الله محمد الدرويش،دار الكتاب العربي،1984، ص.200 ؛علية عبد السميع الجنزوري،إمارة الرها الصليبية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2001 ،ص.ص.23-28.

[2] أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، مع أخيه جودفري Godfrey وهو ابن أوستاس الثانيEustace II البولوني وإيد Ide من الأَردَن Ardenne ابنة جودفري الهاردي Godefroy le Hardi دوق حوض اللورين. استطاع تأسيس إمارة الرها بأعالي الفرات، وبعد وفاة أخيه سنة 1100م حاكم بيت المقدس اعتلى مكانه، وتلقب ببولدوين الأول وهو أول ملوك القدس. توفي بالعريش بمصر مابين شهري مارس وأفريل سنة 1118م.أنظر، La Grande Encyclopédie,Sociéte des Savants et de Gens de Lettres,Paris,T.5,pp.864-866.

[3] حسين محمد عطية،إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون،دار المعرفة الجامعية،1989،ص ص.3، 8-9.

[4] عاشور سعيد عبد الفتاح ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، دار الأحد ، بيروت ،1977،ص.ص.57، 166؛ طقوش محمد سهيل ، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ،دار النفائس-بيروت ،ط.3، 2009، ص.33.

[5] ينسبون إلى سلجوق بن دقاق(يقاق أو تقاق)،كان هذا الأخير ذا رأي وتدبير وكان لسلجوق من الأولاد أرسلان وميكائيل وموسى، وأصلهم من الأتراك. موطنهم فيما وراء النهر في موضع يسمى بنور بخارا، أدى السلاجقة دورا رياديا في الدور الأول، إلا أنهم انقسموا إلى خمس بيوت وهي: بيت طغرل بك وهي دولة السلاجقة الكبرى، وسلاجقة كرمان وهم عشيرة قاروت بك بن داود، وسلاجقة عراق العجم وكردستان وسلاجقة الروم بآسيا الصغرى، وسلاجقة الشام وهم بيت تُتُش بن ألب أرسلان، انظر،البنداريّ (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني)،دولة آل سلجوق ،شركة طبع الكتب العربية، مصر،1900،ص.5؛ الحسيني (أبو الفوارس ناصر)،أخبار الدولة السلجوقية ،تحقيق،محمد إقبال، لاهور،1933، ص.1-2؛ الفارقي (احمد بن يوسف بن علي) ،تاريخ الفارقي(الدولة المروانية)، تحقيق،بدوي عبد اللطيف عوض،وزارة الثقافة،القاهرة،1959،ص.158 ؛عاشور،المرجع السابق،ج.1، ص.81.

العراق وبسط سلطانهم عليه[1]، وبهذا فُتِح المجالُ أمامهم لمد نفوذهم غربا خصوصا بلاد الشام . وبدأ ذلك عندما سمح السلطان طغرلبك، لأتباعه بالتوسع في أراضي الدولة البيزنطية، خلال ذلك استطاع البعض منهم التغلغل داخل بلاد الشام وأعالي الفرات تحت قيادات متعددة [2].

2- التوسع السلجوقي في بلاد الشام وآسيا الصغرى :

تمكن السلاجقة من دخول مضارب القبائل العربية، وقد استفاد بعض الأمراء العرب من خدمات الأتراك أثناء صراعهم فيما بينهم، مثل ما حدث داخل الإمارة المرداسية [3]. وبعد وفاة طغرلبك سنة1063م/455هـ[4]، خلفه ابن أخيه ألب أرسلان[5]، الذي لا يقل طموحا عن عمه. إذ نجده يوطد علاقته بأميري مكة والمدينة وأقنعهما بضرورة ولائهما للعباسيين، والتخلي عن الخطبة للفاطميين وكان ذلك سنة 462هـ/1069م[6].

بعد ذلك توجه نظره صوب بلاد الشام، والتي كانت معظمها تدين بالولاء للفاطميين، كما أن أمير حلب محمود بن نصر المرداسي، أعلن ولاءه للسلاجقة وأن تقام الخطبة للخليفة العباسي وللسلطان السلجوقي من بعده، بدلا من الفاطميين وكان ذلك سنة 462هـ/1069م، ولكنه عدل عنها في العام التالي، إلا أن السلطان ألب أرسلان سار بنفسه لمحاصرة محمود، وبهذا استسلم له ومنذ تلك الفترة أصبحت حلب والمدن الشمالية تابعة للنفوذ السلجوقي. إضافة إلى أن فكرة توسع ألب أرسلان، على حساب بلاد الشام ومصر لم تكن واضحة،

---

[1] وكان ذلك باستنجاد الخليفة العباسي القائم بأمر الله(391هـ-467هـ/1001م-1075م) بالسلطان السلجوقي طغرلبك الذي جاء من بلاد فارس ليقضي على حركة تمرد القائد البويهي أرسلان البساسيري الذي حاول القضاء على الخلافة العباسية وإعلان التبعية للفاطميين و،كان ذلك سنة 450هـ-451هـ/1050-1051م،أنظر:ابن الأثير(أبو الحسن علي) ،الكامل في التاريخ ،تحقيق ، أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية ،بيروت،1987،مج.8،ص.ص.346-347،الحسيني، المصدر السابق،ص.-18-19، البنداريّ ،المصدر السابق،ص.ص.15-17.

[2] طقوش محمد سهيل،تاريخ السلاجقة في بلاد الشام،دار النفائس، بيروت،ط.3، 2009،ص.104.

[3] المرجع نفسه.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8 ،ص.360-361؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ،الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي إلى الغزو المغولي ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1999، ص.146 .

[5] أبو شجاع محمد جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب بعضد الدولة.تولى السلطنة بعد عمه طغرلبك؛عظمت مملكته ورهبت سطوته وانتصر على البيزنطيين في معركة ملازكرد المشهورة سنة 463هـ/1071م .وألب معناها شجاع وأرسلان بمعنى أسد أي الأسد الشجاع ،قتل في 10ربيع الأول سنة 465هـ/1072م. أنظر، ابن الأثير، المصدر السابق،مج.8، ص.393.

؛ ابن خلكان ،وفيات الأعيان،المصدر السابق،مج.5،ص.69-71؛ ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق ،سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق،1954،ج2 ، ص17 ؛حامد زيان غانم ، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،1983،ص .41.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق ،مج.8، ص.384، المقريزي (تقي الدين احمد بن علي)،اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق،محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الإسلامي الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة،1996،ج.2 ص.304.

حيث أن بعض مناطق الشام لا تزال في خدمة الفاطميين، كما أن مصر لم تعد في نظره ذات أهمية، خاصة بعد المجاعة الشديدة التي تعرضت لها في عهد الخليفة المستنصر بالله(1035-1094م/427هـ-487هـ)، والتي بدأت سنة 1065م/457هـ، واستمرت سبع سنين والتي عرفت في بالشدة المستنصرية[1].

إن زحف السلاجقة على آسيا الصغرى(الأناضول) وبلاد الشام لم يكن أمرا سهلا، إذ أن الدولة البيزنطية كانت شديدة الحذر وفي أُهْبة الاستعداد،كان وقد سبق أن هاجم السلاجقة واستولوا على بعض مدن هذه الهضْبة في عهد طغرلبك وألب أرسلان [2]. ففي سنة 460هـ/1068م كان قد اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية رومانوس الرابع ديوجينوس Romanus IV Diogenes (1067م-1071م)، وهذا بعد زواجه من ايدوكيا Eudocia أرملة الإمبراطور قسطنطين العاشر(دوقاس) Constantin Docus، حيث قام الإمبراطور الجديد بثلاث حملات على بلاد الشام وأعالي الجزيرة، لصد هجمات الأتراك على منطقة آسيا الصغرى كانت آخرها معركة ملازكرد شرق الأناضول سنة 1071م/463هـ[3]، ويقول ابن العديم:"فقد خرج الإمبراطور على رأس جيش كبير يقارب "ثلاثمائة ألف أو يزيدون مابين فارس وراجل، من جموع مختلفة من الروم والمرتزقة، بينما كان السلطان في خمسة عشر ألف فارس من نخبة عسكره"، والتقى الفريقان "وأنزل الله نصره، وكُسِرت الروم وأُسِر الملك، وغنموا ما لا يُعد كثرةً ولا يُحصى عددا وعُدّة"، وكان ذلك سنة 463هـ/1071م[4].

وتعتبر هذه المعركة نقطة تحول في التاريخ البيزنطي و الإسلامي على حد سواء ، إذ فقدت الإمبراطورية الجزء الشرقي لصالح السلاجقة[5] ، كما ترتب عنها عدة نتائج من بينها أصبحت منطقة آسيا الصغرى مفتوحة أمام الأتراك ، مما أتاح لهم تأسيس دولتهم المعروفة بسلاجقة الروم[6]، واتخاذ من نيقية ثم قونية عاصمة

---

[1] المقريزي،المصدر السابق،ج.2،ص.300؛الغامدى علي محمد ،بلاد الشام قبل الغزو الصليبي(1070م-1098م)/(463هـ-491هـ) ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي،إشراف حسنين محمد ربيع، جامعة أم القرى،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،1981-1982م،ص.115 ؛حامد زيان غانم ، المرجع السابق ،ص .41-42؛ احمد السيد الصاوي،مجاعات مصر الفاطمية (أسباب ونتائج)، دار التضامن،بيروت، 1988، ،ص.ص.49، 65 .

[2] الغامدي محمد علي ،المرجع السابق ،ص.116 .

[3] وليم الصوري،الحروب الصليبية ،ترجمة حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1991،ج.1، ص ص.83- 85؛ الغامدي، المرجع السابق ،ص ص.117، 121.

[4] ابن العديم كمال الدين عمر،زبدة الحلب في تاريخ حلب ،ج.2، تحقيق ،سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1954، ص.ص.24، 26، 28.

[5] أحمد الشامي،تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة،1985،ص ص.34-35.

[6] هم الذين استقروا بآسيا الصغرى واستقلوا بها بعد ضعف دولة السلاجقة؛وسّعوا نفوذهم على حساب الروم البيزنطيين، اتخذوا من نيقية عاصمة لهم وبعد سقوطها أثناء الحملة الصليبية الأولى؛أصبحت قونية. وهي أطول دول السلاجقة عمرا،إذ بقيت قائمة إلى سنة699هـ/1299م، وعلى أنقاضها قامت الدولة العثمانية في بلاد الأناضول، كما سُمّيت الفروع الأخرى من السلاجقة باسم المناطق التي استقروا بها.أنظر،=

لهم[1]، إضافة إلى أن ما حدث في ملازكرد، ما يبرر ما قام به الغرب اللاتيني من حملة صليبية ضد المشرق الإسلامي[2]. ولقد كانت هذه الكارثة التي حلت بالإمبراطورية سببا في استنجاد الإمبراطور ميخائيل السابع Mikhaïl VII سنة 1073م من البابا جريجوري السابع Gregory VII (1073م-1085م)[3]، ضد الأتراك، كما أنه جدد هذا الطلب الكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus (1081م- 1118م) إلى بلدوينBaldwin أمير الفلاندر Flandresسنتي 1078م و1088م، إضافة إلى استنجاده بالبابا أوربان الثانيUrban II[4]، فكانت الحملة الصليبية الأولى(1096م-1099م) خير استجابة، في حين أن اليكسيوس لم يتوقع إرسال هذا العدد المهول من الصليبيين[5].

وعليه بقدر ما كان توسع السلاجقة غربا نصرة للإسلام، ومد نفوذ المسلمين على حساب البيزنطين، بقدر ما أثار الحَمِيّة لدى المسيحيين باختلاف هوياتهم. وبعد انتصار السلطان ألب أرسلان عاد إلى منطقة خراسان، إلى أن قُتِل سنة 465هـ/1073م[6]، ولكنه أثناء رحيله عن بلاد الشام، كان قد ترك وراءه جماعات من الأتراك بقيادة أتسز بن أوق الخوارزمي[7]، وإخوته الذين ساعدوا محمود المرداسي، ضد عمه عطية بن صالح ودوق

=العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب الإسلامي،ط.2، 1982،ص.50؛ طقوش محمد سهيل،المرجع السابق، ص.138.

[1] الغامدي ،المرجع السابق ،ص.124-125.

[2] عاشور ،المرجع السابق،ج.1، ص.89.

[3] ولد سنة1020م بجنوب توسكانياTuscany (سوانا Soana) بايطاليا، اسمه هيلدبراند Hildebrand اعتلى عرش البابوية في 22 أبريل1073م، له إصلاحات كنسية هامة وقد استرجعت الكنيسة هيبتها في عهده،وهو من أعظم رجال الدين في العصر الوسيط، دخل في صراع مع الإمبراطور هنري الرابع، حيث تم هزيمة هذا الأخير مقدما اعتذاره للبابا جريجوري في قلعة كنوسا Canossa(ايطاليا)، في 28 جانفي 1077م ومعترفا به سيدا للعالم المسيحي.توفي جريجوري في 25ماي 1085م ،أنظر، An Encyclopedia of Key Figures in Medieval Europe,Routledge,New york-London,2006,PP.273-275 .
؛قاسم عبده قاسم،المرجع السابق، ص ص.82-84.

[4] ولد سنة1039م، اعتلى كرسي البابوية سنة1094م، تجسدت في عهده فكرة الحروب الصليبية، وقد مهد لذلك بمجمع كليرمونت بفرنسا سنة 1095م. توفي سنة 1099م، أنظر، An Encyclopedia of Key Figures,op.cit., pp.641-642. ؛قاسم عبد قاسم،الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،1999، ص.ص.115- 118.

[5] باركر أرنست ،الحروب الصليبية ،ترجمة باز ألعريني، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ص. ص.19-20.

[6] ابن الأثير ،المصدر السابق،مج.08،ص.393، الحسيني،المصدر السابق،ص.53-54 ، البنداري الأصفهاني ،المصدر السابق،ص.44-45؛ ابن الجوزي(أبو الفرج عبد الرحمن بن علي)،المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،تحقيق،محمد عبد القادر عطا،مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية،1992م/1412هـ،ج.16،ص.145.

[7] أطسز،لا اسم له أو لا فرس له أنظر، الغامدي ،المرجع السابق،ص.128.

أنطاكية البيزنطي[1]، حيث قام أتسز في بلاد الشام بتوسيع ملكه، وضم بعض مدنها مثل دمشق وحلب[2]. وبعد سقوط مدينة دمشق في يد أتسز سنة468هـ/1076م، قام ملكشاه[3]، بتعيين أخيه تُتُش[4] أميرا على بلاد الشام، ولما علم أتسز بذلك راسل السلطان من أجل إبقائه حاكما جنوب الشام فكان له ذلك[5].

حاول أتسز غزو مصر وإسقاط الخلافة الفاطمية، لتصبح في ما بعد من أملاكه، إلا أنه خسر المعركة وانسحب نحو بلاد الشام، وكان ذلك سنة 469هـ/1077م[6]، ومهما يكن فقد تميزت فترة حكمه بالقسوة، ولاشك أن ما حدث في بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية الأولى، يفسر الموقف السلبي لدمشق تجاه هذا الغزو[7]. ولم يلبث أن تحرك تاج الدولة تتش، بإيعاز من السلطان ملكشاه باتجاه بلاد الشام، لعله بذلك يُتِمُّ مشروع السلطان في ضم منطقة الشام[8]، ومن خلال محاولات تاج الدولة تتش أثبت أنه مثل سابقيه من الأمراء في سياسته،واستطاع أن يؤسس ملكا لآل سلجوق في الشام[9]. وفي سنة479هـ/1086م توجه ملكشاه إلى بلاد الشام[10]، ومن أعماله هناك انه أقطع بعض المدن لبعض الشخصيات، فمثلا أعطى أنطاكية لياغي سيان[11]،التي

---

[1] ابن العديم،المصدر السابق ،ج.2،ص.31.

[2] طقوش محمد سهيل ،المرجع السابق،ص.117-122.

[3] أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب بجلال الدولة. توسعت السلطنة في عهده وامتدت من فارس شرقا إلى حدود مصر غربا،توفي سنة485هـ/1092م، وبهذا ضعفت الوحدة التي حققها السلاجقة، أنظر،ابن الأثير،المصدر السابق،مج.8، ص.481-485؛ ابن خلكان،المصدر السابق،ص.283؛ حسين محمد عطية، المرجع السابق،،ص.110.

[4] أبوسعيد بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق، الملقب بتاج الدولة عيَّنه السلطان ملكشاه أميرا على بلاد الشام سنة 470هـ/1077م ،وبعد موت السلطان جَرَت بينه وبين ابن أخيه بركياروق مُنافرة،أدَّت إلى الاصطدام العسكري أَوْدت بحياته بالقرب من مدينة الرَّي في يوم الأحد 17من صفر سنة488هـ/1095م،أنظر،ابن العديم،المصدر السابق،ج.2، ص.56 ؛ابن خلكان، المصدر السابق، ص.295 ؛ابن الأثير،المصدر السابق،مج.8،ص.502.

[5] الغامدي ،المرجع السابق ،ص.138.

[6] ابن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق،مطبعة الآباء اليسوعيين،1908،ص ص.109-112؛ابن الأثير،المصدر السابق،مج.08،ص.412 ؛المقريزي،المصدر السابق،ج. 2،ص ص. 317-318.

[7] الغامدي ، المرجع السابق ،ص.143.

[8] ابن العديم،المصدر السابق ،ج.2، ص.56.

[9] طقوش،المرجع السابق ،ص.129.

[10] ابن الأثير،المصدر السابق،مج. 8، ص.ص. 444 ،ابن العديم،المصدر السابق ،ج.2،ص ص. 100-101.

[11] هو ياغي سيان بن محمد التركماني، أحد أشهر قادة السلطان السلجوقي ملكشاه، والذي عينه هذا الأخير واليا على أنطاكية، حين قدومه إلى بلاد الشام. يورده كل من ابن الأثير وابن خلدون باسم باغيسيان. أنظر، جمال محمد الزنكي، ((مؤيد الدين ياغي سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى 477هـ-491هـ/1085م-1098م))، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت،1998، ح.18؛ ابن=

انتزعها من الحسن بن طاهر وزير سليمان بن قتلمش سلطان سلاجقة الروم وزوده بفرقة من الفرسان،كما أنه أقطع مدنا أخرى لبعض قادته وأمرائه[1]. وعند مغادرته إلى خراسان ترك أق سنقر قسيم الدولة[2]،ومنحه إقطاعا بهذه المنطقة يشمل مدنا عديدة من بينها حلب[3]واللاَّذقية[4]،وولّى بعض قادته مدن أخرى[5]،وبهذا تم تجزئة بلاد الشَّام التي انعكست سلبًا على الوحدة السياسية وانهيارها بسرعة أمام االغزو الصليبي. وفي سنة 485هـ/1092م توفي السلطان ملكشاه، فدبَّ الضُّعف في دولته عامة وبلاد الشام خاصة[6]، حيث بدأ الصراع بين خليفته بركياروق[7] وإخوته، كما أن عمه تاج الدولة تُتُش انتهز فرصة الخلاف، ونادى بأحقيته في السلطنة، فأنضم إليه كل من أق سنقر وياغي سيان فقويت بهما شوكته، وأعلن نفسه سلطاناً، وكان ذلك سنة 486هـ/1093م[8]،

= الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.14؛ ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواش والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ج.4،ص.85.

[1] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2، ص.101-102.

[2] أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله الملقب بقسيم الدولة المعروف بالحاجب، جد البيت الأتابكي أصحاب الموصل والد عماد الدين زنكي،كان مملوكا للسلطان ملكشاه ،جرت بينه وبين تاج الدولة تُتُش منافرة أودت بحياته، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة 487هـ/1094م.انظر،ابن خلكان،المصدر السابق،مج.1،ص.241؛ ابن الأثير،المصدر السابق،مج.8،ص.494.

[3] مدينة عظيمة، من مدن الشام واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء، أُخْتُلِف في أصل تسميتها. أنظر،ياقوت الحموي(أبو عبد الله شهاب الدين)، معجم البلدان،دار صادر-بيروت،1977،مج.2، ص ص.282-289؛ابن العديم،بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق،سهيل زكار، دار الفكر،د.ط،ج.1،ص ص.39-68.

[4] مدينة على ساحل بلاد الشام ؛من أعمال حمص ؛ثم أصبحت من أعمال حلب.أنظر،الحموي،المصدر السابق،ج5،ص.5-7.

[5] الغامدي،المرجع السابق،ص.175؛ للمزيد عن الإقطاع في دولة السلاجقة. أنظر، عبد العظيم رمضان محمد أبو النصر،السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية،2001،ص.ص.376-400.

[6] ابن الأثير ،المصدر السابق،مج.08، ص ص.481-485؛ عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، دار الأحد، بيروت ،1977،ص. 57 ؛احمد الشامي،المرجع السابق،ص.36؛ حسين محمد عطية،المرجع السابق،ص.110؛ الغامدي، المرجع السابق،ص.185؛ مسفر بن سالم عريج، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر 491 - 569هـ /1097-1173م، دار المطبوعات الحديثة، جدة، 1986،ص.35.

[7] أبو المظفر الملقب ركن الدين، ابن السلطان ملكشاه، أحد سلاطين السلاجقة، بعد وفاة والده دخل مع عمه تاج الدولة تتش، في صراع أودى بحياة هذا الأخير،توفي سنة498هـ/1105م،انظر،ابن خلكان،المصدر السابق،مج.1،ص.268؛ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.77.

[8] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.122، ابن الأثير ،المصدر السابق،ج.08 ،ص.487، ابن العديم ،زبدة الحلب،ج.2، ص.107، ابن خلدون ،المصدر السابق،ج.05، ص.17-18؛احمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، 1985،دار النهضة العربية،القاهرة،ص.36.

ودخل في صراع مع ابن أخيه بركياروق فعاد إلى الشام[1]، ولكن آماله لم تنته إذ نجده ينتصر مرة أخرى على ابن أخيه عند سرخاب (إحدى قرى الرَّي فيما وراء النهر)، وعلى إثر ذلك لقي التأييد من الخليفة العباسي المستظهر بالله[2].

واصل تتش زحفه إلى أن دارت معركة بينه وبين بركياروق سنة 488هـ/1095م، وفيها انهزم وقُتِل تتش[3]، وبهذا انتهت آماله في تكوين دولة مترامية الأطراف، لتدخل بذلك بلاد الشام فترة عصيبة في تاريخها، من أجل التنافس على السلطة والسيادة، وكل ذلك عاملا مساعدا لنجاح الصليبيين في المنطقة.

3 - الإمارات العربية ببلاد الشام وصراعها قبل الغزو الصليبي :

إلى جانب التوسع السلجوقي في منطقة الشام، وتنافس القادة والأمراء نرى كذلك طموحاً سياسياً آخر لقادة القبائل العربية، إذ نرى قيام إمارات عربية بالمنطقة، حيث لعبت هي الأخرى دورا رياديا في الصراع السلجوقي،كما كان هناك صراعاً داخل الأسرة نفسها، مما أثر سَلبا على الوحدة السياسية. ومن بين هذه الإمارات نجد إمارة بني مرداس في حلب وأعلى الفرات[4]، ففي سنة 399هـ/1008م استولى صالح بن مرداس على مدينة الرحبة على نهر الفرات وأقام الخطبة للفاطميين، وبدأ يوسع نفوذه[5]،كما قام هذا الأخير بمهاجمة حلب، فدعاه حاكمها للصلح والتحالف، ولكن هذا الأخير أوقع به، وكان ذلك سنة 402هـ /1011م[6]. وبعد فراره من السجن تحالف مع زعماء بعض القبائل العربية لاقتسام بلاد الشام، حيث تمكن سنة415هـ/1025م من دخول مدينة حلب وقلعتها[7]، وظل يعمل لبسط نفوذه إلى أن قُتِل سنة 420هـ/1029م[8].

---

[1] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.123-124،ابن العديم ،المصدر السابق،ج.2،ص.108-110،ابن الأثير ،المصدر السابق،ج.8، ص.488-489.

[2] ابن الأثير ، المصدر السابق،ج.08، ص.495-496،الغامدي ،المرجع السابق،ص.192؛مسفر بن سالم عريج،المرجع السابق،ص.41.

[3] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص129-130، ابن العديم ،المصدر السابق،ج. 2، ص.119؛ محمد مؤنس أحمد عوض،الحروب الصليبية (العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12و13م)،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،1999/2000م ،ص.44 ؛ مسفر بن سالم عريج ،المرجع نفسه،ص.41-42.

[4] الغامدي ،المرجع السابق،ص.195.

[5] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.08،ص.53؛الغامدي،المرجع السابق، ص.195.

[6] ابن الأثير ، المصدر السابق،مج.08،ص.67،ابن العديم،المصدر السابق،ج.01،ص.180.

[7] الأنطاكي(يحي بن سعيد)، تاريخ الأنطاكي،تحقيق ،عمر عبد السلام تدمري،جروس برس،طرابلس، لبنان،1990،ص.390.

[8] الأنطاكي ،المصدر نفسه،ص.411؛ ابن العديم،المصدر السابق،ج.1،ص.201.

وأثناء تقدم الفاطميين باتجاه الشمال،كان قد اعتلى عرش الإمارة ابنيه نصر في حلب وثمال بالقلعة[1]، وظل نصر حاكما لحلب إلى أن قُتِل سنة 429هـ/1038م ودخل الفاطميون المدينة، تحت قيادة أنوتشكين الدزبري إلى أن توفي سنة433هـ /1042م، فدخلها ثمال بن صالح بموافقة الخليفة المستنصر الفاطمي، وفي سنة 436هـ/1044م وصله تشريف منه، وفي عهده درت الأرزاق ونعِم الناس بحياة الرخاء وأحسن السيرة معهم، وسرعان ما حدثت منافرة بين ثمال والمستنصر، وعلى إثرها تحرك جيش المصريين لانتزاع حلب، ولكنه لم يستطع. بعد ذلك بادر الأمير ثمال باسترضاء الخليفة الفاطمي، فصَلُحت الحال بينهما، وبقي بحلب إلى أن سلَّمها للفاطميين سنة 448هـ/1056م[2]، ولكن لم تستقر حال الفاطميين بالمدينة، إذ نجد أن محمود بن نصر قد دخلها سنة452هـ/1060م[3]، ونتيجة الخلافات والنزاعات وازدياد الضغط الخارجي سقطت الإمارة، في أيام سابق بن محمود بن نصر سنة 473هـ/1080م، على يد شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي[4].

أما في ما يخص الإمارات العربية الأخرى، فنجد العقيلية والمروانية، فبعد سقوط الدولة الحمدانية سنة 369هـ/979م، ظهرت إمارتان العقيلية بالموصل والمروانية بشماله، حيث تأسست الأولى على يد المقلد بن المسيّب سنة 386هـ/996م، وهذا بعد انتزاعها للموصل من البويهيين[5]، وما إن وصل الحكم لمسلم بن قريش بن بدران بدأ يوسع إمارته وضم حلب إلى أن قُتِل أثناء مواجهته لسليمان بن قتلمش-سلطان سلاجقة الروم- سنة 478هـ/1085م[6]، فخلفه أخوه إبراهيم إلى أن انهزم أمام تاج الدولة تُتُش سنة 486هـ/1093م، حيث استولى خصمه على الموصل، وسلمها لعلي بن مسلم إلى أن تخلى عنها لصالح السلاجقة سنة489هـ/1096م[7].

بينما الإمارة المروانية فتوطنت شمال الموصل، وكان ظهورها سنة 372هـ/982م وتوسعت في ديار بكر ومدنها، كما توسعت على حساب الموصل، وتولَّى هذه الإمارة ثلاث أمراء كلهم قُتِلوا إلى أن وصل الحكم إلى أحمد الملقب بنصر الدولة، توسعت على إثرها الإمارة ووطدت علاقتها بالعباسيين والبيزنطيين، ودخل أميرها في

---

[1] ابن العديم،المصدر السابق، ج.1 ،200-204.

[2] المصدر نفسه، ج1.ص.ص215-233.

[3] ابن الأثير ،المصدر السابق،مج.08، ص.ص.352- 353.

[4] ابن العديم، المصدر السابق، ج.1 ،ص.ص.288-303.

[5] ابن الأثير ،المصدر السابق ،مج.07، ص.ص.483-485 ، طقوش،المرجع السابق ،ص.59.

[6] ابن العديم ،المصدر السابق ،ج.1، ص.317؛ طقوش،المرجع السابق، ص.60.

[7] ابن الأثير ،المصدر السابق،مج.09، ص.05 ؛ الغامدي ،المرجع السابق ،ص.243.

خدمة السلاجقة. وبعد وفاته تمَّ اقتسام أملاك الإمارة، إلى أن سقطت هي الأخرى في أيدي السلاجقة سنة 478هـ/1085م[1].

إضافة إلى أنها قامت بالمنطقة إمارة أخرى هي إمارة بني منقذ بشيزر ويرجع الفضل في تأسيسها إلى سديد الملك علي بن المقلد بن منقذ صاحب كفرطاب[2]، حيث قام هذا الأخير بالاستيلاء على قلعة شيزر، التي كانت تحت أسقف مدينة البارة[3]، والتي كانت حينها موالية للبيزنطيين، لذا قام ببناء قلعة على نهر العاصي لتضييق الخناق عليها، وبعد ذلك تسلّمها من صاحبها مقابل مبلغ من المال، وكان ذلك سنة 474هـ/1081م[4]، دخلت هذه الإمارة في صراع مع سلاجقة الشام، واستطاعت أن تحافظ على وجودها،كما أنها استطاعت أن تنال رضى السلاجقة، وذلك بتقرب أميرها نصر بن علي بن منقذ وأعلن طاعته وولاءه للسلطان ملكشاه، فأقرَّه أميرا على شيزر وبعد موت السلطان، تجنبت الإمارة الدخول في الصراع بين القادة السلاجقة ببلاد الشام[5]. وأثناء زحف الصليبيين باتجاه بيت المقدس، راسلهم أميرها معلناً خدمته إياهم،كما أنه أرسل معهم من يدلَّهم عن الطريق وكيفية حصولهم على الغنيمة[6].

وإلى جانب ذلك استطاع بنو عمار تأسيس إمارة لهم في طرابلس، وكان لهم ذلك على يد أبي طالب عبد الله بن محمد بن عمار الطائي، الذي تولى قضاء طرابلس[7]، ولكن تمكن الفاطميون من استعادة طرابلس إلى الحكم الفاطمي، إلى أن استغل أبو طالب ابن عمار أحوال الشام أيام الشدة المستنصرية، واسترجع المدينة سنة 462هـ /1070م، وظل يدين بالولاء للفاطميين[8].كما استطاع أبو طالب بسط نفوذه على بعض المناطق المجاورة، واشتهرت في عهده بنشاطها الاقتصادي، إضافة إلى اهتمامه بالعلم والثقافة إلى أن توفي سنة464هـ/1072م[9]، فخلفه ابن أخيه جلال الملك علي بن عمار، إلاّ أن إخوة طالب نازعوه عن الإمارة، فاستعان بسديد الملك علي بن منقذ إلى أن انفرد بها[10]، ولقد كان جلال الملك ذو دهاء وسياسة، ويظهر ذلك

---

[1] طقوش،المرجع السابق،ص.61؛ الغامدي ،المرجع، السابق،ص.217.

[2] بلدة بين المعرة وحلب في منطقة جافة،انظر،ياقوت الحموي،المصدر السابق،مج.04،ص.470.

[3] بلدة من نواحي حلب، وهي ذات بساتين،كما أن البارة إقليم بالجزيرة الخضراء بالأندلس ،أنظر،الحموي، المصدر السابق،ج.1،ص.320.

[4] ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.113،ابن العديم،المصدر السابق،ج.1 ،306.

[5] الغامدي،المرجع السابق،ص.249-250، 252؛مسفر بن سالم عريج ،المرجع السابق،ص.91.

[6] مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،ترجمة حسن حبشي،دار الفكر العربي،1958،ص.ص.107-108.

[7] المقريزي ،اتعاظ الحنفا،ج.02،ص.307، الغامدي ،المرجع السابق،ص.253.

[8] الغامدي ،المرجع السابق ،ص.254.

[9] ابن الأثير،المصدر السابق ،مج. 8، ص.392، الغامدي ،المرجع السابق،ص.255.

[10] ابن العديم ،المصدر السابق،ج.02، ص.ص.34-36.

في علاقاته مع القوى المختلفة ببلاد الشام، إذ أن حكمه قد دام حوالي ثلاثون سنة[1]،ورغم سوء العلاقة بينه وبين الدولة الفاطمية، إلا أنه ظل معترفا بسيادتها الروحية[2]، وهذا من خلال العملة الفاطمية المضروبة في طرابلس، على عهد بني عمار[3]. ومن خلال ما حدث في بلاد الشام، من تنازع القوى السلجوقية، وسوء علاقة بني عمار بالفاطميين أدى في النهاية إلى سقوط الإمارة في يد الصليبيين سنة 502هـ/1109م .

كما ظهرت بالمنطقة إمارات أخرى، كإمارة ابن أبي عقيل في صور (455هـ-482هـ/1063-1089م، وبسبب تنازع السلاجقة والفاطميين على المدينة، خضعت أخيرا للحكم الفاطمي المباشر، وبتدهور أحوالها جعلها في النهاية تسقط في أيدي الصليبيين، إضافة إلى ظهور إمارة خلف بن ملاعب في حمص و أفامية 466-491هـ/1074-1098م، والتي دخلت هي الأخرى في صراع مع إمارة شيزر[4]، وأثناء عبور الجيش الصليبي باتجاه بيت المقدس ،كانت بعض المدن كشيزر وحمص وحماة في خدمتهم[5]. وعليه فإن بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، لم تكن أحسن حالا أثناء قدومهم، إذ نجد أن الصراع السياسي بين القادة والأمراء السلاجقة، كما نجده أيضا بين الأمراء العرب قد وصل ذروته، مما زاد هوّة الفُرقة بين مجتمع الشام فضلاً عن الخلافات المذهبية والعِرقية، قد زادت هي الأخرى من حدة التفرق والتشتت، وهذا أدى إلى سقوط مدن الشام، وتقدم الصليبيين باتجاه هدفهم المنشود.

4 - صراع الأمراء و القادة السلاجقة في بلاد الشام :

حل بالدولة السلجوقية ضُعف وتمزق بعد وفاة السلطان ملكشاه، وبهذا تهيأ الجو للقادة الأتراك لتحقيق أطماعهم، وخاصة بني أرتق[6] وتأسيس إمارات خاصة بهم في الشام وأعالي الفرات[7]، فبمقتل تاج الدولة تتش سنة 488هـ/1095م، ظل مصير الشام معلق بيد أبنائه وبقادته وزعمائه، إذ نجد الاصطدام بين ولديه دقاق ورضوان

---

[1] الغامدي، المرجع السابق، ص.255-256.

[2] المرجع نفسه،ص.254.

[3] أنظر، LAVoix (Henri) ,Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque national ,Egypt et Syrie, Imp., Nationale, Paris,1896,pp.131-133. ؛ الغامدي، المرجع السابق، ص.254-255.

[4] الغامدي،المرجع السابق،ص.259، 264 ،267.

[5] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2،ص.43.

[6] أرتق بن أكسب جد الملوك الأرتقية، وهو من التركمان، ولاه تاج الدولة تتش على القدس وبعد وفاته(448هـ-1057م/449هـ-1085م) ملك ولداه ايلغازي وسكمان من بعده، إلى أن قامت الدولة الفاطمية بانتزاع القدس منهما في سنة491هـ/1098م.
أنظر، ابن خلكان، المصدر السابق، ج.1، ص.191.

[7] الغامدي ،المرجع السابق،ص288-289.

ومن ناصرهما وجعلهما عدوين[1]، إذ أصبحت مدينة حلب وقلعتها بيد رضوان، بمساعدة الأتابك جناح الدولة حسين[2]، في حين أصبحت دمشق تحت حكم أخيه دقاق بمساعدة الأمير ساوتكين نائب أبيه تتش[3]. وهكذا أخذ القادة والزعماء والأمراء يعمل لمصلحته، مستغلا أحقية كل ابن في الميراث، ومن خلال ذلك نرى بأنَّ التمزق السياسي قد عاد إلى بلاد الشام، و بدأ كل طرف يهاجم ممتلكات الآخر[4].

ومن الشخصيات التي برزت أثناء صراع الأخوين، ياغي سيان حاكم أنطاكية، الذي نراه بحكم مصلحته وخلافاته مع بعض القادة ينحاز إلى دقاق وتارة أخرى إلى رضوان[5]، وحينما خرج هذا الأخير وأتابكه[6] جناح الدولة حسين وياغي سيان ويوسف بن ابق التركي، للتوسع على حساب إقليم الجزيرة فكان لهم ذلك[7]. وتوجهت أنظارهم إلى مدينة الرُّها، إلا أنهم واجهوا مقاومة من أحد قادتها وهو ثوروس Thoros الأرميني، ولكنه لم يستطع فسلم المدينة، فقام الملك رضوان بإقطاعها لياغي سيان فحصنها وشحنها بالجنود، إلا أن الوجود السلجوقي بها لم يطل وجوده[8].ولم تلبث أن ساءت العلاقة بن رضوان وياغي سيان، إذ قام رضوان بانتزاع معرة النعمان[9] من أملاك ياغي سيان،بمساعدة الأمير وثاب بن محمود المرداسي، وغيره من لهم ولاءٌ سياسي[10]، وأقطعها لسكمان بن أرتق وسار معه إلى دمشق، لانتزاعها من الملك دقاق[11]، وبهذا أصبحت بلاد الشام منقسمة على

---

[1] ابن العديم،المصدر السابق،ج.01، ص.235-336،ابن الأثير ،المصدر السابق،ج.08،ص.502، ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.130.

[2] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.130،ابن الأثير ،المصدر السابق،مج.08، ص.502،ابن العديم ،المصدر السابق،ج.1،ص.336؛ مسفر بن سالم عريج، المصدر السابق، ص.43.

[3] ابن العديم،المصدر السابق،ج.01، ص.337،ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.130؛ مسفر بن سالم عريج،المصدر السابق، ص.ص.45- 46.

[4] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.132،ابن العديم،المصدر السابق،ج. 2،ص.124-126؛ حسين محمد عطية ،المرجع السابق،ص.112.

[5] حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.111-112.

[6] لقب يتكون من لفظين، أتا بمعنى أب وبك بمعنى أمير أي الأمير الوالد. و في ما بعد أصبح له سلطانا ونفوذا في الدولة، وأدى هذا النظام إلى تقسيم الدولة إلى دويلات استقل بحكمها الأتابكة، وأول من تلقَّب بذلك نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه. أنظر،ابن خلكان،المصدر السابق،ج.1،ص.365؛ الغامدي، المرجع السابق،ص.289-290 ؛محمد علي الصلابي، الدولة الزنكية ،دار المعرفة- بيروت،2007، ص.77؛ مسفر بن سالم عريج، المرجع السابق، ص.45،حاشية(1).

[7] الغامدي ،المرجع السابق،ص.275 .

[8] ابن الأثير ،المصدر السابق،ج.08،ص ص.503-504؛ الغامدي،المرجع السابق،ص.276.

[9] من مدن الشام، نُسِبت إلى الصحابي النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي كان والي العواصم وتلك النواحي، فلما مات ابن للنعمان بها سُميت بذلك الاسم، وتُسمى قديما بذات القصور. انظر، ابن العديم، بغية الطلب،ج.1،ص.127.

[10] ابن العديم ،المصدر السابق،ج. 2،ص.123.

[11] المصدر نفسه، ج.2، ص.124.

نفسها، وكل ما يحدث لصالح القوة المتربصة بالمنطقة، كما نجد مرة أخرى أن العلاقات تتحسن بين الملك رضوان والأمير ياغي سيان، نتيجة رحيل جناح الدولة أتابك رضوان واستقلاله بحمص، وبهذا أصبح ياغي سيان حليفاً لرضوان وأتابكاً له[1].

استمر الخلاف بين الأخوين ومؤيديهما، في أثناء ذلك كانت جيوش الصليبيين قد أحرزت انتصارات على سلاجقة الروم في آسيا الصغرى[2]. وصلت الأخبار إلى بلاد الشام، فبدلا من توحدهم لمواجهة الموقف تفرقوا، حيث اتجه رضوان إلى حلب وسكمان بن أرتق إلى أعالي الفرات، بينما أتجه ياغي سيان إلى أنطاكية لمواجهة حصار الصليبيين بمفرده، في انتظار المساعدة من قادة وأمراء وملوك الشام[3].

5 - تراجع النفوذ الفاطمي ببلاد الشام :

إلى جانب الصراع السلجوقي وتنافس الإمارات العربية ببلاد الشام، نرى كذلك تراجعا للنفوذ الفاطمي وانهياره بالمنطقة، باستثناء بعض المدن كصور وعكا، وهذا يعود إلى توسع السلاجقة باتجاه الجنوب، إضافة إلى شدة الأزمة التي ضربت مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله(ت.1094م/487هـ)، كما أن هناك تمردا للجند والذي أحدث زعزعة في جهاز الحكم[4]، ولهذا قام الوزير بدر الجمالي برد فعل تجاه المتمردين، الذين تحينوا الفرصة واستقلوا عن الدولة الفاطمية، حيث تم التخلص منهم ،كما عاقب السكان، مما أثر سلباً على نفوسهم .

وحين قدوم الصليبيين إلى شمال الشام، لم تدرك الدولة الفاطمية حقيقة الحملة الصليبية، إذ اعتبرتها مثل سابقاتها البيزنطية كونها حملة لا تتعدى حدود أنطاكية، بحكم أن المدينة خضعت للنفوذ البيزنطي فيما سبق، وبهذا استغل الفاطميون هذا الظرف و أرسلوا إلى الصليبيين سفارة من أجل محاربة السلاجقة واقتسام بلاد الشام[5]، وكان ذلك في (جانفي-فيفري سنة1098م/491هـ)[6]، كما تحيَّن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، فرصة الصراع السلجوقي الصليبي في الشمال وحاصر بيت المقدس وانتزعها من الأراتقة، في شهر شعبان سنة491هـ/1098[7]، وبهذه الخلافات تمكن الصليبيون من تحقيق مآربهم عندما حلوا بالمنطقة.

---

[1] ابن العديم ،المصدر السابق، ج.2،ص.127،ابن القلانسي،المصدر السابق ،ص.133،الغامدي،المرجع السابق،ص.282.

[2] الغامدي،المرجع السابق،ص.283.

[3] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.129-130،ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.133-134،الغامدي،المرجع السابق، ص.ص.283-284.

[4] عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص.167؛ الغامدي، المرجع السابق،ص.294.

[5] الغامدي، المرجع السابق،ص.ص.294-296،حامد زيان غانم ،المرجع السابق،ص.46.

[6] عاشور، المرجع السابق، ص.ص.170-171.

[7] ابن خلكان ،المصدر السابق ، مج.01،ص.191؛ الغامدي، المرجع السابق، ص.297؛ عاشور، الحركة الصليبية ،ج.1،ص.116؛ مسفر بن سالم عريج، المرجع السابق،ص.51.

6- الطوائف الدينية والعرقية وأثرها على بلاد الشام :

عرفت بلاد الشام انقسامات لغوية ومذهبية وعرقية، إذ كانت العربية هي اللغة السائدة بين المسلمين وبقيت مستعملة في كل من أنطاكية واللاذقية، رغم صفتهما اليونانية. أما الأرمينية فقد انتشرت بين الأرمن[1]، إضافة إلى التركية المنتشرة بين الأتراك في آسيا الصغرى وأعالي الفرات وشمال الشام. أما الأقليات الدينية فتمثلت في الموارنة[2] والدروز[3] والنُّصيْرية[4] والباطنية[5]، ومن خلال ما حدث من تنافس وتباين سياسات الفِرَق، يكون ذلك قد أحدث تصدعا في الوحدة بين الساحل الشامي وداخله[6]. إضافة إلى أن هناك أقليات عرقية، والتي تمثلت في الأتراك[7] والأرمن والأكراد[8]، ووجود اليهود في شمال الشام، مثل أنطاكية واللاذقية في أحياء خاصة، ويشتغلون بصناعات مختلفة[9]. إن التركيبة السكانية لبلاد الشام لم تكن متناسقة عرقيا ولا دينيا، رغم كثرة العنصر العربي، ونتيجة لتأثير اليعاقبة[10] في الشمال تمكنوا أثناء حكم ياغي سيان من بناء كنيستين في أنطاكية، حتى بعد استقرار

---

[1] من الشعوب الهند أوربية في آسيا الوسطى،أنظر، Gatteyrias(J.A),L'Arménie et Les Arméniens,Librairie Léopold Cerf,Paris,1882,p.7 .

[2] طائفة دينية مسيحية، وهم ساميون، من أتباع القديس مارون الذي ظهر في أواخر القرن الرابع الميلادي في نواحي أفامية ببلاد الشام. أنظر، جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام(هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة)، دار الكتب الجامعية،الإسكندرية، ط.3، 1971، ص.313، حاشية(1). وأنظر أيضا، La Grande Encyclopedie , 282

[3] من فرق الشيعة، ينبثق مذهبهم من مذهب الإسماعيلية، يتفقان في كثير من المعتقدات والاصطلاحات،وإن ظل الدروز يعتبرون أنفسهم مستقلين عن سائر الفرق،أنظر،بدوي عبد الرحمن،مذاهب الإسلاميين،د.ن،بيروت،1973،مج.2،ص.508.

[4] فرقة من غُلاة الشيعة،أنظر، الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)،الملل والنحل،تحقيق،عبد الأمير علي مهنا ،علي حسن فاعور،دار المعرفة-بيروت،ط.3، 1993م/1414هـ،ج.1،ص.ص.220-225.

[5] من فرق الشيعة ؛سُمّوا بذلك لحكمهم أن لكل ظاهر باطنٌ،ولكل تنزيل تأويلٌ، ،أنظر، الشهرستاني،المصدر السابق،ج1،ص.ص.228-235.

[6] الغامدي،المرجع السابق،ص.300.

[7] أحد الشعوب البدوية في آسيا الوسطى،تنتمي إلى جنس Ural-Altaic في المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي إلى جبال كيرغان Khir-Gan ،تشمل إقليمين وهي موطن كل من الشعبين المغولي والصيني،أنظر،زبيدة عطا،بلاد الترك في العصور الوسطى،دار الفكر العربي،د.ط، ص.ص.9-10.

[8] الغامدي ،المرجع السابق،ص.298-303.الأكراد ينسبون إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن،وقيل هم من ولد عمرو ميزيقياء بن عامر ماء السماء،وقيل إنهم من بني حميد بن طارق وينتهي نسبهم إلى أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب،وهم قبائل عدة منها: بنو كوران والهذبانيةو البشنوية،أنظر،الفارقي(احمد بن يوسف بن علي)،تاريخ الفارقي،الدولة المروانية، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة،1959 م/1379هـ، ص.49.

[9] أنظر، Cahen(Claude),La Syrie du nord A L' Époque des croisades et La Principauté Franque D'Antioche,Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris,1940, p. 187.

[10] قيل أنهم أتباع ديسقرس بطرك الإسكندرية والمسمى بيعقوب، وقيل كان له تلميذ اسمه يعقوب، وقيل أن يعقوب هذا كان تلميذا لشاويرش بطرك أنطاكية، وقيل يُنسبون إلى يعقوب البرذعاني تلميذ سويرس بطرك أنطاكية، وهم الذين قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أن الكلمة =

الصليبيين بالمنطقة[1]،كما أن المسلمين ليسوا أقل انقساما من المسيحيين، ولكن ليس هناك صراع بين المذاهب السنية الأربع، ويظهر المذهب السني في منطقة دمشق وفلسطين وبأقلية في الشمال، في حين يوجد الشيعة في شمال الشام بمختلف مذاهبهم[2]. وإلى جانب ذلك نرى صراعاً آخر قد زاد من اتساع الهوة بين مختلف المذاهب الدينية المسيحية، وهذا بعد حركة التوسع التي قامت بها الإمبراطورية البيزنطية في القرن العاشر الميلادي(الرابع الهجري)، لبسط سيطرتها وتثبيت أركانها في شرق آسيا الصغرى وبلاد الشام، وبدأ اضطهاد الأرمن والسريان اليعاقبة، إذ أصبح هؤلاء اقرب للصليبيين منهم للبيزنطيين، وهذا سهل إقامة إمارات لاتينية في المشرق ونشر وتكريس المذهب الكاثوليكي[3].

وعليه فإن تمزق بلاد الشام سياًسيا ومذهبياً وعرقياً كان عاملاً مساعدا لانتصار الصليبيين، ولمعرفة الدور الذي قامت به إمارة أنطاكية الصليبية وجب معرفة المدينة من حيث أحوالها السياسية، وموقعها الاستراتيجي ومكانتها الاقتصادية والدينية، لما لذلك من أهمية في تاريخها كإمارة صليبية في المشرق ومساهمتها الفعَّالة في العلاقات[4].

II- الحملة الصليبية الأولى و قيام إمارة أنطاكية الصليبية

1-الأحوال السياسية لمدينة أنطاكية :

أثناء الفتوحات الإسلامية، دخلها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13هـ-23هـ)/634م-644م)، تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح وكان ذلك سنة 636م/15هـ[5]، وبقيت أنطاكية بيد المسلمين إلى أن استرجعها الإمبراطور البيزنطي نقفور الثاني(فوقاس) Nicephorus Phocas سنة 969م/358هـ، وبهذا أعاد الكرسي البطريركي والمركز التجاري للدولة[6]. وبعد الكارثة التي حلت بالإمبراطورية في ملازكرت، استغل فيلاريتوس براخاميوس Philaritos Brakhamios الأرميني-نائب الإمبراطور في

=انقلبت لحما ودما، فصار الإله هو المسيح،وهو الظاهر بجسده، أنظر، الشهرستاني،المصدر السابق،ج.1،ص.ص.270-272، القلقشندي (أبو العباس أحمد)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الطبعة الأميرية-القاهرة،1918، ج.13،ص.278.

[1] أنظر، Cahen, op.cit, pp. 186-187.

[2] أنظر، Ibid.,p.188.

[3] عاشور سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية،ج.1،ص.ص.120-122؛ احمد الشامي،تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية ،القاهرة ، 1985 ، ص.ص.51-53.

[4] حسين محمد عطية، المرجع السابق،ص.106.

[5] ابن الأثير،المصدر السابق،مج .2،ص ص.342 -343؛ البلاذري،المصدر السابق،ص.200،ياقوت الحموي،المصدر السابق، ص.ص.268-269؛يحي الشامي،المرجع السابق ،ص.309.

[6] ابن الأثير ،المصدر السابق،مج.7،ص.318؛ الأنطاكي ،المصدر السابق،ص.134،حسنين محمد ربيع ،دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية،القاهرة،1983،ص.157.

مَلَطْية ومرعش– الظرف وأقام إمارة له، ومكن من استرجاع مَلَطْية[1] من السلاجقة واتسع نفوذه ووصل مدن إقليم قليقية مثل طَرَسُوس[2] والمصِّيصَة[3] وعينُ زَرْبَة[4]، بل أنه استطاع الاستيلاء على الرها وأنطاكية، ولم يلبث أن حدث تقارب بين الإمبراطور نقفور الثالث (1078م-1081م) وفيلاريتوس، حيث اعترف هذا الأخير بالسيادة الاسمية للإمبراطورية[5]. وإن دل هذا فإنما يدل على أن الأرمن أصبح لهم نفوذ في المنطقة الشمالية من بلاد الشام، وأصبحوا فيما بعد خير عون للصليبيين أثناء قدومهم، وبعد توسع السلاجقة في بلاد الشام، وآسيا الصغرى أصبحت مدن الشام قبلة للأتراك السلاجقة، إلى أن سقطت المدينة في يد سليمان بن قتلمش في سنة 1085م /477هـ، فسُرّ السلطان ملكشاه بذلك النصر، ولكن بعد مجيئه إلى بلاد الشام انتزعها من وزير سليمان بن قتلمش وأقطعها لياغي سيان[6].

ومن الملاحظ هنا أن قِصَر المدة بين سقوط أنطاكية في يد السلاجقة في سنة1085م، واستيلاء الصليبيين عليها سنة1098م491هـ أمر له مدلوله، إذ لم تكن الفترة كافية لمحو معالم الحكم البيزنطي وإزالة آثار الإدارة البيزنطية بها، مما جعل الإمبراطورية البيزنطية تتمسك بملكيتها الشرعية للمدينة منذ الوهلة الأولى، لقيام إمارة أنطاكية الصليبية[7]. وبحدوث الصراع بين ولدي تاج الدولة تتش[8]، أصبحت أنطاكية تعيش الصراع هي الأخرى، وهذا نتيجة دخول أميرها في الصراع بين الأخوين، فخر الملوك رضوان وشمس الملوك دقاق[9].

2-الموقع الاستراتيجي لمدينة أنطاكية :

مدينة أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية وأمهات مدنها، بينها وبين مدينة حلب مسيرة يوم وليلة (حوالي90كيلومتر)[10]، وهي من أعظم المدن بِناؤُها على شكل نصف دائرة محاطة، بسور له ثلاثمائة وستون

---

[1] بلدة من بلاد الروم تتاخم حدود الشام إلى الشمال شرق الأناضول،أنظر،الحموي،مج.5،ص.192- 193؛ يحي الشامي،المرجع السابق،ص.323-324.

[2] مدينة بثغور الشام من جهة بلاد الروم. أنظر،الحموي، المصدر نفسه، مج.4،ص.28.

[3] مدينة على شاطئ جيحان، من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم.أنظر،الحموي،المصدر نفسه،مج.5،ص ص.144-145.

[4] بلدة بالثغر من نواحي المصيصة سكانها أرمن.أنظر،الحموي،المصدر نفسه،مج.4،ص.177-178.

[5] عاشور،بحوث ودراسات في العصور الوسطى،ص ص.230-231.

[6] ابن الأثير،المصدر السابق ،مج.8،ص ص.435-436؛ براور يوشع، عالم الصليبيين، ترجمة، قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة،1999،ص.44.

[7] عاشور، الحركة الصليبية، ج.1.ص.ص.100-101.

[8] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص ص.131-132؛ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.11.

[9] ابن القلانسي،المصدر السابق ،ص.133؛ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.ص.125-129.

[10] المقدسي ،المصدر السابق،ص.154؛ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج.1،ص.266؛البلاذري(أبو العباس أحمد)،فتوح البلدان، تحقيق ،عبد الله أنيس الطَّباع، مؤسسة المعارف،بيروت،1987،ص.223.

برجا[1]. وجاء في كتاب معجم البلدان للحموي: "وأنطاكية بلد عظيم، ذو سور وفصيل ولسوره ثلاثمائة وستون برجا، يطوف عليها بالنوبة أربعة آلاف حارس يُنْفَذون من القسطنطينية من حضرة الملك، يَضْمنون حراسة البلد سنة ويُسْتبدل بهم في السنة الثانية، وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بالجبل والسور يصعد مع الجبل إلى قُلّته فتتم دائرة. وفي الجبل داخل السور قلعة تَبين لِبُعْدِها من البلد صغيرةً، وهذا الجبل يَسْتُر عنها الشمس فلا تَطْلُع عليها إلا في الساعة الثانية، وللسور المحيط بها دون الجبل خمسة أبواب"[2].

تمتد من سفْحِ جبل اللُّكام[3] إلى ضفة نهر العاصي[4]، المحاذي لسور المدينة، والذي يحوي خمس بوابات[5]. وتمتد على مسافة ميلين(3كيلومتر و200متر) وتحميها الأبراج والأسوار والتحصينات[6]، كثيرة العمارة دُورها حسنة البناء،كثيرة الأشجار والمياه[7]. ويُحصي رايموند أجيل القوة الصليبية التي حاصرت المدينة بثلاثمائة ألف بين فارس وراجل[8]، ومن خلال ذلك يتبين أن المدينة محصنة طبيعياً، كما أن تحصينها العسكري زادها أهمية، ويظهر ذلك في مقاومتها للحصار الصليبي مدة طويلة، ولولا المؤامرة مع أحد المستحفظين على الأبراج لما سقطت.

---

[1] القفطي(جمال الدين يوسف) ،تاريخ الحكماء، نشر جوليوس ليبرتس، لايبزغ، برلين،1903،ص.296 ،في حين يقول مؤرخ مجهول "بأن مدينة أنطاكية محاطة بسورين أحدهما شديد الارتفاع، عجيب البناء فيه أربعمائة وخمسون برجا،تحيط بها من جهة الشرق أربعة جبال"، بينما يقول بطرس توديبود:"وأنطاكية مدينة ذائعة الصيت،داخل أسوارها أربعة جبال ضخمة،في قمة أعلى هذه الجبال قلعة منيعة،وفي السفح تقع المدينة ويحيط بها سوران أكبرهما شُيِّد بالحجارة فوقه أربعمائة برج"ويقول ابن الشحنة "أن طول سورها اثنتي عشر ميلا وعدد أبراجها مائة وستة وثلاثون برجا ،أنظر، مجهول، أعمال الفرنجة، ص.103؛توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية،دار المعرفة الجامعية،1998،ص.259؛ابن الشحنة،المصدر السابق، ص.220.

[2] الحموي، المصدر السابق،مج.1،ص.267.

[3] جبل مشرف على أنطاكية وأرمينية،انظر ياقوت الحموي،المصدر السابق،مج.5،ص.22.

[4] اسمه القديم الأورنط، ويسمى كذلك بالمقلوب لأنه يجري باتجاه الشمال، وأغلب الأنهار تجري باتجاه الجنوب، أنظر:القلقشندي، المصدر السابق ،ج.4،ص.80.

[5] أنظر، Guillaume de tyr,op.cit.,T.I,pp.206-208 .

[6] أنظر، Raimond de Aguilers, Histoire des Francs qui ont pris Jérusalem, traduction de Guizot(M) dans, C.M.R.H.F., Paris,1824,p.241. للمزيد حول حصانة أنطاكية. أنظر الخريطة (04)، ص.222.

[7] ابن بطوطة،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،المطبعة الأزهرية بمصر، 1928، ج.1،ص43 .

[8] أنظر، Raimond D'Agiles, op.cit,p.242. ؛ويقول وليم الصوري:"رغم القوة الصليبية المعتبرة ؛إلا لم أنها تستطع التمركز بشكل جيد،ويُحصِي ذلك بأكثر من ثلاثمائة ألف"بينما ابن العديم يقدر عددهم ب:"ثلاثمائة وعشرون ألف"،أنظر، ابن العديم،المصدر السابق،ج.2 ،ص. 130-131؛ وأنظر أيضا، Guillaume de Tyr,op.cit.,T.,I, p.207

3- المكانة الاقتصادية :

مدينة أنطاكية تتميز بموقعها الجغرافي المحاذي لساحل البحر مما زادها أهمية اقتصادية، إذ أصبحت ملتقى الطرق التجارية في العصر الوسيط، و محطة على الطرق الرئيسية[1]. ولقد اشتهرت المدينة بعدة صناعات، فكانت مصانعها تنتج الملابس الحريرية والصابون والزجاج والفخار والسّجّاد[2]، وتتميز بوجود ميناء السويدية(سمعان) على البحر الأبيض المتوسط، شكّل لها منفذاً رئيسيا ولعب دوراً رياديًاً في رسو سفن الغرب اللاتيني، في عهد الحروب الصليبية[3].

4- المكانة الدينية :

تكتسب المدينة أهمية دينية، إذ نجدها من أهم المدن الشرقية، تتميز بكثرة سكانها ومعابدها ومسارحها[4]، وأصبحت للمدينة مكانة في ظل الديانة المسيحية، وفَد إليها المبشرون بالدين المسيحي[5]. إضافة إلى أن المسيحيين أخذوا اسمهم بأنطاكية، وأسس بطرسPierre أول أسقفية بها[6]، كما تعددت كنائسها والتي تكاد تبلغ ثلاثمائة كنيسة، ويوجد بها ستون ديْراً ويُشرف بطريركها على مائة وثلاثة وخمسين أسقفاً[7]، إضافة إلى أنها أصبحت ملتقى الحضارتين اليونانية والعربية[8]. لذا نرى بأن الاستيلاء على مدينة أنطاكية، أصبح يمثل للصليبيين نصراً روحيا، فضلا عن النصر السياسي الإستراتيجي.

---

[1] عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.205؛ الحويري محمد محمود،الأوضاع الحضارية في بلاد الشام خلال القرنين 12و13،دار المعارف،1979،ص.122-123.

[2] الحويري، المرجع السابق،ص133-136؛ رانسيمان ستيفن،تاريخ الحملات الصليبية،ترجمة، نور الدين خليل ،الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة،1994 ،ج.2،ص.35؛حسين عطية،المرجع السابق،ص.107.

[3] الحموي، المصدر السابق،ج.1،ص.268.

[4] أنظر: Bouchier(E.S),Ashort history of Antioch,oxford,1921,p.274.

[5] قال الله سبحانه:((واضرب لهم مثلا ؛أصحاب القرية؛ إذ جاءها المرسلون) الآية 13 من سورة يس ؛قال إسحاق: فيما بلغه عن ابن عباس (رضي الله عنهما)،وكعب الأحبار ووهب بن منبه ؛أنها مدينة أنطاكية ؛ وكان بها ملك يقال له أنطيخس ؛كان وثنيالديانة فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل؛ وهم صادق وصدوق وشالوم؛ فكذبهم ،وهكذا روي عن بريدة بن الخصيب وعكرمة وقتادة والزهري أنها أنطاكية ،وقال تعالى فعززنا بثالث؛ أي قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث، قال؛ ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبايٍّ قال كان اسم الرسولين شمعون ويوحنا والثالث بولس واسم القرية أنطاكية، أنظر ،صفي الرحمن المباركفوري، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير،دار السلام للنشر والتوزيع ،الرياض،ط.2، 2000،ص.ص .1137-1138؛ابن العديم،بغية الطلب ،ج.1،ص.ص.99-100.

[6] عاشور،المرجع السابق، ج.1، ص.205؛ Runciman(S),op.cit,1995,Vol,I,p.213

[7] مجهول،المصدر السابق، ص.103؛بينما يقول توديبود بأنه يوجد بها ألف ومائتي كنيسة و360ديراً،أنظر، توديبود،المصدر السابق، ص.259.

[8] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.205.

5-الإعداد للحملة الصليبية في الغرب اللاتيني :

في ظل صراع القُوى الإسلامية ببلاد الشام، كان الغرب حينها قد أعدّ العُدة لخوض غمار الحرب الصليبية ضد المسلمين في المشرق، إذ أن البابا أوربان الثاني Urban II(1088-1099م)، عقد مجمعا في مدينة بياكنزا Piacenza شمال إيطاليا في شهر مارس 1095م، حيث تلقى نداء من الإمبراطور اليكسيوس يطلب مساعدته، وفي 26 من شهر نوفمبر في السنة نفسها انتقل البابا إلى كليرمونت Clermont بجنوب فرنسا، حيثٌ أقام هناك مجمعا وألقى خطابه[1] بين جموع المسيحيين[2].

وفي الحقيقة أن خطابه الحماسي هذا وما لوّح به من مكاسب دينية ودنيوية، لقي استجابة فورية من الحاضرين، إذ أن فكرته لطالما كانوا ينتظرونها، فقد كانت الدعوة إليها تناسب العصر تماما، حيث كان المجتمع الإقطاعي بغطرسته وتعصبه الديني ضد غير الكاثوليك على أُهبة الاستعداد لتلبية النداء، لحل مشاكلهم الدنيوية ويضمن لهم خلاص الروح[3]. ولقد ترددت كلمات" إنها إرادة الله" أثناء الخطاب البابوي تُبين مدى تزكية تلك الحرب من البابا، والتي رددها الحاضرون، وتعتبر توقيعا إلهيا لخوض غمارها[4].

وعلى إثر ذلك سارع الكثيرون إلى البابا يقسمون له بقيام رحلتهم، كما أخذوا يخيطون صلبانا من القماش على ستراتهم رمزا لأخذهم شارة الصليب[5]، وكان أولهم أدهيمار Adhemar أسقف مدينة بوي Puy الفرنسية، الذي جعله البابا مندوبا عنه، وقائدا روحيا للحملة الصليبية ليضفي عنها الصبغة الدينية، وتكون للبابوية أفضلية في زعامة العالم المسيحي[6]. ويقول فوشيه الشارتري:" أواه كم أسعدنا نفوسنا وأثلج صدورنا، أن نرى هذه الصلبان المصنوعة من الحرير ومن الجوخْ المذَهّب، أو أي نسيج آخر فاخر، وقد حاكها هؤلاء الحجاج فرسانا وعامة على أكتاف أرديتهم"[7]. ولقد تم الاعتراف بكل الفرسان الذين لبوا النداء، وأقسموا على الذهاب وصار الصليب رمزا لكل منهم، إذ أن حامله ينتمي لجماعة الحجاج حاملي السلاح، كما له ميزة ثانية تدل على

---

[1] للإطلاع على خطاب البابا أوربان الثاني. أنظر الملحق(02)، ص.203.

[2] باركر أرنست، الحروب الصليبية ،ترجمة باز العريني، دار النهضة العربية، بيروت،ط.2، د.ط، ص.23.

[3] قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1993،ص.106.

[4] أنظر، Robert Le Moine ,Histoire de la Premiere Croisade,traduction de Guizot(M), dans, C. M.R.H.F., Paris,1825,p.305.

[5] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق،ص.107.

[6] باركر، المرجع السابق،ص.23.

[7] فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ت. زياد جميل العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ص.37.

الامتيازات الدنيوية، ويبدو أن ذلك فتح آمالا جديدة لشرائح المجتمع اللاتيني[1]. وقد تم تحديد موعد الانطلاق في صائفة السنة التالية(1096م)، ويكون مكان التقائهم في القسطنطينية[2].

وبعدها تنقّل البابا إلى مناطق ومدن أخرى من فرنسا، حيث عقد مجمعا في ليموج Limoges (ديسمبر1095م)، وواصل دعوته في تورTours وبواتييه Poitiers وبوردوBordaux وتولوزToulouse في الفترة الممتدة من جانفي إلى جوان1096م، وفي مجمع نيمس Nimes (جويلية1096م) كان رفقته ريموند الرابع[3]، الذي أشار عليه بضرورة الاستعانة بالقوة البحرية الايطالية[4]، بعد ذلك عاد البابا إلى إيطاليا بعد رحلة دامت ثمانية أشهر. وعليه فإن خطابه كان على أرض فرنسية، كما كان هو نفسه فرنسيا واستمرت في جوهرها مشروعا فرنسيا، بل يجوز أن نقول بأنها فرنسية نورمانية[5]. وعقب اجتماع كليرمونت بدأت عامة شرائح المجتمع في الغرب اللاتيني، تتجهز للرحيل لخوض الحرب المقدسة، غير أن البابا أوربان الثاني انزعج لتلك الاستجابة الحماسية والسريعة للفئات غير المحاربة، إذ أنه حاول منعها لكنه لم يستطع[6].

ولقد اختار البابا طريقين رئيسيين لمسير الحملة الصليبية، إذ أن الأول يمر بمملكة المجر(هنغاريا) مرورا ببلغراد، على الحدود البيزنطية على الطريق العسكري الذي يقطع البلقان Balkans، والذي سار خلاله جودفري البولوني Godefroy of Bologne(1061-1100م)، وباقي القادة عن طريق إيطاليا وصولا إلى مدينة ديراخيونDyrrachion، بينما سار في طريق مختلف كل من بوهمند التارونتي وريموند التولوزي، وكانا آخر من وصل[7]. ورغم القيام بكل الإجراءات التي يجب إتباعها، إلا أن هناك من لم ينتظر وسار متحمساً لمطلبه، بقيادة

---

[1] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق،ص.107.

[2] باركر أرنست، المرجع السابق، ص.23 ؛سعيد عمران،تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص.26؛ قاسم عبده قاسم، الحملة الصليبية نصوص ووثائق تاريخية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة،2001،ص.135؛المرجع نفسه، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1993،ص.108.

[3] كونت تولوز هو أحد قادة الحملة الأولى، حيث قام ريموند بحمل الصليب وسار باتجاه الشرق مع بقية القادة، رفض تولي العرش في بيت المقدس،كان يحلم بتأسيس إمارة له في طرابلس، توفي في28 فيفري سنة1105م خلفه ابن أخته وليم جوردان William Jordan الذي دخل في صراع مع برتراند ابن الكونت ريموند الوريث الشرعي سنة1109م ، وبوفاة جوردان أصبح برتراند سيدا للإمارة إلى أن توفي سنة 1112م. أنظر، ماير(إتش.إ)، تاريخ الحملات الصليبية،ترجمة محمد فتحي الشاعر،دار الأمين القاهرة، 1999، ج1، ص.106؛ La Grande Encyclopédie, T.31, p.213

[4] عاشور، المرجع السابق، ج.1، ص.ص.134-135.

[5] باركر، المرجع السابق،ص.23.

[6] قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص.ص.107-108.

[7] أنظر، Mackay Angus and Ditchburn David, Atlas of Medieval Europe, Routledge, London, 1997,p.86.

بطرس الناسك Peter the Hermit[1]، إلا أن ذلك قد انتهى بهزيمة نكراء فتفرق شملهم في آسيا الصغرى، وقد أُطْلِق على هذه الحملة اسم الحملة الشعبية[2].

6-وصول الصليبيين إلى القسطنطينية وزحفهم باتجاه الشام :

لم تلبثْ أنْ حطّت الرحالَ جحافلُ جيوشِ الأمراء والفرسان[3]، بأرض القسطنطينية(أفريل 1097م) وبدأت المفاوضات[4]، بين إمبراطورها ألكسيوس كومنينوسAlexius Comnenus (1081م-1118م) وقادة الحملة بخصوص الاتفاق وإعلان الطاعة والولاء له، ماعدا الكونت ريموند الصنجيلي، الذي كان رافضا لتبعية

---

[1] راهب من مدينة أميانزAmiens الفرنسية، لعب دورا في التبشير للحملة الصليبية الأولى. وعلى الرغم من أن البابا اوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت، كان قد حدد وقت الزحف، إلا أن بطرس لم ينتظر حلول ذلك التاريخ، وبادر بالخروج للأراضي المقدسة بعامة الفلاحين ومن كان ، متحمسا للصليبية، إلا أنه تلقى شر هزيمة على يد سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، توفي في 8جويلية 1115م. أنظر، LA Grande Encyclopédie,op.cit.,T.26,P.901؛ قاسم عبده قاسم، المرجع السابق،ص.ص.111-115.

[2] مجهول، أعمال الفرنجة، ص.19-21 ؛ارنست باركر، المرجع السابق ،ص.26 ؛ سعيد عمران، المرجع السابق،ص.27 ؛ قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ،ص.115-116.

[3] تكونت جيوش الحملة الصليبية الأولى، على أساس من التقسيمات اللغوية والعرقية من جهة، وعلى أساس الروابط الإقطاعية من جهة أخرى، تحت قيادة أمراء وفرسان: جودفري البولوني Godfrey of Boulogne وأخيه بلدوين Baldwin من اللورين، وروبرت دوق نورماندي Robert Duke of Normandy وزوج أخته ستيفن كونت بلوا Stephen of Blois، من غرب فرنسا ونورماندي أما الجيش الثالث، كان بزعامة ريموند الرابع Raymond IV كونت تولوز من جنوب فرنسا والبروفنسال، بصحبته المندوب البابوي اديمهار لوبوي Adhemar Le Puy، أما أصغر الجيوش فكان جيش هيو كونت فرماندوا Hugh Count of Vermandois شقيق ملك فرنسا فيليب الأول،كما كان هناك جيش خامس من جنوب ايطاليا، تحت قيادة بوهمند النورماني وابن أخته تانكريدTancred.أنظر، مجهول، المصدر السابق،ص. 22-28 ؛ أرنست باركر،الحروب الصليبية،ترجمة الباز العريني،دار النهضة العربية،ط.2، ص.26-27؛ قاسم عبده قاسم،المرجع السابق ،ص ص.117-118؛ رايلي سميث جوناثان، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ت. محمد فتحي الشاعر،،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط.2، 1999،ص .109؛العروسي المطوي، المرجع السابق،ص.48؛ وأنظر أيضا، Michael Paine,The crusades,Pocket-Essentials,Trafalgar Square,U.S.A,2005,p.34;Purton Peter,A History of the Early Medieval Siege450-1200, The Boydell Press,Woodbridge, U.K.,2009,p.210; Alan Jamieson (G), Faith And Sword, Reaktion Books,London, U.K.,2006,p.53.

[4] فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص.45؛ Anna Comnena, The Alexiad, Translated by Elizabeth Dawes(A.S),Byzantine Series, Parentheses Publication,Cambridge, Ontarion, 2000,X, pp.186- 190.؛ ويقول صاحب أعمال الفرنجة:"أن الإمبراطور ؛بعث لبوهمند سراً لمفاوضته؛واشترك في تلك المقابلة جودفري وأخيه بولدوين...وقد وعد الإمبراطور بوهمند الشجاع؛أن يقطعه أرضاً وراء أنطاكية؛تمتد خمسة عشر يوما طولاً وثمانية أيام عرضاً، إذا أقسم بوهمند للإمبراطور يمين الولاء دون رجاء، وعاهده الإمبراطور أنه لن ينسى أبداً وعده إليه طالما هو مقيم على يمينه...ووعد الإمبراطور من جانبه جميع رجالنا الوفاء بما عاهد، وأن يضمن لهم السّلامة والتموين=

الإمبراطور[1]. وبعد أن تم إقناعه بذلك استجاب[2]، ولكنه لم يحضر حفل الاحتفاء بالعهد، في حين غادر كل من تانكريد[3] وريتشارد السالرنيRichard of Salerno، ليتجنبا القسم الإمبراطوري بحيث عبرا مضيق البسفور بجيش بوهمند[4]، ويبدو أن وعد الإمبراطور لبوهمند وإقطاعه أرضا حول أنطاكية كان إرهاصا بميلاد إمارة أنطاكية النورمانية، والتي أصبحت فيما بعد ذات شأن كبير بالنسبة للصليبيين[5].

ولم تفتأ أن واصلت الجيوش الصليبية مسيرها وحاصرت مدينة نَيْقِية[6]، ووصلت الإمدادات الإمبراطورية

=بل أنه سيرافقهم بجيشه برا وبحرا"في حين يقول بطرس توديبود:"أن الإمبراطور وعد بوهمند بأن يقطعه أرضا من أنطاكية تساوي مسيرة خمسة عشر يوما طولا ومسيرة ثمانية أيام عرضا،ومن جانبه يتعهد الإمبراطور بأن يفي بوعده ما لم ينقضه بوهمند"، أنظر، مجهول، المرجع السابق، ص.ص.30-31

؛بطرس توديبود، المصدر السابق،ص.81-82.

[1] رفض الكونت ريموند الاعتراف بسيادة الإمبراطور، ولم يكن قدومه لهذا السبب، وإنما من أجل الضريح المقدس، وهو في أتم الاستعداد للاستجابة والقسم بشرف وحياة الإمبراطور والسير في موكبه وطاعته،إذا وافق هذا الأخير على إعداد العدّة والسير معهم باتجاه بيت المقدس، أنظر،بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،ترجمة حسين عطية،دار المعرفة الجامعية،مصر، 1998،ص.82 ؛ Raimond de'Aguilers,op.cit.,pp.233-234.

[2] أصبح ريموند في مكان لا يُحسد عليه، حيث تمكن غريمه بوهمند من كسب ود الإمبراطور، في حين يصبح هو تابعا له، بمعنى أصبح تحت زعامة خصمه، وهذا لا يقبله خاصة وأن ريموند كان قد خوّله البابا زعامة هذه الحملة.كما أن الإمبراطور الذي سيُحظى بهذا التبجيل، يبقى قابعا في القسطنطينية وهذا غير مقبول، ولذلك سيوافق ريموند إذا سار الإمبراطور على رأس القوات الصليبية باتجاه بيت المقدس. ولكن سرعان ما تأزم الوضع بين الكونت والإمبراطور، فتدخل جودفري وقال لريموند ليس من الحكمة أن تشن حربا على المسيحيين في القسطنطينية، في حين أن المسلمين يترقبون عن كثب.كما أن بوهمند أعلن صراحة وقوفه إلى جانب الإمبراطور. لذا اقسم ريموند على احترام حياة اليكسيوس وشرفه رافضا الولاء والتبعية وبعد ذلك تحسنت النية بين ريموند واليكسيوس، عندما أسرّ هذا الأخير لريموند بتخوفه من بوهمند، ولن يُمكِّنه من قيادة القوات الصليبية في آسيا الصغرى، ولهذا هدأت نفس الكونت وأطمأنت. ووجد في الإمبراطور خَيْر حليف للتصدي لأطماع بوهمند. أنظر، بطرس توديبود،المصدر السابق ،ص.81 ؛عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.157-159؛ ؛قاسم عبده قاسم،المرجع السابق،ص .120.

[3] من قادة النورمان في صقلية خرج مع خاله بوهمند في الحملة الصليبية الأولى، رفض إعلان الولاء للإمبراطور دخل مع بلدوين البويونيفي صراع حول مدن قليقية، تولى الوصاية على أنطاكية مرتين، ظهر هذا الفارس الأمير بمظهر القوة التي مكنته من إرساء دعائم إمارة أنطاكية أثناء غياب خاله إلى غاية وفاته سنة1112م.أنظر، La grande Encyclopedie, T.30,p.909.

[4] مجهول،المصدر السابق ،ص.30-32؛وليم الصوري،الحروب الصليبية،ترجمة حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991،ج.1،ص.ص. 185-186؛ جوناثان رايلي سميث،المرجع السابق ،ص.110.

أنظرأيضا، Albert D'Aix, Histoire des Faits et Gestes dans les Régions D'outre-Mer, traduction de Guizot(M),dans,C.M.R.H.F.,Imp., De A., Belin, Paris,1824, T.I,p.68.

[5] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.156.

[6] من أعمال اسطنبول من الجهة الشرقية، عُقِد بها أول مجمع كنسي حضره 318 أبا من الملة المسيحية. أنظر، الحموي، المصدر السابق،ج.5،ص.333. للمزيد عن خط سير الحملة من القسطنطينية إلى القدس. أنظر الخريطة (05)، ص.223.

لحصارها الذي طال أكثر من شهر، ولكنها استسلمت أخيراً للإمبراطور البيزنطي في26 جوان سنة 1097م[1]. وبعد ذلك زحف الصليبيون باتجاه الشرق متغلغلين داخل أعماق آسيا الصغرى، خاضوا معركة أبلى فيها كِلا الطرفين بلاءً حسنا وهي وقْعةُ ضورُوليوم (قرب أسكي شهر) كانت في أول جويلية 1097م، وعلى إثرها تقدم الصليبيون باتجاه شمال الشام[2]. وتمكن الصليبيون من دخول قونية والاستيلاء على هِرْقلية[3] ثم طرسوس وأَذَنَة[4] والمصيصة، وغيرها من الحصون المهمة إلى أن وصلوا إلى مرعش فأنطاكية وبدأوا بمحاصرتها[5].

7 - قيام إمارة الرُّها الصليبية :

بعد أن وصل الصليبيون إلى مرعش[6]، انشق عنهم بلدوين البولوني من أجل إقامة إمارة خاصة به، فغادر الجيش الصليبي في 17أكتوبر سنة1097م متوجها إلى منطقة الفرات، لعله بذلك يحقق هدفه[7]. من خلال ذلك وما سبق من تنافس بين تانكريد وبولدوين، حول ملكية طرسوس[8]، ويتضح من خلال ذلك أن الأطماع

---

[1] فوشيه الشارتري،المصدر السابق،ص.47؛ مجهول، المصدر السابق،ص.33-37؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس في الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، تأليف وترجمة وتحقيق، سهيل زكار، دمشق،1995،ج.6، ص.ص.186-187؛بطرس توديبود، المصدر السابق،ص.111؛ عاشور،المرجع السابق،ج.1، ص.163؛ وأنظر أيضا، Guillaume de Tyr ,op.cit.,T.I,p.149-150

[2] مجهول ،المصدر السابق،ص.38-42؛بطرس توديبود،المصدر السابق،ص.111-115؛ قاسم عبده قاسم ،الحملة الصليبية الأولى ،نصوص ووثائق تاريخية، ص. ص.191-192 ؛أرنست باركر،الحروب الصليبية،ترجمة الباز العريني،دار النهضة العربية ،ط.2،ص.31؛Peter Purton ,op.cit,p.212

[3] مدينة ببلاد الروم،سمّيت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام.أنظر،الحموي،المصدر السابق،مج.5،ص.398-399.

[4] بلدة من الثغور، قرب المصيصة، يجري بها نهر سيحان. أنظر،الحموي،المصدر السابق، مج.1،ص.ص.132-133.

[5] مجهول،المصدر السابق،ص.42-48؛بطرس توديبود،المصدر السابق،ص.116-119؛وأنظر أيضا، Matthieu D' Edesse, Chroniquede Mathieu D' Edesse 962-1136 ,traduction, Edouard dulaurier,Meaux,- Imp.,A.Carro, Paris,1858,P.216 ;Guibert de Nogent ,Histoire des croisades, traduction de Guizot(M),Dans,C.M.R.H.F.,Depuis la Fondation de la Monarchie Française Jusqu'au 13e Siecle, Imp. DE A. Belin, Paris,1825 ,pp.106-108,116-117.

[6] مدينة من مدن الثغور بين الشام وبلاد الروم. أنظر، الحموي، المصدر السابق، مج.5، ص.107.

[7] وليم الصوري، المرجع السابق، ج.1ص ص.256-257؛ عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.176؛ علية عبد السميع الجنزوري،إمارة الرُّها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2001،ص.53؛ أرنست باركر،المرجع السابق،ص.34؛ Lammens(S.J),La Syrie précis historique ,imprimerie catholique-Beyrouth,1921,Vol.1,p.211.

[8] مجهول،المصدر السابق ،ص.44-45؛ وليم الصوري، المصدر السابق، ج.1ص.237-239؛ بطرس توديبود،المصدر السابق، ص. 117 ؛أنظر أيضا، Guibert de Nogent op.cit, p.107

الشخصية قد تغلبت على وحدة الهدف. لقد تلقى بولدوين البولوني أثناء مسيره مساعدات أرمينية، واستولى على تل باشر[1] وراوندان[2]، مما دفع بحاكم الرها ثوروس Thoros الأرميني[3] طلب المساعدة منه.

ولكن الأرمن سرعان ما تخلوا عن حاكمهم وقتلوه[4]، وبعدها قام الأهالي بإعلان طاعتهم وولائهم لبلدوين في شهر مارس 1098م فعاد الأمن والطمأنينة للمدينة، واستطاع بولدوين تحقيق حلمه بتأسيس إمارة في الشرق ينفرد بحكمها[5]. وبهذا أقيم شعار دوق اللورين بين نهري دجلة والفرات، وهي أولى إمارات الغرب اللاتيني في المشرق الإسلامي، وظل يدير شؤونها إلى غاية شهر أكتوبرسنة1100م[6]، حيث غادرها في الثاني من هذا الشهر، باتجاه بيت المقدس ليتولى شؤونها بعد وفاة أخيه جودفري البولوني تاركا قريبه بلدوين اف لو بورغ Baldwin of Le Bourgue حاكما للرها[7] .

لقد لعب المسيحيون الأرمن دوراً فعَّالاً، في تقديم المساعدة للصليبيين في شمال الشام، وبهذا فُتِح الباب أمامهم باتجاه الهدف. واتضح ذلك في منطقة تل باشر على طريق الرُّها أنطاكية، وفي منطقة الرّاونْدان على الطريق بين مَرْعش وأنطاكية[8].

---

[1] قلعة حصينة في شمالي حلب، أهلها نصارى أرمن، أنظر،ياقوت الحموي،المصدر السابق،مج.2،ص.40.

[2] قلعة حصينة من نواحي حلب،أنظر،الحموي،المصدر نفسه،مج.3،ص.19.

[3] أمير الرُّها، لما سمع بتقدم الصليبيين؛وانتصاراتهم راسل بلدوين ؛طالبا منه المساعدة ضد الأتراك؛بل أنه تبناه لعدم وجود أبناء لثوروس، حيث قدِم بلدوين إلى الرها في ثمانين فارسا؛وتمت مراسيم التَّبنِّي وفقا لتقاليد الكنيسة الأرمينية،وهناك خلافٌ في مقتل ثوروس ؛هناك من يرى بأن بولدين قد تآمر على قتل ثوروس ،لينفرد بحكم الإمارة أنظر، Albert D'Aix,op.cit ,T,I,p.126؛ Guibert de Nogent, op.cit, p. 109؛فوشيه الشارتري،المصدر السابق،ص.52 ؛ Stevenson(M.A),The Crusaders in the East, Cambridge University Press,1907, PP. 24؛ عاشور، المرجع السابق، ج.1، ص.ص.181- 182 ؛علية الجنزوري،المرجع السابق،ص.ص.63-69؛ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص.122.

[4] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.1،ص.263-264 ؛ ؛عاشور،المرجع السابق،ص.183 ؛علية عبد السميع الجنزوري، المرجع السابق، ص ص.55-66.

[5] وليم الصوري ،المصدر السابق،ج.1،ص ص.263-264 ؛عاشور،المرجع السابق،ص ص.183-184 ؛علية الجنزوري، المرجع السابق ،ص.69 ؛ سعيد عمران ،تاريخ الحروب الصليبية1095-1291م،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة،2000،ص 30.؛ جوناثان رايلي سميث،المرجع السابق ،ص ص. 110-111؛.Runciman(S),Op.Cit,Vol.I,p.206

[6] أنظر، Foultcher de charters,op.cit,pp.34-35 ; Stevenson(M.A),op.cit , pp.22-24؛ براور يوشع ، المرجع السابق،ص.44؛ علية عبد السميع الجنزوري،المرجع السابق،ص.71 ؛ قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص.122؛ جوناثان رايلي سميث، المرجع السابق ،ص.111.

[7] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.283.

[8] المرجع نفسه،ج.1، ص.180.

8 – بداية حصار مدينة أنطاكية ومقاومة ياغي سيان

بوصول الصليبيين إلى مرعش، كانوا قد تلقوا معونة من سكانها وساروا باتجاه أنطاكية الواقعة على ضفة نهر العاصي، وانتصروا على جماعة من الأتراك كانت تزود المدينة بالمؤن وأخذوا كمية كبيرة من الطعام وأسلاب أخرى. وأثناء ذلك أخذ بوهمند معه أربعة الآف فارس وعسكر أمام إحدى بوابات المدينة لمراقبتها، وفي اليوم التالي أحكموا سيطرتهم على المدينة من الجهات الثلاث وكان ذلك في 21 أكتوبر1097م /490هـ[1].

ويقول ريموند أجيل:"كانت المدينة محصنة وحاصرها فرساننا من جهة الشمال، وكان ذلك في 22 من شهر أكتوبر"[2]، وكان ياغي سيان حاكم أنطاكية، قد أرسل رسله إلى أمراء وملوك المشرق من أجل طلب المساعدة[3]. واستمر الحصار على المدينة طيلة فصل الشتاء، وأصبح الصليبيون بحاجة ماسة إلى الطعام، لذا أرسلوا فرقا للبحث عنها في ضواحي المدينة بقيادة بوهمند وروبرت فلاندرز Robert of Flanders [4].

9 - رد الفعل الإسلامي ببلاد الشام :

أثناء حصار المدينة كان الملك شمس الملوك دقاق وأتابكه طغتكين، وجناح الدولة حسين يتقدمون بجيوشهم لنجدة أنطاكية، وقد كانت سرية من الإفرنج نزلت بمنطقة البارة فتتبعوها وقتلوا منها جماعة[5]، وحين عودة عسكر دمشق فارقه ابن ياغي سيان متجهاً إلى حلب، طالباً المساعدة من الملك رضوان الذي خرج بجيشه باتجاه أنطاكية، فلقِيَّه الإفرنج دونها فانهزموا إلى حارم، فلحقهم الإفرنج فانسحبوا إلى حلب[6]. وأثناء ذلك شنَّ ياغي سيان هجوما على المعسكر المحاصِر لأنطاكية والْحق به خسائر، وكان ذلك في أواخر شهر ديسمبر سنة1097م/491هـ[7]. وبالرغم من وصول النجدات الإسلامية المبكرة، إلا أنها لم تكن ذات فعالية وسرعان ما

---

[1] مجهول،المصدر السابق ،ص.ص.49-50؛بطرس توديبود،المصدر السابق،ص.135؛ Guibert de Nogent,op.cit. ,p.117 ؛جوناثان رايلي سميث ،المرجع السابق،ص.111.وانظر أيضا، MichaudFrançois Joseph, Histoire de la Premiere croisade,New York,mac- millan company, 1897,p.55 ؛ باركر أرنست، المرجع السابق،ص.34؛ قاسم عبده قاسم،المرجع السابق،ص.124؛جوناثان رايلي سميث، المرجع السابق،ص.111؛
Lammens,op.cit,Vol.1, p.211 ; Asbridge Thomas,The Creation of the Principality of Antioch1098-1130,The boydell Press,Woodbridge,U.K.,2000,p.15.

[2] أنظر، Raimond D' Agiles,op.cit,pp.242,266.

[3] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.134؛ابن العديم،المصدر السابق،ج.2 ،ص.130؛ Albert D'Aix,op.cit,pp.192-193
Lammens(S.J),op.cit,P.209 ؛Bouchier(E.S),op.cit.p.235.

[4] مجهول،المصدر السابق،ص.ص.50-51؛توديبود،المصدر السابق،ص.137؛، Raimond D 'Agiles,op.cit,p.245؛
Albert D'Aix,op.cit,p.166.

[5] ابن العديم ،المصدر السابق،ج.2،ص.131، الغامدي،المرجع السابق ،ص.322.

[6] ابن العديم ،المصدر السابق،ج.2،ص.132.

[7] مجهول ،المصدر السابق،ص.ص.53-54؛توديبود،المصدر السابق،ص.138؛عاشور،الحركة الصليبية، ج.1، ص.193.

تتراجع إن رأت هناك استماتةً من العدو، هنا يتبين أن المصلحة الشخصية للملوك والأمراء، قد تغلبت على وحدة الهدف الأسمى، والأكثر من ذلك أن بعض حكام مدن الشام قد استعانوا فيما بعد بالصليبيين، ضد بعضهم بعضا لتحقيق مآرب دنيوية[1].

10- معاناة الجيوش الصليبية ومحاولة بوهمند استغلال ذلك :

أصيب الجيش الصليبي بأزمة حادة أدت إلى نقص المؤونة، وتفشي المجاعة بين صفوفهم والتي أدت إلى موت الكثير منهم، وتَسَرّب اليأس إلى نفوسهم وانحطت الروح المعنوية. مما أدى إلى فرار الكثير منهم[2]، كما أن بوهمند تظاهر بالانسحاب إلى إيطاليا في شهر جانفي 1098م، تاركاً المعسكر الصليبي يعيش محنته وما هذا إلا خطة منه، ليكسب أصوات الصليبيين[3].

والانفراد بحكم أنطاكية، إضافة إلى أن المؤامرة[4]، التي حاكها بوهمند من أجل إبعاد تاتيكيوس Tatikios[5]، خاصة وأن هذا الأخير يعتبر الهيئة اليونانية الرسمية التي تنوب عن الإمبراطور، وبحضوره هذا سيعيق مشروع الأمير

[1] أحمد الشامي،تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى،دار النهضة العربية–القاهرة،1985،ص.108.

[2] مجهول،المصدر السابق،ص.55 ؛ ويليام الصوري،المصدر السابق،ج.1،ص ص.375-376؛ عاشور،المرجع السابق،ج.1، ص.194.

[3] يورد ذلك صاحب أعمال الفرنجة: "ولما تلقينا نبأ اقتراب جيش أعدائنا الترك وغيرهم ؛سرعان ما اجتمع زعماؤنا؛ وعقدوا مجلساً للتّشاور فيما بينهم؛ قائلين:"إذ قُدِّر لبوهمند؛ التغلب على المدينة وحده ؛أو بمعونة الآخرين؛ فعلينا أن نوليه إياها عن طيب خاطر؛بشرط الوفاء بعهدنا مع الإمبراطور؛ في حالة وفائه بعهده وحضوره لمساعدتنا؛فإن لم يفعل ذلك تركناها في حوزة بوهمند."؛كما أن ريموندداجيل يقول:"ومما زاد في كربنا، أن بوهمند الذي اشتهر بما أداه لنا من خدمات في ديار المسلمين، هدد بالرحيل،قائلا:"إن الشرف هو الذي جعله يتخذ هذا القرار،لأنه رأى رجاله وخيوله تموت جوعا،كما أن إمكاناته محدودة وثروته لا تكفي لحصار طويل "،وعلمنا فيما بعد أنه أعلن تلك التصريحات لأنه كان يطمع في تملك أنطاكية، في حين يقول ابن العديم:"كان بعسكر الفرنج تسعة قوامص، مقدّمين عليهم وكان بيمند أحدهم، حيث جمعهم هذا الأخير، وقال لهم:((هذه أنطاكية إن فتحناها لمن تكون؟))فاختلفوا وَكلٌّ طلبها لنفسه، فقال:((الصواب أن يحاصرها كل رجل منا جمعة ؛فمن فُتِحت في جمعته فهي له))، فرضوا بذلك ، فلما كانت نوبته دلّى لهم الزّرّاد حَبْلاً فطلعوا من السور"، أنظر، مجهول،المصدر السابق، ص.67 ؛ زبدة الحلب،ج.1،ص.348؛ تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس، ج.6، ص.195.

[4] وصلت الأخبار إلى الصليبيين بأن جيشا كبيرا قادم للمساعدة بايعاز من السلطان في خراسان بقيادة كربوقا أتابك الموصل، وبهذا استغل بوهمند الظرف وحاول إبعاد تاتيكيوس عن الساحة، ليخلو له الجو للاستيلاء على المدينة، فأسرع إلى هذا الأخير قائلا له:"أريد أن أبوح لك بسر،وأنا مهتم بسلامتك،لقد اتفق الإمبراطور مع السلطان في خراسان وأرسل هؤلاء ضدنا،والأمراء يعتقدون بصحة هذا الخبر،لذا فإنهم يتآمرون لقتلك.والآن أنا قمت بتحذيرك؛والبقية عليك،خذ احتياطاتك وتدابيرك من أجل سلامتك وسلامة قواتك"أنظر، Anna Comnena, op.cit.,XI,p.197.

[5] قائد القوات البيزنطية المرافقة للحملة الصليبية باتجاه بيت المقدس، غير أن هذا القائد، لم يرق وجوده خاصة للأمير بوهمند أثناء حصار أنطاكية ولذلك فكر في حيلة أدت برحيله ، اتهمه كل من وليم الصوري و مؤرخ مجهول و ريموند أجيل وبطرس توديبود بالخبث والتخاذل والانسحاب =

النورماني بعد الاستيلاء على المدينة[1]. وفعلا أدى ذلك إلى رحيله باتجاه جزيرة قبرص[2] سنة 1098م، كل ذلك زاد من ضُعف الصليبيين وجعل من بوهمند منقذا لهم[3]، ولذلك نراهم يوافقون ماعدا الكونت ريموند على ذلك[4]، وأنهم سيسلمون إليه المدينة بعد الاستيلاء عليها، ولم يبق له سوى إظهار قدرته في كيفية الاستيلاء على أنطاكية[5]، وبفعله هذا سيتخلص من الوعد الذي قطعه للإمبراطور ألكسيوس، والإنفراد بحكم أنطاكية.

ومن خلال مشاركة بوهمند في الحملة الصليبية الأولى، كان بمثابة تجديداً لحملة سنة 1081م، التي قادها والده روبرت جويسكارد Robert Guiscard، ضد الإمبراطورية البيزنطية والتي فشلت فجاءت الفرصة لتحقيق الهدف، وبالفعل استطاع بوهمند تأسيس ملك في الشرق، بعد الاستيلاء على المدينة[6]. ولقد ظهر هذا الأمير بمظهر القوة، التي ردعت الهجوم الإسلامي بقيادة الملك فخر الملوك رضوان، الذي كان قد خرج للمساعدة، حيث انتصرت القوات الصليبية، واستولت على حصن حارم[7]، الذي يحمي أنطاكية من جهة حلب[8]. أثناء ذلك وصلت سفارة مصرية إلى المعسكر الصليبي[9]، من أجل التعاون ضد السلاجقة واقتسام بلاد الشام، بحيث يكون شماله(سوريا) للصليبيين وجنوبه(فلسطين) للفاطميين وكان ذلك في(جانفي- فيفري1098م)[10].

=من الميدان تاركا إياهم يعانون المشقة ، أنظر، أعمال الفرنجة،ص.56؛تاريخ الفرنجة،ج.6، ص.197؛الحروب الصليبية،ج.1،ص.298-299؛ تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،ص.140.

[1] أنظر، Chalandon Ferdinand,Essai sur le règne D'Alexis I Comnene(1081-1118),Libraires de la Société de L'Ecole des Chartes et des Archives Nationales ,Paris,1900,p.201.

[2] أنظر، Anna Comnena,op.cit.,XI,p.197.

[3] عاشور،المرجع السابق،ج.1، ص.ص.195-196؛203 ؛قاسم عبده قاسم،المرجع السابق،ص.124؛حسين محمد عطية ،المرجع السابق ،ص.116.

[4] أنظر، Raimond D'Aguiles, op.cit.,p.251.

[5] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.195.

[6] عاشور ، الحركة الصليبية،ج.1،ص.125.

[7] قلعة تبعد بثلاثين كيلومتر شرق أنطاكية،حيث وضعت القوات الإسلامية خطة لإنقاذ أنطاكية،مضمونها أن تهاجم القوات الإسلامية المدينة ،في حين تخرج قوات ياغي سيان في الجهة المقابلة،ولكن الخطة فشلت بسبب تسرب المعلومات إلى الصليبيين من النصارى السريان والأرمن الموجودين في حلب وحارم، ففشلت الخطة،وتصدى الصليبيون لذلك وكان هذا في 8فيفري سنة1098م/491هـ .أنظر، عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص ص.200-201.

[8] أنظر،Stevenson(M.A),op.ct.,p.27. وأنظر أيضا،عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.201؛حسين عطية ،المرجع السابق ،ص.117.

[9] أنظر،Raimond D'Aguiles,op.cit.,p.255؛ Albert D'Aix,op.cit.,T.I,pp.177-178؛ توديبود،المصدر السابق،ص.142-143.

[10] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.1،ص.304-305؛ عاشور،بحوث ودراسات في تاريخ العصور،ص. ص.170-171؛ المرجع نفسه،=

وبهذا المسعى أدرك الصليبيون حقيقة أن المسلمين لا يعرفون سبب مجيئهم إلى الشرق، لذا كاتبوا صاحبي حلب و دمشق يطمئنوهم على ممتلكاتهم، ويخبرونهم بأن سبب قدومهم كان من أجل استرجاع المدن البيزنطية[1]. ليبقى ياغي سيان وحده يواجه الحصار المضروب عليه، ولذلك بادر بالهجوم على كل من قوات بوهمند وكونت تولوز العائدة من ميناء السويدية، والذي من خلاله تزودوا بالرجال والآلات لبناء الحصن المقابل للمدينة، إلا أن القوات الإسلامية هُزِمت، رغم هجومها العنيف[2].

كما أن هناك نجدة إسلامية قد وصلت إلى أنطاكية، بقيادة قوام الدولة كربوغا[3] حاكم الموصل كان بإمكانها تحقيق النصر، لولا تأخرها وتضييع الوقت في حصار الرُّها [4]. وأثناء ذلك لم تتوقف الاشتباكات بين حامية أنطاكية والصليبيين، إلا أن رجحان الكفة لصالح الإفرنج. وبهذا أطمأنوا وأدركوا جيدا أن ذلك سيؤول في النهاية إلى سقوطها بأيديهم، خاصة بعد تأمين الطريق إلى ميناء السويدية، الذي يشكل حلقة وصل بالتموين من الغرب، ومن جهة أخرى تأمين اتصالهم بالرها التي أصبحت بحوزة أحد قادتهم[5].

11- سقوط مدينة أنطاكية :

كان بوهمند قد وطّد علاقته بفيروز الأرميني[6]، الذي تولى حراسة أحد الأبراج وظل الأمير النورماني يحتفظ بذلك السر لنفسه، وعند مغادرة تاتيكيوس المعسكر فُتِح المجال لبوهمند لينفذ خطته بذكاء ودهاء[7].

=الحركة الصليبية، ج.1،ص.197؛قاسم عبده قاسم،المرجع السابق،ص.126. وارجع أيضا إلى، Stevenson(M.A) op.cit.,p.26

[1] ابن الأثير،المصدر السابق، مج.9،ص.15،حوادث 491هـ؛ عاشور ،بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى،ص.173.

[2] مجهول،المصدر السابق،ص.60-62؛وليم الصوري،المصدر السابق، ج.1،ص.320-324؛ريموند أجيل،المصدر السابق، ص.201-202؛ توديبود،المصدر السابق،ص.164- 166.حسين محمد عطية،المرجع السابق،ص.ص.117-118.

[3] قوام الدولة أبو سعيد كربوغا(كربوقا) من قادة السلطان السلجوقي ركن الدين بركياروق ،كان كربوغا قد ملك الموصل في ذي القعدة489هـ/ 1096م ، قاد جيش التحالف الإسلامي لتحرير أنطاكية وانتزاعها من الصليبيين ،لكنه هُزِم، فعاد إلى الموصل يجر أذيال الهزيمة.توفي في شهر ذي القعدة سنة495هـ/1102م في مدينة خوي بأذربيجان ،انظر ابن الأثير،المصدر السابق ،مج.9،ص.4، 54؛ابن خلدون، المصدر السابق ،ج.5، ص.35؛ أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية،ط.1،ج.2،ص.208-209؛ ابن العديم،المصدر السابق،ج.1،ص.351،ج.2،ص.137.

[4] عاشور،الحركة الصليبية ،ج.1، ص.205؛ فوشيه الشارتري،المصدر السابق، ص.ص.59-60 .أنظر أيضا، Lammens ,op.cit.,p.209

[5] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.202.

[6] تشير بعض المصادر العربية إلى اسمه (زرّاد)من الزّرَّادين ،وكذا بروز به انظر ،ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.135،ابن الأثير ،المصدر السابق، ج.9، ص.14؛ابن العديم،المصدر السابق ،ج.2، ص.133.

[7] خاطب بوهمند القادة قائلا:"كم من الوقت سنظل هنا في هذا الحصار؛الذي لم يُجْدِ نفعا؛كما أن المجاعة قد الحقت بنا ضررا،وبيّن من خلال كلامه يجب أن يسعى كل من القادة بطرقة الخاصة في استمالة الحراس؛حيث قال:" لم يهب الله الانتصارات كلها عن طريق السيف؛فغالبا ما كان النصر يُسر عن طريق المباحثات والمفاوضات، لذا وجب علينا الإسراع في إيجاد حل قبل وصول جيش كربوقا وأنا اقترح أن يسعى كلٌّ منا في =

ويروي ابن العديم فيقول: "فلما كان ليلة الخميس، أول من رجب واطأ رجل يعرف بالزرّاد من أهل أنطاكية، وغلمان له على برج كانوا يتولون حفظه، وذلك أن ياغي سيان كان قد صادر هذا الزراد؛ وأخذ ماله وغلّته، فحمله الحنْقُ على أن كاتب بوهمند. قائلا له:" أنا في البرج الفلاني وأنا أُسَلِّم إليك أنطاكية، إن أمَّنْتني وأعطيتني كذا وكذا، فبذل له ما طلب وكتم أمره عن باقي الإفرنج"[1].

وأما صاحب كتاب أعمال الفرنجة، فيقول:" كان هناك قائد تركي اسمه فيروز، قد توثقت عُرى الصداقة المكينة بينه وبين بوهمند، الذي طالما راح يُلوّح له في الرسائل المتبادلة بينهما بمودته، يُمنِّيه بها ووعده بالترحيب، إن هو اعتنق النصرانية وراح يُغريه بالشرف العظيم والثروة الوافرة، فوثِق فيروز بتلك الأقوال والعهود. وقال:"إنني أقوم بحراسة ثلاثة أبراج وإنني أعده بها عن طيب خاطر...فلما حانت اللحظة المناسبة وهي ليلة(2-3)جوان بعث فيروز ابنه سراً، رهينة عنده ليؤكد صدق نيّته، وأنفذ معه رسالة يقول فيها:"عليك أن تتظاهر بالخروج لتخريب المنطقة التي يسكنها المسلمون، ثم تنكفئ على عجل عبر الجبل القائم على اليمين، وأما أنا فسأعنى بمراقبة هذه القوات وسأنتظرها في الأبراج "[2].

=جهته ؛ومن كان له ذلك أصبح سيدا للمدينة إلى حين قدوم مبعوث الإمبراطور ليتسلمها منا "أنظر، Anna Comnena,op.cit.,XI,p.197-198؛ بينما يقول توديبود:" جاء بوهمند إلى القادة وقد سَعِد بخطته وضمانه دخول المدينة ؛قائلا لهم"أيها الرجال؛أيها الفرسان؛ترون كيف تعرضنا لفقر مدقع ؛وكلنا تشاؤم، لاندري كيف سيتغير حالنا إلى الأفضل،إذا رأيتم خطتي نافعة،فلتختاروا واحدا من بينكم يتولى القيادة،وإذا استطاع الاستيلاء عليها أعطيناه إياها"، فأعترض الجميع على الفكرة، وعند سماعهم قدوم الأتراك بالعدد الكثيف عقدوا مجلسا قرروا فيه"إذا كان بمقدور بوهمند بمفرده الاستيلاء على المدينة أو بمساعدة أخرين نمنحه إياها؛شريطة تسليم المدينة للإمبراطور حين قدومه للمساعدة وإذا لم يفعل أصبحت ملكا لبوهمند إلى الأبد". أنظر، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص.181-182.

[1] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص ص .133-134؛ أما ابن الأثير فيقول:"فلما طال مقام الإفرنج على أنطاكية؛راسلوا أحد المستحفظين للأبراج وهو زرّاد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا وإقطاعا؛وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي وهو مبني على شباك في الوادي، فلما تقرر الأمر بينهم وبين هذا الملعون، الزرّاد جاؤوا إلى الشباك؛ففتحوه ودخلوا منه وكان ذلك في جمادى الأولى سنة 491هـ/1098م"؛ أما ابن القلانسي فيقول:"في آخر جمادى الأولى منها؛ ورد الخبر بأن قوماً من أهل أنطاكية من حملة الأمير ياغي سيان؛ من الزرّادين عملوا على أنطاكية وواطؤوا الإفرنج على تسليمها إليهم؛لإساءة تقدمت منه في حقهم ،ومصادرتهم ووجدوا الفرصة في برج من أبراج البلد ممايلي الجبل باعوه للإفرنج وأطلعوهم إلى البلد منه، في الليل"ويضيف قائلا:"وبعد افتتاح الإفرنج بلد أنطاكية بتدبير الزرّاد وهو رجل أرمني اسمه فيروز"أنظر،الكامل في التاريخ، مج.9، ص.ص.14-15 ؛ ذيل تاريخ دمشق، ص.ص.135-136.

[2] مجهول،المصدر السابق،ص.66-68؛ أما ريموند اجيل فيقول:"فإن أحد الأرمن من الرجال المحاصرين وَثِق بأمرائنا إلى حد أنه كان سيسلمنا أنطاكية، أرسل الأمراء بوهمند وجدفري وكونت فلاندرز عقب الاجتماع ،وعند وصولهم إلى إحدى تلال أنطاكية في منتصف الليل وصل رسول من الأرمني الخائن ؛وبين لهم كيفية الدخول إلى المدينة،بعد ذلك تسلق رجالنا السور وفتحوا الأبواب "؛وأما بطرس توديبود فيقول:"كان هناك أمير تركي يدعى فيروز؛توطدت علاقته ببوهمند ووعده هذا الأخير بالثروة وعرض عليه الدخول في المسيحية؛فقبل فيروز؛وأجاب قائلا:سأسلمه الأبراج الثلاثة والتي تحت حراستي دون مقابل متى شاء"،أنظر، تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس، ج.6، ص.ص.206-208؛ تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،ص.181.

وبهذا تمكنت القوات الصليبية من دخول المدينة، في الثالث من شهر جوان 1098م / 491 هـ[1]، وأمعن الصليبيون قتلا في أهلها[2]. ويقول ابن العديم:"واستشهد في ذلك اليوم بأنطاكية، ما يفوت الإحصاء ويتجاوز العدد"[3]، وأما ياغي سيان فقد لقي حتفه أثناء فراره مع خادمه، حيث قتله الأرمن وحملوا رأسه إلى الإفرنج[4]، وقام أهل المدينة من السريان والأرمن باستقبال الصليبيين، مُرحِّبين بهم ومقدِّمين لهم يد المساعدة[5]، ومنذ تغلغل الإفرنج داخل شمال الشام، كان الأرمن خير دليل وعون كما أصبح السريان عضد آخر يشدون به أزرهم. ولقد كان لسقوط أنطاكية دوياً في المدن الإسلامية المجاورة"فهرب من كان بها من المسلمين وتسلمها الأرمن"[6]. ومنذ دخول الصليبين المدينة قاموا بدفن القتلى،كما بادر رجال الدين وعلى رأسهم أدهيمار إلى إعداد كنيسة القديس بطرس، وغيرها من الكنائس وتم إطلاق سراح البطريك اليوناني حنا John المسجون وإعادته إلى منصبه، وانتظار وصول التعليمات من البابا في روما[7]، وبهذا تمكن الصليبيون من الاستيلاء على المدينة، دون إلحاق الضرر بأسوارها وبقيت ذات حصانة، وقد استفادوا من تحصيناتها أثناء حصار جيش التحالف الإسلامي لها.

---

[1] مجهول ،المصدر السابق،ص.67-70؛ ريموندا جيل، المصدر السابق،ج.6، ص.209. وأيضا، Albert D'Aix,op.cit.,T.,I, p.223 ويقول ابن العديم:"فلما كان ليلة الخميس أول ليلة من رجب واطأ الزراد بوهمند"؛ أما ابن القلانسي فيقول:"في آخر جمادى الأولى ورد الخبر بان قوما من اهل انطاكية من حملة الأمير ياغي سيان من الزرادين واطؤوا الإفرنج على تسليم المدينة"وأما ابن الأثير فيقول:"ثم إن الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك في جمادي الأولى"، أنظر، زبدة الحلب،ج.2،ص.133-134؛ ذيل تاريخ دمشق، ص.135؛ الكامل، مج.9،ص.14-15.

[2] مجهول ،المصدر السابق،ص. 70 ؛ابن القلانسي،المصدر السابق ،ص.136 ؛ ابن العديم ، المصدر السابق،ج.2،ص.135 . ؛فوشيه الشارتري، المصدر السابق،ص.57-58؛توديبود،المصدر السابق،ص.183-184. أنظر أيضا،
William Harris(W),The levant a fractured mosaic,Princeton,U.S.A, 2nd., Ed,2005 ,p.71; Michaud(F),Histoire de la Premiere croisade,New York,Mac - Millan company, 1897, p.55. ؛ Asbridge,op,cit,p.15 ؛ Lammens,op.cit.,p.212؛ Raimond D'Aguiles,op.cit,p.266. ؛ باركر، المرجع السابق، ص.35.

[3] ابن العديم،زبدة الحلب،ج.2،ص.135؛ويقول ابن القلانسي:"وأما أنطاكية فقُتِل منها وأُسِر وسُبِي من الرجال والنسوان والأطفال ما لايدركه حصر، وهرب إلى القلعة تقدير ثلاثة آلآف تحصنوا بها"، وأما ريموندا جيل فيقول:"وفي الحقيقة من غير الممكن لنا تقدير عدد القتلى من الأتراك والمسلمين، ومن العبث حكاية القصة بالتفصيل ووصف طرق القتل المختلفة"أنظر،ذيل تاريخ دمشق،ص.135؛ تاريخ الفرنجة،ج.6، ص.208.

[4] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.135؛ ريموندأجيل،المصدر السابق،ج.6، ص.208؛ابن الأثير،المصدر السابق،ج.9،ص.15؛ توديبود، المصدر السابق،ص.184. وأيضا، Stevenson ,op.cit.,p.27

[5] عاشور،الحركة الصليبية،ج.1،ص.204.

[6] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.135.

[7] أنظر، Runciman (S),op.cit,Vol,I,p.237

12- وصول الجيش الإسلامي بقيادة كربوغا أتابك الموصل وحصاره المدينة :

بعد سقوط مدينة أنطاكية كانت قوات الجيش الإسلامي، تتقدم باتجاه المدينة لمحاصرتها بقيادة الأتابك كربوغا أمير الموصل والملك دقاق وطغتكين أتابك، وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش صاحب سنجار وسكمان بن ارتق وغيرهم من الأمراء[1]، في حين لم يشارك رضوان في هذا الحِلف نتيجة خلافاته مع أخيه دقاق، وقد أحدث هذا قلقاً واستياءً في صفوف المسلمين[2]، وأثناء ذلك حدثت مراسلات بين كربوغا ورضوان"فتوهم دقاق من ذلك"[3]،كما أن انقسام المسلمين ظل جلياً أمام أسوار أنطاكية "وجرت بين الأتراك والعرب الذين مع الأمير وثاب منافرةً، عادوا لأجلها وتفرق كثير من التركمان، بتدبير الملك رضوان ورسالته، وتخيل بعض الأمراء من بعض"[4].

وبهذا تصدعت وحدة الجيش الإسلامي، وانهارت أمام صمود الصليبيين، ويعلل المؤرخ ابن الأثير روح التباغض والفرقة بين صفوف الجيش الإسلامي أمام أنطاكية، فيقول "وأساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين، وأغضب الأمراء وتكبر عليهم"[5]، وكان أحد قادة كربوغا قد استلم قلعة أنطاكية، من شمس الدولة بن ياغي سيان، الذي تحصن بها عند سقوط المدينة[6]، وبهذا أصبح الصليبيون محاصرين داخل المدينة وساءت حالتهم، وكثرت المجاعة بين صفوفهم. ويروي المؤرخ المجهول فيقول: " وفي هذه اللحظة بالذات، بلغ من ضيق الحصار علينا أن اضطررنا إلى أكل خيولنا وحميرنا"[7]، بل حتى أكل أوراق الأشجار، ويقول ابن الأثير"وأقام الإفرنج بأنطاكية...ليس لهم ما يأكلونه، وتقوّت الأقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر"[8]، مما أدى بالكثير منهم إلى الهرب إلى ميناء السويدية، وأخبروا من به(ملاحو السفن) من سوء حالة المحاصرين، فأضطر هؤلاء إلى الإبحار فتمكن الأتراك

---

[1] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.15؛ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،تحقيق خليل شحاته وسهيل زكار،دار الفكر،بيروت ،2000،ص.ص.23-24؛ غير أن توديبود يشير على مشاركة أمير بيت المقدس، إضافة إلى الأرمن والأكراد والفرس والقوقاز، وأعداد أخرى من أجناس مختلفة، أنظر،توديبود،المصدر السابق،ص.185.

[2] عاشور،الحركة،ج.1،ص.209.

[3] ابن العديم، المصدر السابق، ج.1،ص.350، نفسه،ج.2،ص.136.

[4] ابن العديم،ج.1،ص.350،ج.2،ص.136.

[5] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.15.

[6] ابن العديم ،المصدر السابق،ج.1،ص.350 ؛ج.2،ص.136 ؛ مجهول ،المصادر السابق،ص.72-73؛توديبود،المصدر السابق، ص.186؛ Runciman (S),op.cit, Vol,I,p.237

[7] مجهول،المصدر السابق،ص.80؛كما يبين ذلك توديبود حيث يقول:"وفي تلك الأثناء اشتد بنا الجوع حتى أكلنا جيادنا وحميرنا"، ويقول ريمونداجيل:"وفي نفس الوقت صارت المجاعة أكبر بالمدينة، وارتفعت الأسعار"، أنظر، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،ص.205 ؛ Histoire des Francs,p.280

[8] ابن الأثير،المصدر السابق،ج.9،ص.15.

من اللّحاق بهم وقتلهم وحرق سفنهم[1]،كما أن ستيفن بلوا Stephen of Blois،كان قد غادر أنطاكية باتجاه مدينة الإسكندرونة[2]، متعلّلاً بالمرض. ولما عَلِم بقدوم الأتراك بالعدد الكثيف، غادر هذا الأخير متوجها إلى مدينة أسكي شهر، لمقابلة الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، الذي كان متوجها إلى أنطاكية للمساعدة، حيث أخبره بما وقع للصليبيين، وبهذا قفل راجعا إلى بلاده[3]. وعليه فقد ضاعت فرصة المساعدة، كما ضاعت فرصة التعاون البيزنطي اللاتيني، وبالتالي ضياع فرصة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية[4].

وبتراجع الإمبراطور البيزنطي وتخلّيه عن المساعدة خَارَتْ قُوى المحاصَرين، وانحطت معنوياتهم وأنتابهم الشعور باليأس، مما أدّى بالكثير منهم إلى التراجع عن مواقعهم الأمامية، فأضطر بوهمند إلى إعادتهم وذلك بحرق منازل المدينة، وكان ذللك في 12 جوان 1098م، ورغم حصار قوات الجيش الإسلامي للمدينة ومعاناة الصليبيين بداخلها، إلا أنهم استطاعوا مقاومة هذا الخناق بحافز شجعهم على المقاومة، ألا وهو حصولهم على الحربة المقدسة[5]، التي طُعِن بها السيد المسيح عليه السلام[6]. أثناء ذلك قام الصليبيون بإرسال سفارة إلى كربوغا بقيادة بطرس الناسك وبصحبته مترجمه هيرلوين Herlouin، لعله يتراجع عن الحصار ويعطيهم الأمان، ولكنه رفض

[1] مجهول ،المصدر السابق،ص.79-80؛توديبود،المصدر السابق،ص.205.

[2] أنظر،Robert Le Moine ,op.cit.,pp.403-405 ؛ Albert D'Aix,op.cit.,T.,I,p.208، و الاسكندرونة مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أنظر،الحموي،المصدر السابق،ج.1،ص.182.

[3] مجهول،المصدر السابق،ص.ص.86-89 ؛ توديبود، المصدر السابق ،ص.225 ؛ وليم الصوري ،المصدر السابق ،ج.1،ص.ص .391-392 ؛عاشور،المرجع السابق،ج.1، ص.208.

[4] حسين عطية ،المرجع السابق ،ص.121.

[5] فلما أشتد الحال على الصليبيين، داخل أنطاكية وكثرت المجاعة بين صفوفهم، وضعُفت قوتهم وانحطت معنوياتهم،كان وقد رأى بطرس بارثلوميو Peter Bartholomew، وهو أحد حجاجهم رؤى كثيرة، من بينها رؤية القديس أندراوسAndraws الحواري، وهو يخبره بأن النصر حليفهم، وأشار عليه بإخراج الحربة المدفونة بكنيسة القديس بطرس بأنطاكية. لذا نرى بأن الحماس الديني دفع بالصليبيين، إلى تشجيع بعضهم بعضا وكلهم ثقة في التخلص من هذه النكبة، التي ألمت بهم، فخرجوا لملاقاة جيش كربوغا، الذي ولّى منهزماً، أنظر،مجهول، المصدر السابق ،ص.82-84؛ابن الأثير،المصدر السابق،ج.9،ص.15-16؛ توديبود،المصدر السابق، ص.227؛ ريموند أجيل،المصدر السابق، ج.6، ص.ص.212-218.

[6] مجهول،المصدر السابق،ص.82-84 ؛ابن الأثير ،المصدر السابق،ج.9،ص.15- 16 ؛يوشع براور،المرجع السابق ،ص.44 ؛ أرنست باركر، المرجع السابق،ص.35 ؛حسين عطية ،المرجع السابق،ص.121.

ذلك[1]. ويروي كل من ابن الأثير وابن العبري أن الصليبيين بداخل أنطاكية، قد يئسوا وهّموا بالاستسلام فراسلوا، كربوقا يطلبون منه الأمان للخروج، ولكنه أبى أن يكون ذلك وقال:"لا تخرجون إلا بالسيف"[2].

13- خسارة الجيش الإسلامي وتأكيد سقوط أنطاكية :

بمعرفة رد فعل كربوغا الذي يفتقد إلى الحكمة، وعدم مراعاة ما يعانيه الجيش من فرقة، استعد الصليبيون للخروج ومقاتلة المسلمين بأمر من بوهمند – بعد تولّيه القيادة بعدما أصيب ريموند بمرض وكان ذلك في 20جوان1098م – لخوض معركة فاصلة[3]. ويروي ابن العديم ذلك "فأشار وثاب بن محمود أن يُمنعوا من الخروج، وأشار بعض الأمراء أن لا يُمكَّنوا من الخروج بأجمعهم ويُقتلوا أولاً فأولاً، فلم يُعرِّج المسلمون على شيء من ذلك، لأنهم أيقنوا بالظَّفْر على الفرنج، وخرجوا بأجمعهم في خلق عظيم"[4]، وبالتالي استطاعت القوات الصليبية تحقيق النصر، على آخر جبهة والتي كان بإمكانها وضع حدٍّ لهذا الزحف المهول، ولكن لم يحدث ذلك بسبب انعدام الوحدة بين المسلمين، وتهافتهم على العرش في حين تميّز الخصم بجبهة متماسكة، رغم تعدد قياداتها وطموحاتها. ويقول ابن العديم :"وعاث التركمان في العسكر فانهزم، وتوهم الفرنج أن ذلك مكيدة، فتوقفوا عن تبعهم...ولم يبق غير كربوقا ومعه أكثر عسكره، فأحرق سرادقه وخيامه وانهزم نحو حلب. وقُتِل من المطّوعة والغلمان والسُّوقة خلق كثير، ونُهب من المسلمين والخيام والغّلات ما لا يُحصى، ومن انقطع من العسكر نَهبه الأرمن"[5]. وبذلك تأكدت خسارة الجيش الإسلامي،كما تأكد سقوط مدينة أنطاكية في أيدي الصليبيين، بتاريخ 28جوان1098م/26رجب 491هـ[6].

---

[1] مجهول،المصدر السابق،ص.90-91 ؛وليم الصوري ،المصدر السابق،ج.1،ص.398-401 ؛توديبود،المصدر السابق، ص.227-228 ؛ فوشيه الشارتري،المصدر السابق،ص.61 ؛حسين عطية ،المرجع السابق،ص.121- 122.

[2] أنظر،ابن الأثير،المصدر السابق، مج.9،ص.15؛ابن العبري(جريجوريوس أبو الفرج ابن أهرون)،تاريخ مختصر الدول،تصحيح وفهرسة،أنطوان صالحاني ،دار الرائد اللبناني–لبنان،ط.2، 1994،ص.341.

[3] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.209-210.

[4] ابن العديم،المصدر السابق،ج.1،ص.350، ج.2، 137؛ويقول ابن الأثير في ذلك ((فقال المسلمون لكربوقا؛ ينبغي أن تقف على الباب فتقتل كل من يخرج، فإن أمرهم الآن وهم متفرقون سهل، فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم، فنقتلهم فلما تكامل خروج الفرنج؛ولم يبق بأنطاكية أحد منهم، ضربوا مصافاً عظيما؛فولى المسلمون منهزمين،لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانة لهم والإعراض عنهم؛ وثانيا منعهم عن قتل الفرنج .))،أنظر،الكامل، مج.9،ص.16.

[5] ابن العديم،المصدر السابق،ج.1،ص.351، ج.2،ص.137،ويقول ابن القلانسي في ذلك: ((ووقع السّيف في الرجال المتطوّعين والمجاهدين والمغالبين، في الرغبة في الجهاد وحماية المسلمين))،أنظر،ذيل تاريخ دمشق، ص.136. للمزيد من التفاصيل عن شخصية كربوغا أتابك الموصل، وتقدمه بجيشه باتجاه أنطاكية. أنظر، إبراهيم خليل، (كربوغا صاحب الموصل ودوره في مقاومة الصليبيين)، المؤرخ العربي، ع.5، د.ط، ص.ص.95-111.

[6] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9، ص.ص.15-16 ؛ابن العديم،زبدة الحلب، ج.2،ص.137-138؛مجهول ،المصدر السابق ،ص. 96،=

وبالرغم من كل المحاولات الإسلامية، استطاع الصليبيون التّصدي لذلك وإفشال كل مسعى إسلامي، للذود عن حِمَى المسلمين، وبذلك تأكد سقوطها ليقيم فيها بوهمند النورماني ثاني إمارة صليبية بالمشرق الإسلامي –وهذا بعد تمكنه من صرف نظر غريمه ريموند على المدينة–، حيث لعبت إمارة أنطاكية دورا كبيرا بالنسبة للوجود الصليبي عامة، ولمملكة بيت المقدس خاصة[1]. وبسقوط أنطاكية أصبح الطريق مفتوحا أمام الصليبيين، لبلوغ الهدف المنشود، إذ تعتبر مفتاح سوريا وجنوب بلاد الشام[2].

14-التنافس بين بوهمند والكونت ريموند حول ملكية المدينة :

بعد أن تمكن الصليبيون من قهر قوات كربوغا، ورجوعهم إلى القلعة أدرك القائد أحمد بن مروان، أنه لا جدوى من المقاومة، لذا نجده يسلمها لبوهمند[3]، رافضا تسليمها ريموند[4]. ويقول ريموند اجيل:"وعقب الانتصار، استولى بوهمند والكونت والدوق جودفري وكونت فلاندرز على القلعة من جديد، غير أن بوهمند أضمر شراً واستولى على الأبراج، وطرد بالقوة أتباع جودفري وكونت فلاندرز وكونت صنجيل من القلعة"[5].

من خلال ذلك يبدو أن الصراع بين القائدين، قد لاحت في الأفق بوادره، وأراد كل منهما أن تكون له سطوته، و يستأثر بحكم المدينة، وبالتالي إقامة مُلْك له في هذه المنطقة. والرحلة لم تنته بعد، مما حتم عليهم أن لا يُضيِّعوا وقتا طويلا، وأن يبدأوا بالزحف باتجاه بيت المقدس، ولكنهم لم يفعلوا ذلك وأضاعوا عدة أشهر(من جويلية إلى جانفي) في إقليم أنطاكية، بحثا عن حلول لمشاكلهم الداخلية[6]، فهم بحاجة ماسة للرجال لحراسة أسوار

=حاشية(2) ؛ Raimond D'Agiles,op.cit,pp.283-289 ؛توديبود،المصدر السابق،ص.ص.229-232؛ فوشيه الشارتري، المصدر السابق،ص.ص.61-63؛ وليم الصوري، المصدر السابق،ج.1،ص. 419؛ حسين عطية،المرجع السابق، ص.122.وأنظر أيضا، Asbridge,op.cit.,p.34.

[1] حسين محمد عطية، المرجع السابق ،ص.122.

[2] قاسم عبده قاسم،الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة، 1999،ص.168.

[3] يقول مؤلف مجهول:"وفي هذه اللحظة قدِم بوهمند المحترم وناول رايته للقائد التركي، الذي تلقاها بيد السرور، وعقد اتفاقية مع السيد بوهمند الذي أذن بمقتضاها للكفرة الذين يريدون اعتناق المسيحية بالإقامة معه، بينما أذن لمن انصرف عنها بالرجوع سالمين آمنين دون أن يمسهم أدنى ضر أو أذى" ، أنظر، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،ص.ص.95-96.

[4] المصدر نفسه، ص.ص.95-96 ؛ ويروي ابن العديم:"وعاد الفرنج إلى أنطاكية، وبها أحمد بن مروان فراسله الفرنج وأمنوه، ومن كان معه وسلمها إليهم...وأنزلوه في دار بأنطاكية ؛وأطلقوا أصحابه ؛وسيَّروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب،فخرج الأرمن فأخذوا بعضهم وقتلوا بعضهم، ولم يسلم منهم إلا القليل"،بينما يقول توديبود:"فلما رأى أمير القلعة انهزام كربوغا طلب الرايات الفرنجية فسلمه الكونت ريموند رايته فرفعها على القلعة ثم طلب راية بوهمند،كما عقد معه اتفاقية تم بموجبها من أراد من المسلمين أن يعتنق المسيحية فله ذلك، ومن أراد أن يغادر فله ذلك أيضا"،أنظر، زبدة الحلب، ج.2، ص.ص.137-138؛
تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،ص.ص.231-232.

[5] ريموند اجيل ،المصدر السابق، ج.6، ص.228.

[6] عاشور،الحركة الصليبيةلمرجع ،ص.212.

المدينة وأبراجها، فضلا عن الحشد الكبير الذين هم في أمسِّ الحاجة إليه لمواصلة المسير، في حين أنهم لم يجدوا بأنطاكية شيئا من مخازن االطعام والمؤونة، التي داعبت خيالهم طول مسيرهم إلى الشرق[1]،كما أن غالبية سكان المدينة من المسيحيين بأكثرية سريانية، وهذا ما جعل الصليبيين يشعرون بالخوف منهم[2].

وبالرغم من ذلك ظل بوهمند يكرر طلبه لدى الزعماء الصليبيين بتمليكه المدينة حسب اتفاقه معهم، وأن يسلموه ما بأيديهم من أبواب المدينة وأبراجها، غير أن الكونت ريموند لم يعتبر نفسه مرتبطا بأي اتفاق مع بوهمند، كما أنه لا يخاف ولا يخشى تهديدات هذا الأخير[3]، مخافة أن يكون قد نكث يمينه مع الإمبراطور[4]. ويقول وليم الصوري:"ثم امتثل الجميع للعهد الذي قطعوه على أنفسهم في البداية...أن تكون السلطة والحكم في أنطاكية لبوهمند ففعلوا، ما اتفقوا عليه ولم يَشُذْ عنهم سوى كونت تولوز، الذي احتفظ بالبوابة وجميع الأبراج المتصلة بها، وأقام فيها حامية..."[5]، وبهذا أصبحت المدينة مناصفة بين بوهمند وريموند[6]، حيث احتل هذا الأخير القطاع الجنوبي الغربي بما في ذلك قصر ياغي سيان، بينما احتل بوهمند الأجزاء الشمالية والشرقية والوسطى بما في ذلك القلعة[7]، وهذا طبعا له وقعه على بقية الصليبيين، الذين يتشوقون لهفا لبلوغ بيت المقدس.

ويبدو أن الاتفاق الذي عُقِد بين الإمبراطور البيزنطي، والأمراء والقادة في القسطنطينية في أفريل1097م بقي حبراً على ورق، لم يَسرِ مفعوله لاسيما أن الإمبراطور لم يشهد حصار أنطاكية، ومعاناة الصليبيين أثناء ذلك، كما أنهم وقعوا مرة أخرى في الشدة بعد دخول المدينة، وتضييق الخناق عليها من طرف الجيش الإسلامي، دون تلقي أي معونة بيزنطية، إضافة أن الحامية بقيادة تاتيكيوس كانت قد غادرت المعسكر، تاركة الصليبيين يصارعون قوات ياغي سيان من جهة وشدة المجاعة من جهة أخرى. كما أنه لم يعد هناك ما يُجبر الأمراء على التزامهم خاصة الذين لهم أطماع سياسية[8]. ومن أجل ذلك عقد القادة الصليبيون مجلساً، عزموا فيه على إرسال هيج Hugh العظيم إلى الإمبراطور، لعله يأتي ليتسلم أنطاكية، ويُنَفِّذ الاتفاقات المبرمة معهم، ومن ثم غادر الرجل باتجاه القسطنطينية، إلا أنه لم يعد بعد ذلك[9]، ولو اغتنم الإمبراطور أليكسيوس تلك الفرصة، لكان حقق حلمه

---

[1] أنظر، Runciman,op.cit,Vol,I,p.236 .

[2] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.213.

[3] أنظر، Raimond D'Aguiles,op.cit.,p.289 .

[4] مجهول،المصدر السابق،ص.ص.101-102.

[5] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.1،ص.421.

[6] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.36.

[7] عاشور،المرجع السابق،ج.1، ص.214.

[8] نفسه، ص.196.

[9] مجهول،المصدر السابق،ص.ص.97-98؛ ويروي وليم الصوري في ذلك ويقول:"عزم القادة بالإجماع، على إرسال مبعوثين هما هيج Hugh=

في أنطاكية من جهة، ومن جهة أخرى يقضي على أطماع القائدين بوهمند وريموند. وحقيقة الأمر أن الصليبيين، قد عانوا الكثير من المتاعب أثناء سيرهم في آسيا الصغرى، وفي حصار أنطاكية مما جعلهم في أمسِّ الحاجة إلى المساعدة البيزنطية[1]، ومن خلال إرسال الموفديْن إلى الإمبراطور، ما هو إلا نوع من التظاهر بالوفاء بالعهد، بقدر ما كان طلباً للمساعدة لمواصلة الزحف[2].

ومن خلال ما حدث مع الصليبيين في آسيا الصغرى من التزام بالعهد، وإرسال المبعوثين اعتقد بأن هناك نوايا حسنة تجاه التزاماتهم معه، ولهذا آثر الصمت ولم يرد عن رسالتهم[3]، وفي ظل تلك الأحداث، يبدو أن الصليبيين ظهروا بمظهر التسامح والتعاون مع المسيحيين الشرقيين، وهذا من خلال ما أقدموا عليه بعد الاستيلاء على أنطاكية، من إطلاق سراح حنا الرابع الأرثوذكسيJohn IV، الذي سُجِن من قِبل الأتراك وإعادته لكرسي البطريركية بالمدينة[4].كما أتاحوا الفرصة لهم لممارسة طقوسهم الدينية، في حين تم تنصيب أساقفة في المناصب الشاغرة لكنائس المدن المجاورة[5]، وبهذا نستنتج أنهم أرادوا تفادي الصراع بين المذهبين، الكاثوليكي والأرثوذكسي وكسب أصوات المسيحيين الشرقيين .

15- توسع الصليبيين في نواحي أنطاكية :

بعد أن تم تحديد موعد الزحف على بيت المقدس–في شهر نوفمبر، تفاديا لحر الصيف ويكون الجو ملائماً لحركة الجيوش الصليبية، وفي انتظار ذلك الموعد وابتعاداً عن ساحة الوباء، الذي انتشر آنذاك –تفرق السادة ورحل كل إلى ناحيته، أي إلى المناطق التي احتلوها قَبْل أنطاكية[6]. حيث انتقل بوهمند إلى قليقية مدعماً الحاميات الصليبية التي كان قد تركها تانكرد هناك أثناء مسيرهم، وتفسير ذلك هو أن بوهمند ربما كان في نيَّتة إدخال هذا الإقليم في حيز الإمارة التي يريد إقامتها في أنطاكية[7]. و يروي وليم الصوري:"حينذاك تفرقوا أملاً منهم في تجنب الموت، الذي يهددهم...كما أنهم قد يجدون في ناحية أخرى وفرة من الميرة، وأصبح مفهوما لديهم وجوب

=وبولدوين كونت هينولتHinault، إلى الإمبراطور يدعونه للحضور بذاته في الحال لمساعدتهم وفاءً بالاتفاق الذي أبرمه معهم...يخبرونه بأن الصليبيين على وشك الزحف، ويسألونه المضِي قُدُما في إثرهم، حسبما التزم به ، فإن لم يفِ أصبحوا في حلٍّ من الالتزام. غير أن بلدوين اختفى بينما هيج قد وصل، ولكنه لم يأت بالرد"، أنظر،وليم الصوري،المصدر السابق، ج.2، ص ص.17-18.

[1] عاشور،الحركة الصليبية،ج.1،ص.215.

[2] نفسه.

[3]. نفسه، ص.216.

[4] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.1،ص.420.

[5] نفسه.

[6] مجهول،المصدر السابق،ص.98؛ توديبود،المصدر السابق،ص.255؛ Raimond D'Aguiles,op.cit.p.290

[7] عاشور،المرجع السابق،ص.220. راجع أيضا، Stevenson,op.cit.,p.29؛Runciman,op.cit,vol,p.254

عودتهم في الموعد المحدد"[1]، أما جودفري البولوني فقد انتقل إلى أخيه بلدوين في الرُّها[2]، الذي أعطاه تل باشر والرّاوَنْدان في أوائل شهر أوت1098م، في حين أغار أحد فرسان ريموند على معرة النعمان وتلمنِّس، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من أنطاكية، وبهذا دخل في صراع مع رضوان صاحب حلب[3].

وأثناء ذلك اشتد المرض بأدهيمار أسقف مدينة بوي، حيث يروي المؤرخ المجهول فيقول: "أما بقية القوم المقيمين بأنطاكية، في فرح ونشوة كبرى فقد فاجأهم اشتداد المرض، بمدبِّر أمرهم وراعيهم أسقف بوي Puy وذلك تبعا لمشيئة الرب التي بمقتضاها وحدها هجر هذا العالم"، وكان ذلك في أول أوت1098م، وحزن عليه الجميع حزنا شديدا[4]، وبهذا أصبح الصليبيون يفتقدون إلى زعيم روحي، لتبقى الحملة ذات طابع ديني، وتبقى البابوية سيدة الموقف الذي يتجسد في شخصية ادهيمار، الذي يوحد الآراء بعد الاستيلاء على بيت المقدس، وحتى أن الكنيسة تضع بصمتها من خلال مندوبها آنف الذكر. وفي تلك الفترة، حدث خلاف بين والي مدينة عزاز وملكه رضوان، فخرج هذا الأخير لحصاره فاستنجد الوالي بريموند الصنجيلي، فأضطر الملك رضوان إلى التراجع، وبذلك تمكن ريموند من نيل ما يصبو إليه وعاد إلى أنطاكية، ولكن الملك رضوان تمكن من والي المدينة وقتله[5].

وبعد استيلاء الصليبيين على أنطاكية، واحكام سيطرتهم وتقدمهم باتجاه مدن الشام الأخرى، حينها كانت لا تزال الفرقة والعداء بين ملوك الشام وأمرائه على أشدها. ولاشك أن ذلك قد أسهم بكثير، في تشجيع الصليبيين وتحمسهم لمسيرهم، ففي أواخر شهر سبتمبر أغار ريموند الصنجيلي على مدينة البارة، واستولى عليها في أواخر سبتمبر سنة 1098م/491هـ[6]، ويروي ابن العديم خبر ذلك ويقول: "وخرج صنجيل في ذي الحجة، وحصر البارة فقل الماء فأخذها بالأمان، وغدر بأهلها"[7].

---

[1] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.2، ص.21.

[2] أنظر، Raimond D Aguiles.op.cit.,p.290.

[3] عاشور،الحركة الصليبية،ص.ص.219-220.

[4] مجهول،المصدر السابق،ص.100؛ ويروي وليم الصوري: "ولقد هاجم هذا الطاعون الخبيث؛الجميع على اختلاف طبقاتهم،ولم يفرق بين صغير وكبير؛وكان من بين الذين ماتوا ادهيمار أسقف بُوِي...فبكاه الناس كلهم؛فيه أباً وهاديا لهم؛وشيعوه إلى جدثه بزفرات باكية"،كما يشير إلى ذلك ريمونداجيل ويقول :"وفي هذا الوقت رحل أسقف بوي حبيب الله والناس ؛ليرقد في سلام"، ويبين توديبود ذلك بقوله:"وكان قائدهم وراعيهم هو ادهيمار الذي وقع فريسة لمرض عضال،وفاضت روحه في سلام" أنظر، الحروب الصليبية،ج.2،ص.19؛ Histoire des Francs,p.290 ؛ تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،ص.257.

[5] ابن العديم،المصدر السابق،ج.1،ص.354.

[6] مجهول،المصدر السابق،ص.101؛ توديبود، المصدر السابق،ص.257؛ عاشور،المرجع السابق،ص.221.

[7] ابن العديم، المصدر السابق،ج.1،ص.355.

وحين حلول ساعة الزحف باتجاه بيت المقدس، عقد القادة الصليبيون مجلساً بأنطاكية، في كنيسة القديس بطرس بتاريخ 05 نوفمبر1098م، اجمعوا كلهم باستئناف الزحف، ماعدا بلدوين الذي كان مهتما بتنظيم إمارته بالرُّها، في حين ظل بوهمند متمسكا بمطلبه في امتلاك أنطاكية، وقد سانده كل الأمراء ماعدا ريموند الذي لم يعتبر نفسه مرتبطا بأي اتفاق، وبهذا أثيرت مشكلة أنطاكية. حاول القادة التهرب من هذه المشكلة وتأجيلها[1]، ولذلك راسلوا البابا في روما في 11 من سبتمبر، يخبرونه بوفاة مندوبه ادهيمار، ويطلبون منه الحضور شخصيا لرؤية كنيسة القديس بطرس[2]، رغم أنهم كانوا يدركون بأن ذلك لن يحدث، لذا تحملوا المسؤولية وإيجاد حل لمشكلة أنطاكية[3]. ونتيجة للدور الذي لعبه بوهمند في المفاوضات بالقسطنطينية، ربما أنه كان سيعطيه أولوية، حيث كان هو الموفِّق بين قادة الحملة،كما أن الإمبراطور أعطاه دور الكفيل لهذا الاتفاق، وقد كان بوهمند راغبا في ما سيعطيه له الإمبراطور من أراضي حول أنطاكية، لتكون له ملكية فيما بعد، كما رأى القادة الصليبيون أن ذلك الاتفاق في مجمله سيعود بالفائدة على الحملة الصليبية[4]، وبهذا انقلب الأمر كلية، بحيث أصبح بوهمند ينادي بالخروج عن الاتفاق المسبق، في حين أن ريموند الذي لم يُقسِم إلا على مضض، أصبح مدافعا عن حقوق الإمبراطور في ملكية المدينة. ولهذا أدت مشكلة أنطاكية إلى تعقيد الموقف بين زعماء الصليبيين من جهة، ومن جهة أخرى بين الصليبيين والبيزنطيين[5]، وقد استمر الجدل وكادت الحرب أن تندلع بينهم.

وحقيقة لم يهتم كل من جودفري البولوني ولا روبرت كونت فلاندرز بمسألة أنطاكية، وكانا يؤيدان سرا بوهمند بتملكها، فاستاء الجند ورأوا بأن الوقت قد حان، وإذا استمر الخلاف فإنهم سيدمرون أسوار المدينة، ويواصلون زحفهم إلى بيت المقدس[6]، ولذلك بادر القائدان ريموند وبوهمند بإيجاد حل لعله يحقق هدفهما، فتوجهت أنظارهما صوب معرة النعمان، التي سبق وأن هاجموها في شهر جويلية[7].

ويروي ابن العديم"...ووصلوا إلى معرة النعمان ...في مائة ألف، وحصروها في سنة اثنتين وتسعين، وقطعوا الأشجار واستغاث أهلها بالملك رضوان وجناح الدولة، فلم ينجدهم أحد...ودخلوا البلد بعد المغرب، ليلة الأحد

---

[1] عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.221.

[2] أنظر، Runciman, op.cit.,Vol,I,p.256.

[3] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص122..

[4] أنظر، Chalandon, op.cit.,pp.186-187.

[5] عاشور، المرجع السابق، ج.1،ص.222.

[6] ريموند اجيل، المصدر السابق، ج.6، ص.ص.237-239.

[7] أنظر، Stevenson,op.cit,p.30.

الرابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة"[1]، ورغم إعطاء أهلها الأمان، إلا أن ذلك لم يكن سوى تهدئة وطمأنة للنفوس، فسرعان ما أوقعوا بهم ضربا بالسيف[2]، وبعد أن استولى الصليبيون على المعرة، حدث خلاف بين بوهمند وريموند. ويبين ذلك المؤرخ المجهول فيقول:"لم يستطع بوهمند أن يصل إلى اتفاق مع الكونت صنجيل، على ما طلبه (كان بوهمند قد طلب من ريموند تأجيل رحيله إلى المعرة، ولكن الصليبيين كرهوا إعاقة المسير، فأضطر إلى تحديد وقت الزحف مما أغضب بوهمند)، قام وهو في سَوْرة غضبه فقفل راجعا إلى أنطاكية"[3]، بعد ذلك قام ريموند بمراسلة الدوق جودفري وكونت فلاندر وروبرت النورمندي وبوهمند للمجيء إليه في الرُّوجُ[4] لمفاوضته، للتشاور في مسألة السير إلى القبر المقدس، "ولكنهم لم يستطيعوا (أي القادة الصليبيين)، حمل بوهمند على الاتفاق مع الكونت ريموند، فقد أبى ذلك إلا إذا رد له الكونت أنطاكية[5].

16-انفراد بوهمند بحكم المدينة :

رفض الكونت ريموند ذلك المقترح(أي التنازل عن المناطق التي احتلها جنوده)، بسبب العهد الذي قطعه للإمبراطور، فعاد الكونتات والدوق إلى أنطاكية بصحبة بوهمند. ويقول وليم الصوري:" حدث بعد الاستيلاء على المعرة، خلاف عنيف بين بوهمند وريموند، حيث اقترح هذا الأخير تسليمها إلى أسقف البارة، إلا أن بوهمند رفض ذلك، إلا بشرط أن يسلِّمه ريموند الأبراج التي بيده في أنطاكية...وأخيرا رجع بوهمند إلى أنطاكية، واستولى عنوة على الأبراج التي كان أتباع الكونت ريموند قد حصنوها، وبذلك استولى على المدينة كلها، وأصبح سيدا لها"[6]. كما قام رجال بوهمند وخلعوا عليه لقباً تعظيمياً، ألا وهو (الأمير) وأصبح منذ هذه اللحظة لقبا لصاحب

---

[1] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.141-142،ويقول ابن القلانسي: ورغم صبر أهل البلد على المقاومة، إلا أنهم انهزموا طالبين الأمان، "وكان ذلك في الرابع عشر من محرم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة" أنظر، ذيل تاريخ دمشق،ص.137.

[2] يقدر ابن العديم عدد قتلى المسلمين، بأكثر من عشرين ألف رجل وامرأة وصبي، في حين يقدرهم ابن الأثير بأكثر من مائة ألف، وسبوْا السّبْي الكثير، وكان ذلك في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة،أنظر،زبدة الحلب ،ج.2،ص.142؛الكامل، مج.9،ص.16.

[3] مجهول،المصدر السابق،ص.106 حاشية(1)؛ ويقول ريموند أجيل:وعزم ريموند على إعطاء المعرة إلى أسقف البارة غير أن بوهمند رفض ذلك وتشبث بأبراجه التي استولى عليها وأطلق تحذيرا"إنني لن أتفق مع ريموند حول أي مسألة ما لم يتنازل لي عن أبراج أنطاكية المحتفظ بها"،وبعد أن حدد ريموند يوم الزحف ؛غضب بوهمند وعاد إلى أنطاكية،أنظر، ريموندأجيل، المصدر السابق، ج.6، ص.ص.243-244.

[4] مدينة من مدن حلب، أنظر،ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج.3،ص.76.

[5] مجهول،المصدر السابق،ص.107؛ويقول توديبود:"وحضر كل الرؤساء وتناقشوا حول الوسائل التي من خلالها يواصلوا الرحلة،ونشأت مشكلة بمطالبة بوهمند بتملك أنطاكية وبرفض ريموند لإرتباطه بالقسم للإمبراطور"،أما ريمونداجيل فيقول:"اجتمع البارونات في قلعة الروج، ولم يسفر مؤتمرهم عن اتفاق لمواصلة السير.ونتيجة لذلك قام الكونت بشراء ذمم كثير من القادة من أجل موافقتهم" أنظر،تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،ص.263؛ تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس، ج.6، ص.ص.244-245.

[6] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2،ص.38؛ويقول توديبود:"وفي تلك الفترة قام بوهمند بطرد جميع رجال ريموند من أنطاكية للاستحواذ عليها"،أنظر،تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس،ص.263.

أنطاكية، ينفرد به ولا يشاركه فيه أحد[1]. في حين كان جميع الصليبيين، ينتظرون قرار الزحف بلهف واستياء من هذا التأخر، فمن خلال المشاحنات التي حدثت بين القادة الصليبيين، أثناء استيلائهم على المدن، ومدى فعالية كل قائد وإستراتيجيته في ذلك، يتبين أن كل قائد يريد تحقيق هدفه في إطار الحملة العام.

17- زحف الصليبيين باتجاه بيت المقدس والاستيلاء عليها :

وأخيراً خرج الكونت ريموند في يوم 13 جانفي1099م قاصداً بيت المقدس[2]، وبحلول الفاتح من شهر مارس خرج الدوق جودفري وروبرت كونت فلاندرز ومن معه من القادة بصحبة بوهمند، وعسكروا باللاذقية في حشد كبير، لكن بوهمند سرعان ما قفل راجعا إلى أنطاكية، خوفا من أن تقع في أيدي أعدائه. بينما واصل باقي القادة وحاصروا مدينة جبلة، لكن بطلب من الكونت ريموند رفعوا الحصار وساروا باتجاه إخوانهم، وبهذا أصبحت قواتهم جسما واحدا محاصِرةً لعِرْقة[3]. وأثناء ذلك وصلتهم رسالة من الإمبراطور، يشكو فيها بوهمند ونقضه للاتفاق[4]، الذي كان الإمبراطور أليكسيوس طرفا فيه، ولكن ذلك لم يحدث وبالتالي أصبحوا في حلٍّ من تعهدهم،ولهم حريتهم في من تنازلوا له عن أنطاكية، وارتضوه أميرا لها يجعله حريا بتملكها وتوارثه المدينة إلى الأبد[5]، كما أن المبعوثين بذلوا جهودا من أجل إبقاء الجيش الصليبي في الانتظار، إلى غاية وصول الإمبراطور الذي يوافق الفاتح من جويلية[6]، لكن الصليبيين واصلوا زحفهم إلى أن استولوا على بيت المقدس، وكان ذلك في 15من شهر جويلية 1099م/ 23 من شهر شعبان 492هـ[7]. وقد حدثت بها مذبحة رهيبة، ويروي ابن الأثير

---

[1] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.1،ص.421.

[2] مجهول،المصدر السابق،ص.107؛توديبود،المصدر السابق،ص.289؛ في حين يقول وليم الصوري:"ولما رأى الكونت أن خصمه قانسحب ،أصبح في قدرته هو وحده أن يقضي في المدينة (المعرة)المفتوحة بما يشاء...فلما كشف الصليبيون خطته سخطوا عليه أشد السخط،وعمت شكاية بعضهم لبعض،من أن القادة يحاولون اختلاق معاذير لتبرير تراخيهم،ويبدوا أنهم نسوا هدفهم الأصلي من أمر حجهم...لذلك قام العامة من تلقاء أنفسهم، بتخريب مدينة المعرة لإجبار الكونت على السير إلى بيت المقدس...ومن ثمَّ تمَّ تحديد الخامس عشر من شهر يناير 1099م/492هـ لمواصلة الزحف "أنظر، الحروب الصليبية ج.2،ص.ص.38-39، 41.

[3] وليم الصوري،المصدر نفسه،ج.2،ص.49-53.وعِرْقة بلدة شرقي طرابلس؛وهي آخر عمل دمشق،في سفح جبل تبعد عن البحر الأبيض المتوسط بـ: 1.6كيلومتر، أنظر،الحموي، المصدر السابق، مج.4، ص.ص.109-110.

[4] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.2، ص.58.

[5] نفسه، ج.2، ص.ص.58-59.

[6] نفسه، ص.59.

[7] مجهول،المصدر السابق،ص.107، 117-118؛ ريموند اجيل ،المصدر السابق،ج.6، ص.296؛ فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص.74، حاشية(184) ؛ توديبود،المصدر السابق،ص.319؛وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2،ص.137؛ابن الأثير، المصدر السابق، ،ج.9،ص.19؛ ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.136-137 ؛ جوناثان رايلي سميث،الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ت.محمد فتحي الشاعر،ط.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ص. 113.أنظر أيضا، Kostick Conor,The Siege of =

فيقول :"وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى، ما يزيد عن سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم وعبادهم زهادهم"[1]، ومما أثار شكوك زعماء الصليبيين في نية الإمبراطور هو أنهم حصلوا على رسالة بعد موقعة عسقلان (12أوت1099م)، كان قد بعث بها الإمبراطور إلى الأفضل وزير الخليفة الفاطمي المستعلي[2].

18- رحلة بوهمند إلى بيت المقدس واكتسابه شرعية الإمارة :

من خلال تصرفات بوهمند أثناء الاستيلاء على أنطاكية، يظهر وكأنه سيدا للمدينة، وذلك من خلال الامتيازات التي منحها للجنوية في 14جويلية 1098م، وبموجبها وهبهم ثلاثين منزلا وكنيسة القديس يوحنا وسوقا ونافورة بأنطاكية، وهذا ليضمن مناصرتهم له[3]. واستغل بوهمند الظرف(بعد زحف الصليبيين باتجاه بيت المقدس)، واستعان بقوة البيزاوية[4] لمحاصرة اللاذقية البيزنطية، وكان ذلك في جويلية 1099م[5]، لكنه فشل بسبب تدخل القوات الصليبية بقيادة روبرت النورماندي وروبرت فلاندرز العائدة من القدس[6]، ورحل باتجاه بيت المقدس لقضاء فترة عيد الميلاد1099م، بصحبة دايمبرت وانضم إليهما في الطريق بولدوين كونت الرها، وتمكن دايمبرت من اعتلاء عرش البطريكية في بيت المقدس(1099-1103م)، نظرا لسمعته وأسطول بيزا وبدعم من بوهمند، ثم كان على جودفري أن يعتلي منصبه في بيت المقدس بموافقة دايمبرت[7]، كما أن بوهمند أراد ضمان

Jerusalem ,Crusade and Conquest in 1099,London,New York,2009,pp.116-120;= Chalandon ,op.cit.,p.217.

[1] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.19؛ ويقول ابن الجوزي:"أخذ الإفرنج بيت المقدس في يوم الجمعة 13 من شعبان سنة492هـ وقتلوا أكثر من سبعين ألف مسلم"أما مؤرخ مجهول فيقول:"فلما دخل حجاجنا المدينة؛جَدُّوا في قتل الشرقيين ومطاردتهم حتى قبة عمر؛حيث تجمعوا واستسلموا لرجالنا الذين أعملوا فيهم أفظع القتل طيلة اليوم،حتى فاض المعبد كله بدمائهم"؛ويقول ريموندا جيل:"فقد قُطِّعت رؤوس بعض المسلمين بلا رحمة،وتكدست في البيوت والطرقات الجثث والرؤوس والأيدي والأقدام"؛ وأما وليم الصوري فيقول:"وراح فرساننا يذرعون شوارع المدينة مشهرين سيوفهم فاتكين بكل من يصادفونه من الأعداء لا يراعون عمرا ولا وضعا ،فكان في كل ناحية مذبحة مروعة"،أنظر، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،ج.17،ص.47؛ أعمال الفرنجة، ص.118-119؛ تاريخ الفرنجة،ج.6، ص.295؛ الحروب الصليبية،ج.2، ص.125.

[2] أنظر، Chalandon (F),op.cit.,pp.206-207.

[3] أنظر، La Monte(John), Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem1100 -1291, Combridge,Massachusetts,U.S.A,1932, p.266.؛ هايد وليم ،تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى،ترجمة،أحمد محمد رضا،الهيئة العامة المصرية للكتاب ،1985،ج.1،ص.ص.147-148.

[4] كان أهالي بيزا أول من أدرك أن الفرصة قد حانت، إذ قاموا بتجهيز أسطول بحري، حيث تمكن المطران دايمبرتDaimbertمن استخدامه لتعزيز أهدافه الشخصية في المشرق الإسلامي،خاصة وأن بيت المقدس أصبحت بيد الصليبيين. أنظر، ماير(إتش.إ)، تاريخ الحملات الصليبية،ت. محمد فتحي الشاعر،دار الأمين للنشر والتوزيع،القاهرة، 1999،ج.1،ص.96.

[5] فوشيه الشارتري، المصدر السابق،ص.81،حاشية،(213) ؛ عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.344.

[6] حسين عطية، المرجع السابق، ص.125.

[7] ماير(إتش،إ)، المرجع السابق،ج.1، ص.96.

شرعية ملكية أنطاكية، إذ نجده يسلم أنطاكية كإقطاعة للمندوب البابوي[1]، وبموجبها أصبح تابعا له، وتلقى منه تقليدا بأرض أنطاكية، وبهذا يتخلص من كل معارضة[2]. ومن خلال تعيين بوهمند، وتنصيب أربعة أساقفة ورؤساء أساقفة في إمارة الأمير النورماني، في كل من طرسوس وأرتاح والمصيصة والرها، كل ذلك يعتبر انتهاكاً لحقوق بطريك أنطاكية، ولهذا نجد البطريك حنا يغادر باتجاه القسطنطينية، وعلى الفور بادر بوهمند بتعيين البطريك برنارد الفالنسي Bernard of Valence اللاتيني (1100-1135م)[3]، وبهذا العمل يكون صبغ إمارته بالصبغة اللاتينية الكاثوليكية[4].

وعليه فإن بوهمند قد حقق جانبا مهما من هدفه، وتوسيع أملاك النورمان في المشرق، مستغلا في ذلك الحملة الصليبية الأولى، التي دعت إليها البابوية، واستجابت لها الشعوب اللاتينية بمختلف طبقاتها، تحت قيادة الأمراء والفرسان، ليبدأ مرحلة جديدة في إرساء دعائم إمارته، التي لازالت عائمة في المحيط المتقلب.

19- تكوين الإمارة (توسيع حدودها) :

استطاع بوهمند النورماني التغلب على غريمه الكونت ريموند، وأن يضرب بقسم الولاء للإمبراطور عرض الحائط، وأن يفرض سيادته ويؤسس إمارته بأنطاكية. لم تكن أراضي الإمارة واسعة، وكانت تتألف من وادي نهر العاصي(الأورنتس Orontes)، وسهل أنطاكية وسلسلة جبال أمانوس(جبل اللُّكام) ومينائي الإسكندرونة والسويدية[5]، أي المناطق التي تم الاستيلاء عليها في الحملة الصليبية الأولى، وكل ذلك مرهونا بنشاط أمرائها[6]، خاصة الأوائل فقد تزيد مساحتها اتساعا أو تتقلص[7]. أما سكانها فكان أغلبهم من المسيحيين الذين يتكونون من اليونانيين والسوريان الأرثوذكس، والسوريان اليعاقبة والأرمن وقليل من النساطرة، وكانت كل طائفة تتحسس من الطائفة الأخرى، وهذا له وقعه إذ أصبح من اليسير السيطرة عليهم من طرف النورمان[8].

---

[1] ماير، المرجع السابق ،ج.1، ص.96 ؛ Yewdal(R.B), op.cit., p.91

[2] وليم الصوري ،المرجع السابق ،ج.2،ص.172؛حسين محمد عطية ، المرجع السابق،ص.126.

[3] ماير(اتش،ا)،المرجع السابق،ج.1،ص.97. لمعرفة أسماء البطاركة الذين تقلدوا كرسي أنطاكية من لاتين وغيرهم، أنظر، الملحق (03)، ص.204.

[4] حسين محمد عطية ، المرجع السابق،ص.126.

[5] رنسيمان ستيفن،تاريخ الحملات الصليبية،ترجمة نور الدين خليل، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1994ج.2، ص.35.

[6] في ما يتعلق بأمراء أنطاكية والأوصياء عليها. أنظر، الملحق (04)، ص.206..

[7] أنظر، Asbridge Thomas,op.cit., ,pp.59,90.

[8] رنسيمان، المرجع السابق،ج.2،ص.35.

وبعد أن تمكن بوهمند من الإنفراد بحكم أنطاكية، وإعطائها الشرعية من طرف البطريرك دايمبرت، بدأ يُرسي دعائم أركانها وذلك بتوسيع حدودها، على حساب جواره ليستولي على المواقع الهامة[1]، حيث نجده يبادر بالاستيلاء على حصن أفامية[2]، ولكن سرعان ما قفل راجعا إلى أنطاكية[3]. ويروي ابن العديم:"توجه الملك رضوان في شهر رجب من سنة 493هـ/1100م، إلى الأثارب[4] ثم كلاّ في 25 شعبان فأجتمع من كان في الجزر وزَرْدَنا[5] وسرمين[6] من الإفرنج، والتقوا فأنهزم رضوان وأستبيح عسكره"[7]، حيث قُتِل الكثير وأُسِر ما يقارب الخمسمائة[8]، وبهذا النصر تمكن إفرنج أنطاكية، من الاستيلاء على برجي كفرطاب والحاضر، وأصبح لهم من كفرطاب إلى الحاضر، وغرب حلب سوى تل منّس[9]، لقد كانت هذه النجاحات حافزا لبوهمند لحصار حلب[10]. ولما وصله خبر نزول الدانشمند وحليفه قلج أرسلان بملطية، رحل باتجاهها ولكن ذلك قاده إلى أسْره بصحبة ريتشارد السالرني، كما أُسْتبيح عسكره" ولم يُفلِت منهم أحد"[11]. ويقول متّى الرّهاوي أن بوهمند خرج لمساعدة جبريل Gabriel صاحب ملطية، بطلب من هذا الأخير الذي وعده بإعطائها إياه[12]، وإستراتيجية من بوهمند لبّى الطلب لسدِّ المنافذ الشمالية في وجه البيزنطيين، من أجل حماية إمارته، ولكن ذلك كانت مغامرة

---

[1] أنظر، Cahen,op.cit,pp.227-228.

[2] ويقال لها أيضا فامية، مدينة كبيرة من سواحل حمص،كما أن فامية قرية من قرى واسط ،أنظر،الحموي،المصدرالسابق، ج.4، ص.233.

[3] يقول ابن القلانسي:" وفي شهر رجب من سنة 1100م/493هـ؛خرج بيمند؛ملك الإفرنج صاحب أنطاكية إلى حصن أفامية ونزل عليه أياما واتلف زرعه،وعند سماعه خبر وصول الدنشمند مع حليفه قلج أرسلان إلى ملطية ؛عاد إلى أنطاكية وحشد جيشا للقائه " أنظر،ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.ص.137-138.

[4] قلعة بين حلب وأنطاكية، أنظر،الحموي،المصدر السابق،ج.1،ص.89.

[5] بليدة من نواحي حلب الغربية، أنظر،الحموي، المصدر نفسه،ج.3،ص.136.

[6] بلدة من أعمال حلب، قيل أنها سميت بسرمين بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، أنظر،الحموي،المصدر السابق،ج.3،ص.215.

[7] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.ص.143-144.

[8] ابن العديم،المصدر نفسه،ج.2،ص.144؛Stevenson.op.cit,p.72

[9] ابن العديم ،المصدر نفسه،ج.2،ص.144.

[10] أنظر،stevenson,op.cit.,pp.72-73؛ حسين عطية،المرجع السابق،ص.127.

[11] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.145.

[12] أنظر،Matthieu d'Edesse,op.cit.pp.230-231؛ ويقول فوشيه الشارتري:"في شهر تموز، عندما اقترب بوهمند في قلة من رجاله من مشارف ملطية،(كان وقد عقد بوهمند معاهدة صداقة مع حاكمها جبريل، بموجبها يسلم الأخير البلدة إلبوهمند) ؛حينها اقترب الأمير دانشمند في عدد كبير من الأتراك وانقضوا على بوهمند في كمين نصبوه له وأخذوه أسيرا"، أنظر، فوشيه الشارتري ،المصدر السابق،ص.ص.84-85.

مغرورة، وكان ذلك في منتصف أوت سنة1100م، حيث تم سجنهما في قلعة نيكسار(قيصرية الجديدة) بالقرب من البحر الأسود[1].

ولا شك أن المسلمين قد سُعِدوا بأسر بوهمند، الذي طالما أثار الرعب في نفوسهم[2]، لقد تزامن ذلك مع قدوم حملة 1101م، والتي تألفت من اللومبارديين والفرنسيين والألمان ليلتحق شقها الثالث بمجئ وليم الثانيWilliamII كونت نفرزNevers ووليم التاسع William IX دوق أكوتين وولف الرابع Wolf IV دوق بارفاريا، وباقتراح من اللمبارديين حاولوا فك أسر بوهمند لكن دون جدوى، إذ كان الأتراك في الأناضول على استعداد تام، حيث سُدّت المنافذ وتم إبادة معظم أفرادها، وهكذا حُرِم الصليبيون في الشام من هذا التدفق البشري، الذي هم في أمس الحاجة إليه[3]. وفي السنة نفسها (1100م)، انتقل تانكريد من فلسطين ليتولى مهمة الوصاية على الإمارة[4]، حيث وجد فيه النورمان قائدا لا يقل كفاءة عن خاله الأسير[5]، ويقول ألبرت أف أكس "في هذه الفترة تلقى تانكريد رسالة من كبار رجال بوهمند، يدعونه لإدارة ممتلكات الإمارة كميراث شرعي"[6]، ولقد ساعدته الظروف ليستهل مشروعه التوسعي بنجاح، حيث استولى على أذنة والمصيصة وطرسوس، كما استولى على اللاذقية بعد سنة ونصف من حصارها[7]، وبهذه الأخيرة اكتسب واجهة بحرية للإمارة، فضلا عن ميناء يربطها بالغرب اللاتيني[8]، كما أن تانكريد وقف إلى جانب الملك بولدوين في حربه ضد الفاطميين، حيث أمده بالفرسان مثل ما فعل بلدوين دي بورغ أمير الرها، وكان ذلك سنة 1102م[9]. إضافة إلى وقوفه إلى جانب الرها، وقد أكسبه ذلك مكانة خاصة بين الإفرنج[10]،كما أن تانكريد قد أجبر ريموند الصنجيلي أثناء عودته من

---

[1] حسين عطية،المرجع السابق،ص.127؛ علي بن صالح المحيميد، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1994،ص.ص.179-180، 184؛عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.348.

[2] سعيد محمود عمران،القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين493هـ-531هـ/1100م-1137م،دار النهضة العربية،بيروت،1986،ص.13.

[3] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.ص.347-352.

[4] المرجع نفسه،ج.1،ص.288؛ علي بن صالح المحيميد، المرجع السابق،ص.182.

[5] رنسيمان،المرجع السابق،ج.2،ص.ص.35-36.

[6] أنظر، Albert D'Aix,op.cit.,T.I,p.436.

[7] أنظر، Raoul de Caen,Histoire de Tancréd,traduction,de Guizot (M) dans, C.M.R.H.F.,Imp.,LeBel, Paris, 1825,p.273-275.

عاشور، المرجع السابق،ج.1،ص.346؛ حسين عطية،المرجع السابق،ص.129.

[8] حسين عطية،المرجع نفسه، ص.129.

[9] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.299؛ Stevenson,op.cit.,p.76

[10] حسين عطية،المرجع السابق ،ص.129.

القسطنطينية، إلى بلاد الشام بعد أن اعتقله[1]، على تخليه عن مطالبه في أنطاكية وحتى اللاذقية، وبهذا يكون تانكريد قد ضمن لإمارة أنطاكية اعترافا آخر، مما سهل عليه تثبيت أركانها[2].

وبحلول سنة 1103م/495هـ أطلق الدانشمنديون سراح بوهمند، فعاد إلى أنطاكية وسرعان ما باشر سياستة العدائية، كما طالب المناطق التي خضعت له بالأتاوى التي فرضها عليها[3]. ويقول ابن الأثير:"وفي هذه السنة(495هـ/1103م)، أطلق الدانشمند سراح بيمند صاحب أنطاكية، فقويت نفوس أهلها ولم يستقر حتى أرسل إلى أهل العواصم وقنّسرين وما جاورها يطالبهم بالأتاوة"[4]، ثم هاجم بوهمند بمساعدة عسكر الرها مدينة المسلّمية، وفرض عليها الجزية[5]، ومن خلال ذلك يتبين أنه في أمس الحاجة إلى المال لتسديد فديته لمقرضيه[6]. وإستراتيجية من الإفرنج في شمال الشام، خرج بولدوين كونت الرها، وجوسلين وطلبوا المساعدة من بوهمند وتانكريد، وساروا باتجاه مدينة حرّان للاستيلاء عليها، لكن ذلك كان كارثة حقيقية، حيث انتصرت قوات جركمش أمير الموصل و سكمان بن ارتق، وتم أسر جوسلين وبلدوين كونت الرها، ونجا بوهمند وتانكريد ولجأوا إلى الرها[7]. ولقد كان ذلك نكسة للإفرنج عامة ولأنطاكية خاصة، إذ أصبحت في حال أسوأ وتراجعت حدودها، نتيجة تهديدات رضوان صاحب حلب وتقدمه باتجاهها[8]،كما انتهز الإمبراطور أليكسيوس هذه الفرصة، واسترد قليقية من إمارة أنطاكية، وتقدم باتجاه الشام وهاجم اللاذقية[9]، وبهذا أصبح بوهمند بعد موقعة حرّان في وضع مخزٍ، إذ نجد قوات حلب تضغط من الشرق، والقوات البيزنطية سيطرت على اللاذقية وغريمه الكونت ريموند، حليف الإمبراطور يوسع إمارته في الجنوب، وهو نفسه مدين للدانشمند بفديته، وقواته في أنطاكية أوهن ما تكون، وهذا كله لا يُمكّنه من استكمال مشروعه التوسعي، لذا ترك تانكريد وصياً على الإمارة، ورحل باتجاه الغرب بصحبة

---

[1] أنظر، Matthieu d'Edesse,op.cit.,pp.241-242.

[2] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.ص.353-354.

[3] علي بن صالح المحيميد،المرجع السابق،ص.ص.190-191.

[4] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.56.

[5] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.ص.147-148.

[6] حسين عطية،المرجع السابق،ص.130.

[7] أنظر، Mattheu d'Edesse,op.cit.,pp.254-255؛ للمزيد حول حدود الإمارة عند وقوع معركة حران. أنظر، الخريطة (06)، ص.2244.

[8] حسين عطية،المرجع السابق،ص.131؛ Stevenson,op.cit.p.78

[9] أنظر، Stevenson,op.cit.p.78.؛ ماير،المرجع السابق، ج.1،ص.104.

دايمبرت في خريف 1104م[1]، آخذًا معه كل ما يملك من ذهب وفضة ومجوهرات وكل ماهو ثمين، متوعدا بالرجوع للشرق بكل ما يستطيع حشْدَه من قوة[2]، لكن ذلك لم يحقق له شيئا، وعاد مخذولا إلى إيطاليا إلى أن توفي بها سنة 1111م[3]، وبهذا أصبحت أنطاكية وللمرة الثانية تحت وصاية تانكريد، الذي وجه نشاطه ضد البيزنطيين والمسلمين على حد سواء[4]، حيت استولي على قلعة أرتاح في 20 أفريل1105م[5]، كما قصد تانكريد حلب"فأجفل أهله منه ونُهِب مَنْ نُهِب وسُبِي مَنْ سُبِي"[6]، وبنجاحه هذا أصبح يتحكم في الطريق بين أنطاكية وحلب[7]. وإن دل ذلك فإنما يدل على عزيمة إفرنج أنطاكية، وما يتمتع به قادتها من حماسة للصليبية وتحقيق لأهدافهم الخاصة، وهذا يدفع بالإمارة شيئا فشيئا إلى تثبيت أقدامها في شمال الشام.

وهكذا وفي فترة قصيرة استطاع تانكريد أن يؤمن حدوده الشرقية والجنوبية، وأن يسترد على حساب الحلبيين ما ضاع لإمارته في موقعة حران، مما دفع بالملك رضوان إلى عقد اتفاقية معه، وكان ذلك في 1105م/498هـ وهي أول اتفاقية تعقد بين المسلمين والصليبيين، منذ قدوم الحملة الأولى[8]. حدث وأن اغتال الباطنية خلف بن ملاعب صاحب أفامية، مما أدى بتانكريد السير إليها، إلا أنه تقرر له مالا فرحل عنها، ولكن سرعان ما رجع وحاصرها وتسلّمها بالأمان 1106م/13محرم 500هـ[9].

وعليه فإن ذلك يبين أن إمارة أنطاكية، قد اكتسبت الشرعية على الأرض الإسلامية، بفضل كفاءة وقدرة أمرائها وتثبيت مركزها في شمال الشام، كما يعكس إلى حد الآن أن الجبهة الإسلامية لم تكن في المستوى المطلوب، رغم

---

[1] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.2،ص.ص.257؛ حسين عطية،المرجع السابق،ص.132. أنظر أيضا،
Yewdal(R),op.cit.,pp.101-102

[2] فولتشر الشارتري، المصدر السابق، ص.131؛ Runciman,op.cit.,vol,II,P.47;stevenson,op.cit., p.79

[3] بالرغم من مسعاه في الغرب ومهاجمته للإمبراطورية البيزنطية، إلا أن ذلك أدى إلى هزيمته وخضوعه للإمبراطور، بموجب معاهدة ديفول سنة 1108م،أنظر، An Encyclopedia of Key Figures in Medieval Europe,Routledge, New york-London,2006,pp.86-87 ;La Grande Encyclopedie, T.7,pp.37-39. ؛فوشيه الشارتري،المصدر السابق،ص.ص.142-143؛وليم الصور،المصدر السابق،ج.2،ص.271.

[4] أنظر، Cahen,op.cit.,p.241.

[5] أنظر، Asbridge,op.cit.,p.57 .

[6] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.148؛ ويقول ابن العديم:"واضطربت أحوال بلد حلب من لَيْلُون إلى شيزر، وتبدل الخوف بعد الأمن والسكون...ولم يبق في يد الملك رضوان من الأعمال القبلية، إلا حماة ومن الغربية إلا الأثارب، والشرقية والشمالية في يده، وهي غير آمنة".أنظر، زبدة الحلب،ج.2،ص.151.

[7] أنظر، Cahen,op.cit.,p.242 .

[8] حسين عطية، المرجع السابق، ص.133.

[9] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2، ص.ص.151-152.

ما حققته من نصر (موقعة حران)، أي أن حكام المسلمين آنذاك لا يزالون حبيسي أهدافهم الشخصية، لكن تانكريد كان طموحه أكبر من ذلك، إذ نجده يستولي على مدن قليقية (المصيصة وأذنة وطرسوس)، إضافة إلى اللاذقية ذات الموقع الهام[1].

وبذلك أصبح تانكريد صاحب السلطة، من جبال طوروس إلى الجزيرة ووسط بلاد الشام، فهو أمير أنطاكية والرها بالوصاية، كما أنه حاكم مناطق نفوذه في مملكة حلب[2]. ولقد كان تانكريد من الناحية الرسمية نائبا لبوهمند في غيابه، وحقيقة كان حاكما مستقلا، لذا لم يكن لديه نيّة لتنفيذ شروط معاهدة ديفول، وهمّه الوحيد توسيع نفوذه[3]، وبنجاحاته التي حققها أثارت مخاوف المسلمين والصليبيين، إذ نجد تحالف بلدوين كونت الرها وجوسلين صاحب تل باشر، وجاولي حاكم الموصل ضد تانكريد ورضوان، حيث انتهى الصدام بانتصار الأخيريْن عند مَنبِج شرق حلب، في شهر أكتوبر1108م /صفر502هـ[4].

ومن خلال ذلك يتبين أن المصالح الشخصية، هي التي تتحكم في عقد الأحلاف العسكرية، بالنسبة للإفرنج وغيرهم من المسلمين، كما أن تانكريد نجده مرة أخرى يتدخل في إمارة طرابلس، خصوصا في الصراع حول وراثة العرش بين وليم جوردان نائب ريموند الصنجيلي، وبرتراند ابن هذا الأخير[5]، واستمر النزاع إلى أن تدخل الأصدقاء لإحلال السلام بينهما[6]، حيث انحاز برتراند إلى جانب بلدوين وقبِل سيادته، بينما أصبح خصمه تحت سيادة تانكريد في أفريل 1109م/503هـ[7]، ولم يلبث أن دب النزاع فأسرع الكونت وليم جوردان لتسوية المشكل، ولكنه أصيب بسهم أودى بحياته وأصبح برتراند سيدا لهذا الإقليم[8]، ولكن لم تنته سياسة تانكريد التوسعية، فبعد مشاركته مع بلدوين للدفاع عن الرها، ضد مودود أتابك الموصل في أفريل1110م/

---

[1] أنظر، Raoul de Caen,op.cit.,pp.265-266,273.

[2] حسين عطية، المرجع السابق،ص.134.

[3] ماير،المرجع السابق، ج.1،ص.105.

[4] حسين عطية،المرجع السابق،ص.134.

[5] يقول فوشيه الشارتري:"في عام 1109م، أتى برتراند ابن الكونت ريموند إلى طرابلس ومعه أهل جنوى بأسطول تعداده حوالى 70سفينة، وقصد هذه المدينة لامتلاكها بحق الوراثة، فدب النزاع فور حصار المدينة بينه وبين وليم جوردان، الذي قال يجب أن تكون المدينة لي وبحق لأنني كبحت جماح سكان البلاد المعادين، منذ وفاة الكونت ريموند"أنظر،فوشيه الشارتري، المصدر السابق،ص.144.

[6] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2،ص.ص.275-276

[7] أنظر، Cahen;op.cit.,pp.245-246.

[8] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2،ص.276،ويقول فوشيه الشارتري:"وحصل أنه ما إن بدأ بلدوين بإحلال السلام بين المتنازعَيْن، إلا وقُتِل وليم جوردان إثر حادث لا أفهم كنهه". أنظر، تاريخ الحملة إلى القدس، المصدر السابق،ص.145.

شوال503هـ[1]، قام مرة أخرى لمواجهة حلب وتوسيع نفوذه في الأثارب، وإرغام حلب على دفع الجزية[2]. ويقول ابن العديم:"ولما عرف الملك رضوان هزيمة الإفرنج عن الرها، خرج ليتسلم أعمال حلب، التي كانت في أيدي الإفرنج...وأغار على بلد أنطاكية، وغَنِم ما يَجُلُّ قدْره وكان بينه وبينهم مهادنة نقضها"[3]، فلما عاد تانكريد نزل بالأثارب وحصرها، وتم الصلح على عشرين ألف دينار وعشرة رؤوس من الخيل، وقبضها وعاد إلى أنطاكية[4].

ولقد استطاع تانكريد بفضل نشاطه الدؤوب، أن يبسط نفوذه جنوب اللاذقية، وفي ممتلكات أفامية ويؤمن طرق المواصلات في هذه الناحية، ويستولي على حصن بِكِسْرائيل[5]، كما امتد نفوذه إلى المنطقة الجنوبية الشرقية بشيزر والتي دخلت معه في صلح[6]، وكان لهذا النشاط التوسعي أثره في نفوس أهل الشام، إذ نجدهم يجتمعون مكونين حلفا إسلاميا لمواجهة هذا الخطر الداهم، إلا أنهم لم يحققوا ما كانوا يطلبونه، وكان ذلك سنة 1111م/505هـ[7]. من خلال ذلك يتبين أن الحرص على المصالح الشخصية، قد أفشل هذا المشروع، الذي كان بإمكانه أن يحقق نصرا مبينا[8]، بعدها اغتنم تانكريد فرصة وفاة باسيل Vasil الأرمني، صاحب بلاد الأرمن (سيس) وسار إليها ليمتلكها، لكنه أصيب بمرض اضطره إلى الرجوع إلى أنطاكية، حيث توفي بها وكان ذلك في12 ديسمبر 1112م[9].

---

[1] حسين عطية،المرجع السابق، ص.135.

[2] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.ص.170-171.

[3] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.155.

[4] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.ص.155-156. ويقول أبو الفدا:" وفي هذه السنة(1110م/504هـ) سار صاحب أنطاكية، مع من اجتمع معه من الفرنج إلى الأثارب وحصروه، ودام القتال بينهم ثم ملكوه بالسيف". أنظر، المختصر في أخبار البشر، ج.2، ص.224.

[5] ابن العديم، المصدر نفسه، ج.2،ص.158؛ Cahen.op.cit.,p.260 ؛ تومي رشيد، المرجع السابق، ص.ص.272-273؛ وبكسرائيل:حصن من سواحل حمص مقابل جبلة في الجبل، أنظر،الحموي،المصدر السابق، ج.1،ص.475.

[6] أبو الفدا، المصدر السابق، ج.2،ص.225.

[7] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.143-144؛ويقول أبو الفدا:" وفيها (505هـ)جهز السلطان محمد عسكرا فيه صاحب الموصل مودود وغيره من أصحاب الأطراف لقتال الفرنج بالشام ؛ونزلوا على الرها فلم يملكوها فرحلوا ووصلوا إلى حلب فخاف منهم ملكها رضوان وغلق ابوابها فساروا الى المعرة ثم افترقوا ولم يحصل لهم غرض"أنظر، المختصر، ج.2، ص.225.

[8] حسين عطية،المرجع السابق،ص.135-136.

[9] أبوالفدا، المصدر السابق، ج.2،ص.226؛ ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.183؛ ابن العديم،المصدر السابق، ج.2، ص.163؛ حسين عطية، المرجع السابق، ص.136؛فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص.150.أنظر أيضا، Cahen,op.cit.,pp.265-266؛ للمزيد حول ذلك. أنظر، تومي رشيد، المرجع السابق، ص.274.

وهكذا مات تانكريد، بعد أن قام بدور كبير في إرساء دعائم إمارة أنطاكية الصليبية بشمال الشام، وما حققه في امتداد حدودها على حساب المسلمين والبيزنطيين[1]، ورغم ما تميز به بوهمند من ذكاء ودهاء والاستيلاء على أنطاكية، وإعطاء فرصة للنورمان والمغامرة في المشرق، إلا أن تانكريد قد قوّى عزيمة النورمان وتثبيت أقدامهم فيه، من خلال نشاطه العسكري والسياسي، الذي أضفى الشرعية من خلال عقد الهدنة وإقامة التحالف العسكري والسياسي بينه وبين المسلمين، من جهة ومن جهة أخرى بينه وبين بقية الإفرنج في المشرق، وبهذا تعتبر وفاته كارثة عظمى للصليبيين خاصة إمارة أنطاكية، إذ أنه في هذا الظرف اشتدت حماسة سلاجقة فارس لانتزاع ما اكتسبه الصليبيون بالقوة. ولقد كان تانكريد من الركائز التي اعتمدت عليها الحملة الصليبية الأولى، وقد يرجع إليه الفضل في تأسيس إمارة أنطاكية، وجعلها خالصة للنورمان، أثناء أَسْرِ خاله وفي ما بعد انتقاله إلى الغرب[2].

وهكذا انتقل حكم الإمارة إلى روجر ابن أخت تانكريد، الذي كان قد استخلفه فيها هذا الأخير[3]، وذلك لم يغير موت تانكريد في الوضع شيئا، إذ كانت لروجر عزة وهمة مثل سلفه[4]، ومما زاد الأمير شأنا علاقة المصاهرة بينه وبين بولدوين دي بورغ أمير الرها، وجوسلين دي كورتيناي صاحب تل باشر، وبهذا توطدت العلاقة بين أنطاكية والرها من جهة، ومن جهة أخرى بين أنطاكية والمملكة، بعد ما تولى بولدوين أمر بيت المقدس[5]. ولقد كانت ولايته لأنطاكية في نهاية ديسمبر1112م، وحانت الفرصة ليُثبت كفاءته، ففي جوان1113م نراه يتدخل لجانب بلدوين الأول ضد مودود[6] أتابك الموصل وحلفائه، حيث أنقذه من الهزيمة التي ألمت به[7]، وتابع روجر سياسته المماثلة لسابقه، وذلك بالضغط على حلب لدفع الجزية المتفق عليها في عهد تانكريد[8]، خلالها أصيب الملك رضوان بمرض توفي على إثره، في 28 من جمادى الثانية سنة507هـ/ ديسمبر1113م، فخلفه على

---

[1] حسين عطية،المرجع السابق،ص.136-137؛ للمزيد حول أقصى حدود الإمارة عند وفاة تانكريد. أنظر، الخريطة (07)، ص.225.

[2] تومي رشيد، المرجع السابق، ص.274.

[3] ابن العديم، المصدر السابق، ج.2،ص.163؛ فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص.150.

[4] أنظر، Cahen,op.cit.,p.266.

[5] تومي رشيد، المرجع السابق، ص.276.

[6] جمع مودود أتابك الموصل حلفاءه لنصرة طغتكين، صاحب دمشق ضد بلدوين وحقق المسلمون نصرا على إفرنج بيت المقدس، لولا تدخل إفرنج أنطاكية وطرابلس لإنقاذ الموقف. بعد ذلك دخل مودود دمشق وكان ذلك في 21 ربيع الأول سنة 507هـ/1113م، وفي يوم الجمعة دخل المسجد للصلاة، فوثب عليه أحد الباطنية فقتله،أنظر،ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.149-150؛ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.187؛ وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2،ص.303؛ Cahen,op.cit.,p.267

[7] ابن العبري،المصدر السابق،ص.346؛وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2،ص.299-301؛حسين عطية،المرجع السابق، ص.137.

[8] حسين عطية ،المرجع نفسه، ص.138.

حلب ابنه ألب أرسلان[1]، وكل ذلك كان لصالح روجر، ففي سنة 1114م/508هـ سيّر السلطان محمد الأمير أقسنقر البرسقي، ليتولى إدارة الموصل ويوحد جهود المسلمين لصد الخطر الصليبي، لكن المصالح الشخصية للأمراء طغت على وحدة الهدف، إذ نجد طغتكين أتابك دمشق وإيلغازي حاكم ماردين يتحالفان مع روجر[2]، وكان ذلك مناسبا له، لاسيما أنه في بداية عهده بالإمارة، ويتوجب عليه حماية ما ورثه عن تانكريد، فضلا عن طموحه لمستقبل إمارته، كما نجده مرة أخرى يحقق نصرا على الأمير برسق بن برسق[3]، في تل دانيث وكان ذلك في12سبتمبر1115 / 23ربيع الثاني509هـ[4]، وكان هذا أهم انتصار حققه الصليبيون منذ الحملة الأولى، فقد وضع حداً لرد الفعل السلطاني[5]. وبموت برسق سنة510/1116هـ ومن بعده السلطان محمد، كانت حماسة السلاجقة قد تراجعت، كما أن هذا النصر أتاح الفرصة للملك بلدوين الأول لتنظيم أمور المملكة، دون قلق على مصير الإفرنج في الشمال[6]. وإن دل ذلك فإنما يدل على عزيمة النورمان، ودورهم الريادي في تثبيت أقدام الصليبيين في منطقة الشام، ولاسيما في إمارة أنطاكية، إضافة أن هذا النصر أعطى فرصة لروجر، بأن يوسع في حدود إمارته، على حساب جيرانه خاصة حلب، إذ أنه قام بالاستيلاء على كفرطاب. ويقول أسامة ابن منقذ:"وعاد الإفرنج لعنهم الله، إلى كفر طاب عمّروها وسكنوها"[7]، كما أنه مد نفوذه إلى المناطق ذات الأهمية، حيث الممرات والطرق، ويقول ابن العديم : "وهادَن ياروقتاش صاحب أنطاكية روجار، وحمل إليه مالا وسلّم له حصن القُبّة، ورتّب مسير القوافل من حلب إلى القبلة، وأن يُؤخذ المكس منهم له"[8]، وبذلك أصبحت كل الطرق تحت سيطرة روجر من حلب إلى دمشق. واستغل الظروف ووسع إمارته، التي بلغت أقصاها في الجنوب والشرق، حيث استولى على حصن بَلاطُنُس[9]، وكان ذلك في صيف1118م/511هـ وعلى حصن المرقب[10]، وكل ذلك

---

[1] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.164؛ ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.151؛Cahen, op.cit.,p.267

[2] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.ص.153-154.

[3] كان السلطان محمد قد كلف الأمير برسق بن برسق بالقضاء على طغتكين وايلغازي، حليفي روجر من جهة ومن جهة أخرى القضاء على إفرنج الشام، وكان ذلك سنة509هـ/1115م.أنظر،ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.ص.158-159.

[4] أسامة ابن منقذ،الاعتبار،ص.75-77؛ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.158-159؛وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2، ص.ص.314-316.

[5] أنظر، .Cahen,op.cit.p.274؛ حسين عطية،المرجع السابق، ص.ص.138-139.

[6] حسين عطية،المرجع نفسه، ص.139.

[7] أسامة، المصدر السابق، ص.76.

[8] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.179.

[9] حصن منيع بسواحل الشام، مقابل اللاذقية من أعمال حلب، أنظر،الحموي، المصدر السابق،ج.1،ص.478.

[10] قلعة حصينة تشرف على ساحل بحر البحر الأبيض المتوسط، انظر،الحموي، المصدر السابق،ج.5،ص.108.

له أهميته[1]. ولم يتوقف طموحه، إذ نجده يمد سلطانه إلى الشمال حيث توجد عَزاز[2] "ونزل الإفرنج على عزاز وضايقوها، وأشرفت على الأخذ"، وكان ذلك سنة511هـ/1118م، وبتحالف طغتكين وايلغازي تم القضاء على روجر، في المكان الذي أطْلق عليه الفرنج اسم ساحة الدم Ager Sanguinus، وكان ذلك في 28جوان1119م/16ربيع الأول513هـ"، وقُتل في المعركة ما يقارب خمسة عشر ألفاً من الإفرنج"، من بينهم سرجال (روجر)[3].

ولقد منيت الإمارة بكارثة حقيقية في هذه الوقعة، ولولا تدخل بلدوين الثاني وما قام به البطريرك برنارد، لكانت الكارثة أعظم، وأصبحت الإمارة تحت وصاية الملك بلدوين الثاني، ولمدة سبع سنوات(1119-1126م) والذي أدى دوره كاملا حفاظا عليها[4]، إلى غاية حضور بوهمند الثاني. ويقول أسامة ابن منقذ:"فهو فيما هو فيه، وعنده رسول من أصحابنا، إذ وصل مركب إلى السويدية، فيه صبي عليه أخلاق، فحضر عنده وعرّفه أنه ابن ميمون فسلّم أنطاكية إليه وخرج منها"[5]. وبموت روجر تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الإمارة، فقد انتهى عصر القوة الذي بدأ منذ نشأتها، في عهد بوهمند الأول ونُموها واستقرارها في عهد تانكريد، وصولها إلى أقصى اتساعها في عهد روجر، كما أنه بموت بوهمند الثاني ينتقل الحكم من الأسرة النورمانية إلى الأسرة الفرنسية[6].

ويقول أسامة ابن منقذ عن بوهمند الثاني، كان مجيئه "بليّة عظيمة على المسلمين"[7]، حيث قام في العام التالي

---

[1] حسين عطية، المرجع السابق، ص.139.

[2] ويقال لها أيضا أعزاز، وهي بليدة فيها قلعة شمالي حلب؛ طيبة الهواء وعذبة الماء. أنظر،الحموي، المصدر السابق،ج.4،ص.118.

[3] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.189؛حسين عطية،المرجع السابق،ص.141؛ويقول ابن الأثير:"واحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم وأخذهم السيف من سائر نواحيهم، فلم يفلت منهم غير نفر يسير...وأما سيرجال صاحب أنطاكية فإنه قُتل وحمل رأسه وكان ذلك في منتصف شهر ربيع الأول". وأما ابن القلانسي فيقول :"وردت الأخبار ببروز روجير صاحب أنطاكية منها في من جَمعه وحشده من طوائف الإفرنج، ونزلوا في الموضع المعروف بشرمدا وقيل دانيث البقل بين أنطاكية وحلب...حمل المسلمون عليهم وأحاطوا بهم ضربا بالسيف ورشقا بالسهام ، وكان من بين قتلاهم مقدمهم روجير، وكان ذلك يوم السبت السابع من شهر ربيع الأول سنة513هـ". بينما فوشيه الشارتري يقول:" لانريد أن نعيد هذه الحوادث المشؤومة، حيث قُتل روجر وسبعة آلاف من رجال أنطاكية، وما قُتل من الأتراك سوى القليل". أنظر،ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.186؛ ذيل تاريخ دمشق،ص.200-201؛ تاريخ الحملة إلى القدس،ص.186.

[4] حسين عطية،المرجع السابق،ص.141.

[5] أسامة ابن منقذ،المصدر السابق،ص.121؛ويقول وليم الصوري:"ولما عرف الملك أن أسطول بوهمند الثاني قد بلغ نهر العاصي... نهض لاستقباله وما كاد بوهمند يدخل أنطاكية، حتى قام بلدوين بردها إليه عن طيب خاطر". أنظر،الحروب الصليبية، ج.3 ، ص.58 .

[6] حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.141-142.

[7] أسامة ابن منقذ، المصدر السابق،ص.121.

بالاستيلاء على قلعة كفرطاب"، ولم يُبقِ على أحد ممن وجدهم فيه، بل فتك بهم جميعا"[1]، كما أنه قام مرة أخرى بمهاجمة شيزر[2]، وكل ذلك يُبين مدى حماسته للصليبية عامة ولإمارته خاصة، مدفوعا بقوة الشباب مضاهيا أقرانه بمنصبه على العرش، ولو توحدت قوى الإفرنج في ذلك الوقت، لكان من الممكن تحقيق مكاسب عظيمة[3]، والأسوأ من ذلك أن دب الصراع بين بوهمند الثاني وجوسلين كونت الرها، إلا أنه تم تسوية خلافاتهما بمبادرة الملك بلدوين الثاني وبطريرك أنطاكية[4].

وأهم ما ميّز فترة حكمه، أنها تزامنت مع بداية ميلاد الوحدة الإسلامية، في المشرق على يد عماد الدين زنكي التي صنعت توازنا للقوى في المنطقة، بل أنها كانت لصالح المسلمين[5]، لتظهر في شكل جلي على يد نور الدين محمود، وتم جني ثمارها على يد صلاح الدين الأيوبي، بعد أن وضع ركائزها وتوحدت كلمتها تحت راية الجهاد ضد الغزو الصليبي[6]. وبقدر ما كان طموح بوهمند الثاني أكبر، بقدر ما كانت نهايته أقرب، إذ تم القضاء عليه أثناء توجهه إلى الشمال مريدا بذلك توسيع نفوذه وتأمين حدوده، ولم يلبث أن تقابل الخصمان ايلغازي بن الدانشمند وبوهمند الثاني، في سهل عين زربة في شهر فيفري سنة1130م/524هـ، وانتصر الأتراك وقُتل بوهمند[7]، وبمقتله حلت الكارثة بالإفرنج عامة والنورمان خاصة، بما تميز به هذا الشاب الطموح من تحمس للصليبية، لتدخل إمارة أنطاكية مرة أخرى تحت وصاية بلدوين الثاني[8]. وأثناء ذلك كان النشاط الإسلامي يتزايد بقيادة عماد الدين، ويضغط على الإمارة من الجهة الشرقية[9].

وعليه فإن إستراتيجية أنطاكية في المنطقة، تكون قد اكتملت في سنة 1130م، حيث ظهرت ثلاث مناطق حدودية رئيسية في الإمارة : قليقية التي شهدت فيها منافسة حادة من قبل الإمبراطورية البيزنطية، وجبل السماق الذي يحمي طرق جنوب أنطاكية مع حدود شيزر، والمنطقة الحدودية بين أنطاكية وحلب . ولقد ساعدت هذه المنافسة السيطرة على هذه المجالات الحيوية الثلاث، على تشكيل مسار التاريخ الأنطاكي في هذه الفترة، حيث لعبت دورا في تطوير المؤسسات وأنماط السيادة على هذه الحدود. ولذلك أهميته الإستراتيجية

---

[1] وليم الصوري، المرجع السابق،ج.3،ص.ص.59-60.

[2] أسامة ابن منقذ، المصدر السابق،ص121؛ Asbridge,op.cit.,p.89

[3] حسين عطية ،المرجع السابق،ص.142.

[4] وليم الصوري، المرجع السابق،ج.3،ص.ص.60-61.

[5] حسين عطية،المرجع السابق،ص.142.

[6] جوزيف نسيم يوسف، الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي،دار النهضة العربية، بيروت،1981،ص.ص.27-28.

[7] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.531-532؛ Asbridge, op.cit.,p.90

[8] عاشور،المرجع نفسه، ج.1، ص.ص.531-532.

[9] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.90.

والسياسية، ولا يمكن أن يكون هناك أدنى شك في أن تانكريد قدم مساهمة كبيرة في التوسع الإقليمي للإمارة في قيليقية واللاذقية وأفامية، والخط الدفاعي الشرقي الذي يشمل الأثارب، حيث كان له طموح واستطاع أن يحافظ على قواته في الميدان لمدة طويلة[1].

وفي الفترة الممتدة من صيف 1110م إلى خريف1111م، عرفت حملات ضد حلب وشيزر، حيث يستعمل أمراء أنطاكية القوة العسكرية، والحيل السياسية على حد سواء، في تثبيت ملكهم في شمال سوريا، ولقد استخدم كل من تانكريد وروجر سياسة دفاعية محكمة عندما كانت الأمارة مهددة، حيث تم إتباع إستراتيجية تمركز القوات الصليبية في المناطق الهامة، من جهة ومن جهة أخرى تجنب الصدام المباشر مع الخصم، وهذه الطريقة استعملها تانكرد أثناء حملة مودود حاكم الموصل سنة 1111م، كما جرى تطويرها في فترة وصاية الملك بولدوين الثاني سنة 1120م، في حماية الحدود الشرقية للإمارة[2].

وفي سنة1115م حاول روجر إتباع سياسة مماثلة، على الرغم من أن في هذه المناسبة بتحالف اللاّتين، أدى إلى انهزام برسق وتراجعه، ويمكن القول بأن روجر السالرني قد تخلى عن هذه السياسة، والتي أدت إلى كارثة في ساحة الدم، كما اعتمد على سياسة الطائفية، وإيجاد نظام يقوم على الضريبة التي قررها على حلب وشيزر، لكسر قوتهما وتقوية موارد إمارته، وقد بلغت هذه العملية ذروتها بين 1115م و1119م، والتي أصبحت بموجبها حلب في ضائقة مالية وتقلصت أعمالها، وقاربت الهزيمة. هذا يشبه إلى حد ما ضريبة بارياسParias التي استعملها الحكام المسيحيون في اسبانيا للضغط على ملوك الطوائف، وبظهور ايلغازي وضع حدا لسياسة الاسترضاء، واعتمد سياسة عدائية، بلغت ذروتها في معركة ساحة الدم[3].

20- نظام الحكم (الحكومة المركزية في أنطاكية) :

أ- سلطة الأمير

يوجد على رأس إدارة الإمارة أمير، وغالبا ما يكون من أصل نبيل، له سلطة مطلقة وله قداسته، بالرغم من أن الكنيسة سعت لاحتكار ذلك، فكان هذا سببا للصراع بين السلطتين الدينية والزمنية. يقيم هذا الأمير في القصر البيزنطي القديم وقصر ياغي سيان[4]، ويصبح الوريث مكلفا عند بلوغه سِنِّ الخامسة عشرة مع حصوله

[1] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.90.
[2] أنظر، Ibid.,pp.90-91.
[3] أنظر، Ibid.,p.91.
[4] أنظر، Cahen, op.cit.,pp.439-440.

على لقب فارس[1]، ومثل ذلك لدى كل نبلاء الدويلات الصليبية التي أُنشِئت في بلاد الشام[2]. ولقد كان لأنطاكية قوانينها[3] الخاصة[4]، كما أنه تم الاعتراف بتوارث الإمارة منذ حكم بوهمند الأول، حتى لذوي القرابة حين أُستُدعي تانكريد للوصاية، وعند وصول روجر إلى العرش ربما تغلب منطق القوة على القوانين الصارمة للإمارة[5].

ولم تكن في أنطاكية للمرأة مسؤولية الوصاية عن العرش، عدا في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) عندما أصبحت كونتية طرابلس متحدة مع إمارة أنطاكية، حيث تولت كل من أم بوهمند السادس وبوهمند السابع الإدارة باسم ابنيهما، كما يمكننا أن نعتبر بوهمند الرابع يضاهي الملك، كونه جمع بين إمارتي أنطاكية وطرابلس، والذي دخل في صراع مع ملك قليقية الأرمينية[6].

ولقد أخذ الأمراء يتصرفون في شؤون إماراتهم، وعقدوا المعاهدات مع أمراء المسلمين دون الرجوع للملك، كما كانوا يهاجمونهم رغم وجود معاهدات بينه وبين المسلمين، وكذلك أرخوا مواثيقهم بسنوات حكمهم[7]. ورغم أن الملك نادى بالسّيادة عن الدويلات الإفرنجية في المشرق، وطالبها بتسيير الجنود للانضمام إليه في حملاته، لكن حقيقة أن تلك السيادة لم تكن موجودة، إلا بوجود ملك قوي يفرضها على الأمراء. ولقد كانت إمارة أنطاكية في وضع مختلف، إذ أن بوهمند لم يعترف بسيد أعلى له[8]، كما حذا حذوه تانكرد وروجر اللّذان عينتهما المحكمة

[1] أنظر، Sempad Le Connétable, Assises D'Antioche, Traduction en Français, Alishan Léon, LA Société Mikhithariste de Saint-Lazare, Venise, 1876,P.16.

[2] حسين محمد عطية، تشريعات الصليبيين (دراسات في قوانين أنطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،2012، ص.41.

[3] تتكون من جزئين، الأول هو قوانين المحكمة العليا الخاصة بالنبلاء من أتباع الأمير، وتحتوي على سبعة عشر فصلا، تبين علاقة التابع بسيده، والخلافات التي تظهر بين أتباع الأمير، والالتزام بين التابع وسيده وزواج التابع والاقطاعات وحدودها. أما الجزء الثاني فيخص محكمة البورجوازية، ويتضمن واحد وعشرون فصلا، تعالج قضايا الزواج والميراث والجرائم والعقارات، والديون والرهونات والموازين والمعاملات، إضافة إلى المنازعات بين أفراد البورجوازية التي تتعلق بالقتل والاعتداء. أنظر، حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.39-40. للإطلاع على القوانين في نسختها باللغة الأرمينية والمترجمة إلى الفرنسية، أنظر، Sempad Le Connétable, op.cit.,pp.8-85.

[4] رنسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.355.

[5] أنظر، Cahen ,op.cit., p.440.

[6] أنظر، Ibidem.

[7] احمد الشامي،المرجع السابق،ص.196؛ باركر، المرجع السابق،ص.54.

[8] ولكن إذا ما عُدنا إلى ما أقْدم عليه بوهمند، أثناء سعيه في حصوله على ملكية أنطاكية، نرى بأنه كان مستعدا لتلقي الإمارة كإقطاعة من بطريرك بيت المقدس كونه مندوب البابا وممثله مثلما فعل جودفري. وأثناء خسارة بوهمند في حربه مع الإمبراطور ألكسيوس تعهد للإمبراطور في اتفاقية ديفول سنة1108م بأنه سيصبح تابعا له، وبهذا تصبح أنطاكية إقطاعة تحت سلطة الإمبراطور=

العليا في الإمارة، وقد تمكن الملك بولدوين الثاني من إدارة شؤون الإمارة كوصي، على الأمير الصغير بوهمند الثاني سنة1119م إلى1126م، وكانت تلك الوصاية بطلب من المحكمة العليا، وليس بالحق القانوني، كما أنه أُسْتُدْعِي مرة أخرى سنة1131م لتولي الوصاية على الأميرة كونستانس Constance الصغيرة كونه جدها، وإفشال مسعى والدتها أليس Alice[1]. وبعد موته حاولت هذه الأخيرة مرة أخرى ضمان الوصاية لنفسها، بالتحالف مع بونز كونت طرابلس وجوسلين كونت الرها، ولكن بارونات Barons أنطاكية دعوا الملك فولك خليفة بولدوين الثاني للتصدي لها[2].

ولقد كان لقب الأمير وراثيا، ولم تكن المحكمة العليا تتدخل إلا لتعيين وصي، في الحالات الاستثنائية (مثلا عندما وقع بوهمند في الأسر)، إذ كانت للأمير السيطرة الكاملة على مدن الإمارة وجل أراضيها،كما أن بإمكانه منح الهبات عدا المقاطعات الحدودية. وكانت الإقطاعيات النقدية تمثل له موردا هاما[3]، وكان القضاة المعينون من طرف الأمير يقتصرون على المحكمة العليا، وممثليه الخصوصيين لهم سلطة كاملة على المحاكم البورجوازية، أما في ما يخص إدارة المدن والأملاك فقد تبنى النظام البيزنطي، وذلك نتيجة بيروقراطيته ووسائله الخاصة في جمع الضرائب[4]. وسلطة الأمير تظهر في مواثيقه المكتوبة، والتي يوجد عليها بصمة آو ختم ويكون عادة من الرصاص، وأصبح ولو مرة واحدة من الذهب في عهد بوهمند الرابع كونه مثل الملك[5].

وكان لكل من أنطاكية وجَبَلة واللاذقية دوقها الذي يتولى مسؤوليته كاملة، والأمير هو الذي يعينه أويفصله، وأثناء ممارسة مهامه يعتبر عضوا من أعضاء المحكمة العليا، أما في ما يخص في من يكون هذا الدوق فعادة أن دوق أنطاكية، يكون من أصل إفرنجي نبيل، يساعده فيكونت Viscount من السكان الوطنيين، بينما جبلة واللاذقية فالدوق لا ضير أن يكون من السكان الوطنيين. كان للأمراء سلطتهم المطلقة في عقد المعاهدات مع القوى الأجنبية، وكان تنظيم الإمارة مرتبط مع بعضه بصورة أوثق، ولولا الحروب والظروف التي مرت بها الإمارة،

= البيزنطي،أنظر، فوشيه الشارتري،المصدر السابق،ص.143؛ La Monte(John),op.cit,pp.190,204

[1] رنسيمان،المرجع السابق،ص.ص.353-354.

[2] أنظر، La Monte(John),op.cit., p.192.

[3] رانسيمان، المرجع السابق،ج.2، ص.355. للمزيد حول الإقطاع النقدي، أنظر، براور يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس اللاتينة، ت. عبد الحافظ عبد الخالق البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001، ص.ص.155-156.

[4] رنسيمان، المرجع السابق،ص.ص.355-356.

[5] أنظر، Cahen,op.cit,p.440.

إضافة إلى وقوع بعض أمرائها في الأسر، واستبدال الأسرة النورمانية بأسرة فرنسية، لتطورت حكومة أنطاكية وأصبحت تضاهي حكومة صقلية[1].

ب- الضباط

النورمان في أنطاكية مثلهم مثل اللُّوريين في بيت المقدس، والرها والبروفنسال في طرابلس، والمسوؤلون (الموظفون) الكبار[2] مثل الأسياد في الغرب، وهم: القهرمان Seneschal وهو عادة ملازم عام للأمير يُشرف على الشؤون المالية والقضائية، ويليه الكونستابل Constable قائد الجيش تحت إمرة الأمير يقوم بتنظيم الجيش واحتياجاته، يساعده المارشال(المشير) Marshal، كما يوجد الياور(الحاجب) Chamberlain يتولى حراسة الخزينة وممتلكات الأمير[3]. وإلى جانب الموظفين الكبار نرى وجود المستشارChancellor -كمثله في الغرب- رجل دين وهو قسيس الأمير، الذي يتولى رئاسة مجلس رجال الدين في القصر، وهو الذي يصوغ العقود والمواثيق الأميرية، إضافة إلى أن هناك المسؤول على الخزينة Secrete، وكبير الخدم Butler[4].

21- النظم القضائية :

أ- المحكمة العليا(محكمة البارونات) :

الأمير هو السيد الأعلى، ورئيس للدولة وقائد للجيش والإدارة، ولكن في هذه الأخيرة يُراعى احترام العادات، وفق النصوص المعمول بها تشريعيا وقضائيا. أي أن القضاء والتشريع يكونا من اختصاص المحكمة التي يدعوها الأمير للانعقاد، لكنه لا يديرها ويطلب مشورتها في السياسة العامة. وعليه فإن الإمارة تُمارس بشكل مشترك بين الأمير والمحكمة[5]، وليس هناك أعضاء ثابتون في هذه الأخيرة بشكل مطلق، ومن الطبيعي أن يكون الضباط المحيطون بالأمير هم الذين يشكلون الجزء الأكبر من أعضائها، ثم أتباعه الإقطاعيون الأقرب إليه في الجوار بعدد متغير، ويَنْظم إلى هؤلاء رجال الدين والبورجوازية الأجانب، خاصة قادة الجاليات الايطالية وقادة الجيوش الصليبية[6].

ولم يكن من الواضح أن دونت واحتفظت محكمة أنطاكية في وقت مضى بسجل مداولاتها، كما كان الحال في محكمة بيت المقدس، بدءا من القرن الثالث عشر الميلادي(السابع الهجري). ولا يبدو أن هذه المحكمة

---

[1] رنسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص356.

[2] للاطلاع على أسماء ورُتَب ضباط إمارة أنطاكية الصليبية. أنظر، الملحق(05)، ص.ص.206-208.

[3] أنظر، Cahen,op.cit.pp.452-454؛ أحمد الشامي،المرجع السابق،ص.197.

[4] أنظر، Cahen,op.cit.,p.454؛ رنسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص352.

[5] أنظر، Cahen, op.cit., pp.440-441.

[6] حسين عطية، تشريعات الصليبيين، ص.42.

كانت تختلف في اختصاصاتها[1]، كما نلاحظ من قوانين أنطاكية Assises D'Antioche، فإن محكمة البورجوازية كان بشكل أو بآخر يُجرد المحكمة العليا للأمير من جزء من اختصاصاتها. ويلاحظ أنه لما كان وجود النظام الإداري الذي ورثه النورمان في المشرق عن البيزنطيين أكثر كمالا من الأنظمة الغربية، حيث أن القضايا المعروضة أمام محكمة أنطاكية، كان يختلف عنه في محكمة القدس، وبالتالي لم يكن هناك داع للتطور مثل الذي حدث في الغرب[2].

والملاحظ أن قرارات المحكمة العليا أو تشريعاتها تتعلق بحالات خاصة، ويكاد يكون من المستحيل التمييز بين القوانين والقرارات الخاصة، التي أعطتها العادات أكثر تأثيرا، فالعادة هي التي تحكم فعلا حتى استطاع السكان الأصليون بموجبها استرجاع حقوقهم. ولاشك أن استقرار الصليبين في أنطاكية، أدى إلى نشوء عادات جديدة على غرار عادات الغرب اللاتيني، أو عادات شرقية وفقا للحاجة[3].

ومهما يكن فإن محاكم دويلات الصليبيين قد كانت تستشير بعضها البعض، ولذلك فمن الممكن أن تكون بعض المقاييس المستعملة في أنطاكية تكون قد أُسْتلهمت من مقاييس بيت المقدس أو العكس. وإننا لنجد تشابها بين فصل تشريعات أنطاكية الخاص بالإعلانات السيادية و الأوزان والمقاييس المزيفة، في مقابل تشريعات بورجوازية بيت المقدس[4]. ويبدو أن تشريعات بارونات أنطاكية، تتضمن شرطا مشابها للتشريع الذي وضعه الملك وبولدوين الأول، الذي يخص اليوم والسنة، بموجبه يمنع الراغبين من البارونات العودة إلى الغرب خلافا لما يجري في أوربا، إذ أنه بموجب مغادرة إقطاعه ولا يعود إليه لمدة سنة ويوم، لا يمكنه المطالبة به مرة أخرى[5].

ب- محكمة البورجوازية :

يمكن التمييز في القضاء المدني بين قضاء البورجوازية وقضاء البارونات، رغم أن الاختلاق أقل عمقا لأن المحلّفين، ربما التقوا أحيانا في محكمة البارونات[6]، كما أنه في محكمة البورجوازية تم اختيار الفيكونت لإدارتها، ولكن لا يشارك في أحكامها، على الرغم من أنه قام بها مرة واحدة[7]، وهذا يبين مدى تطبيق قوانين كل محكمة على حِدَة. ومن خلال بعض القضايا التي تم التوقيع عليها، يدل أن هناك علاقة بين محكمتي البارونات

---

[1] أنظر، Cahen, op.cit.,p.441.

[2] حسين عطية، تشريعات الصليبيين، ص.ص 42-43.

[3] المرجع نفسه، ص. ص43.

[4] أنظر، Cahen, op.cit., p.442.

[5] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.44-45.

[6] حسين عطية، المرجع السابق، ص.47.

[7] أنظر، LA Monte, op.cit.,p.106.

والبورجوازية، ولاشك أنه لا يوجد إلا محكمة الأمير وليس الاختلاف بين الهيئات، بل أسلوبين متطرفين في الانعقاد لنفس الهيئة قابلة للحل الوسط.

فالمسائل السيادية والإقطاعية تتطلب وجود الأمير، أو نائبه محاطا بالبارونات أو رجال الدين، إذا كان الأمر يتعلق بالكنيسة، بينما المسائل البورجوازية أو المختلطة تتطلب وجود الدوق والمحلّفين. ويمكن القول بأن التمييز بين أعضاء الهيئة، كما هو موجود في التشريعات، قد اكتسب قدرا من التحديد بعد تشكيل القومون[1]، علما أن الدول الإفرنجية قد عرفت مبدأ الحكم بالاثنين، عندما يتعلق الأمر بالرجال الأحرار.

وعليه من الناحية العملية، فإنها كانت توجد محكمة للبورجوازية متميزة عن محكمة البارونات، كما كانت في بيت المقدس[2]، على الرغم من أن الأولوية لهذه الأخيرة، حيث التقسيم واضح والأمر يتعلق بتنظيم واحد تحت سيادة الملك على المحكمتين، ولا يوجد ما يدعو لأخذ شيء من هذه للأخرى. ومع ذلك فإنه ليس في أي حال ظاهرة إفرنجية شامية على وجه التحديد، وفي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي بوجه خاص ازداد عدد المدن في الغرب، حيث كانت سماتها تطوير محكمة البورجوازية، وذات اختصاص أكثر متميزة عن المحاكم السيادية التابعة للأسياد. وكان يُطلق على القضاة اسم المحلّفين بعد تأدية القسم، لكن مُحلّفِي القومونات في وقت لاحق يُعينهم السيد الإقطاعي، ولاشك فإن ذلك كان في بيت المقدس وأنطاكية[3].

وعليه نجد أن الجانب الفرنسي والفلمنكي هما أقرب الأمثلة إلى المحاكم الإفرنجية بالشام، وهذا يؤيد أسبقية بيت المقدس، ومع ذلك فإننا نلاحظ أنه في أشكال مختلفة، ودون أن تُعرف كلمة محلّفين كان لمدن جنوب ايطاليا أنواع من القضاء كان ينطبق عليه قضاء النورمان الوافدين. يُضاف إلى ذلك أن أنطاكية حتى في ظل الحكم البيزنطي كان لها قضاتها الذين هم من رؤساء الشرطة المحلية، الذين بإمكانهم أن يكوّنوا محكمة، وقد احتفظ بها النظام الفرنجي الأنطاكي، فمن خلال ذلك يمكن أن يكون القضاء البورجوازي في إمارة أنطاكية، قد استمد

---

[1] تسمية أُطلقت على مجموعة المدن في العصور الوسطى، وتعني المدن ذات السيادة السياسية المستقلة، ولقد كان المدافعون عن القومونات من أصحاب الحرف المختلفة أو التجار، الذين أظهروا تماسكا في وجه الأمراء الإقطاعيين، وشكلوا اتحادا(قومونا). وبنوا الأسوار حول مدنهم وسنُّوا القوانين من أجل تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وكان ظهور القومونات أول الأمر في ايطاليا، وخاصة في توسكانيا ولومبارديا في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. بعد ذلك أصبحت لها قوة سياسية كبيرة وامتدت تلك الظاهرة إلى فرنسا وألمانيا وانجلترا. أما في ما يخص التزام القومون تجاه السلطة السياسية العليا في الدولة كالإمبراطور أو الملك فكانت محددة بمبلغ من المال يُدفعسنويا إلى جانب الخدمة العسكرية، كما انتقل هذا النظام إلى المشرق عصر الحروب الصليبية. أنظر، مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري والمنسوب خطأ إلى روثلان1229-1261م، ترجمة وتحليل وتعليق أسامة زكي زيد، دار المصطفى للطباعة والنشر،طنطا،ط.2، 2001 ، ص.ص.235-236 حاشية(5). للمزيد انظر، عاشور سعيد، أوربا في العصور الوسطى النظم والحضارة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ج.2، ص.ص.105-107.

[2] حسين عطية، تشريعات الصليبيين، ص.ص.47-48.

[3] أنظر، Cahen, op.cit.,pp.445-446.

أصوله من النماذج الايطالية البيزنطية، ولم يشبه قضاء بيت المقدس، ولم يأخذ بنظام المحلفين إلا في ما بعد، أوعمَّد بذلك القضاة السابقين، وكل ذلك فرضا[1].

وتختص قوانين أنطاكية برجال محلّفين لهم وظيفتان، يمكن مقارنتها بقوانين بيت المقدس، أو بالتساوي بينهما. فمن ناحية لديها المحلّفين الذين يجلسون كقضاة، أو ربما يعملون كمستشارين في محكمة البورجوازية، وكل ذلك يقابل قضاء البورجوازية الحضرية في الغرب، ومن المرجّح أن يُعَينوا من قِبَل الأمير. علاوة على ذلك نجد محلّفين في قوانين البارونات، يختصون في قضايا حدود الممتلكات. وفي بيت المقدس تُنظم قضايا الحدود، كما في أنطاكية، يتولاها ثلاثة أو أربعة بارونات الذين أدّوا اليمين الخاص بذلك التحقيق، الذي يتطلب وجود وثائق مكتوبة أو مادية كعلامات الحدود أو طلب شهادة كبار السن الذين يعرفون تلك الحدود.

وكل ذلك يشبه التحقيقات الخاصة المعمول بها في الغرب منذ العهد الكارولنجي، والتي كانت امتيازا من الأمير، ثم أصبحت شيئا فشيئا مماثلة في كل الإمارات الإقطاعية، وهذا الإجراء يعتبر أحد أصول نظام المحلّفين الأنجلو نورماندي، ولكن لا يزال في القدس وفي فرنسا في شكله البدائي[2]. ومما لاشك فيه أن تشريع البارونات في أنطاكية، يختلف عنه في القدس، إذ أن هناك اختلافين فمن ناحية نجد المحلّفين في الإمارة يكونون تحت سلطة ضابط من ضباط الأمير هو الدوق، ومن ناحية أخرى بدلا من ذكر البارونات الذين أدوا اليمين فقط، فإن نصاً يُميز بين الفرسان الأتباع من ناحية والمحلّفين من ناحية أخرى.

وعليه فإن الدوق الذي ظهر في محكمة البارونات كضابط تنفيذي، فإنه لم يكن له ذلك الدور القيادي الذي كان يقوم به في جلسات المحلّفين البورجوازيين، ومن المؤكد أن القضايا المتعلقة بالحدود ليست دائما مسائل إقطاعية، ومع ذلك أن الوثائق لا تسمح بأن يكون هذا أكثر وضوحا[3].

ج- محاكم الجاليات الإيطالية :

إن الدور الذي تقوم به المحكمة في أنطاكية، هو إقامة العدل، ومن غير المعروف الحقوق القانونية التي يتمتع بها أتباع الأمير الإقطاعيين، أي لم يتم التعرف على ما إذا كان لهم محاكمهم الخاصة، كما كان لبارونات مملكة بيت المقدس، أو كان لبعضهم سك النقود. فباستثناء الكنيسة كان لرعايا المدن الإيطالية–منذ نهاية القرن الثاني عشر الميلادي–محاكمهم الخاصة المستقلة عن محاكم الأمير، وكان ذلك امتيازا لهم، مثل ما فعل ملوك بيت المقدس. مع العلم أن قضاء الأمير كان يحتكر القضايا المتعلقة بحقوق الأمير وإدارته، والعلاقات الإقطاعية والسيادية التي ترتبط بالملكية العقارية، ورغم استقلالية محاكم هذه الجاليات، إلا أنه لم تكن الجرائم من

---

[1] حسين عطية، تشريعات الصليبيين، ص.49.

[2] أنظر، Cahen, op.cit.,pp.446-447.

[3] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.50-51.

اختصاصها. كما أنه يمكن أن تحكم محاكم الأمير في مسائل العقوبات، التي تخص المحاكم الأخرى، خاصة إذا كان ما يتعلق بالجريمة. وفي حالة وجود دعوى بين طرفين ينتميان إلى محاكم مختلفة، ولم يكن هناك اتفاق، وجب الذهاب –وفق العادة– إلى محكمة المدعى عليه، وهذا المثال لم يوجد في الغرب ولا في مملكة بيت المقدس[1].

د- محاكم الكنيسة :

لقد كان هناك تنافسا بين قضاء الكنيسة والقضاء العلماني في أنطاكية، مثل ما هو موجود في بلدان أخرى[2]. وأصبح القضاء الكنسي يطالب باحتكار محاكم رجال الدين، في ما يخص المسائل الشخصية والمنقولات، وكانت الكنيسة تسمح باستثناء في الدعاوى العقارية، ورغم إدانة البابا إنوسنت الثالث لأساليب القضاء العلماني في إمارة أنطاكية، إلا أنه لم يختلف في هذا الصدد عن الاختصاص.

وفي سنة1140م ظهر قرار الأمير ريموند بواتييه، الذي يقضي بأحقية المحكمة العلمانية، في أن تحكم في شؤون ممتلكات الكنيسة، إذا كانت الملكية قد تشكلت على يد سلطة دنيوية أو غير مؤكدة، غير أنه عندما أصبحت سلطة الكنيسة أقوى من سلطة الأمير بوهمند الثالث، استطاع البطريرك ايمري دي ليموج، إصدار قرار حكم بشأن مشكلة ملكية عقارية ظهرت بين الأسبتارية وكبير الأساقفة في مدينة أفامية، وعلى ما يبدو أن الأمر كان يتعلق بالخدمة الدينية[3]. وكل ذلك لم يُحدد الاختصاصات بشكل دقيق، ولا يبدو أنه تسبب في نزاعات أكثر خطورة، وعلى العكس بالنسبة للقضايا الشخصية، فإن كان هناك نزاع بين رجل دين وآخر علماني، فإن المحاكم الأسقفية كانت تجذب إليها المدعى عليه العلماني، في حين أن المحاكم العلمانية تجذب إليها رجل الدين المدعى عليه.

ولدينا مثالا عن ذلك في القرن الثالث عشر الميلادي، عندما حكمت المحكمة الأسقفية في القُصير بحكم الإعدام على رجل علماني(مدني) قتل كاهنا، ولكن الأمير بوهمند الخامس احتج على ذلك، لأن الأسقف لم يكن مؤهلا بأن يحكم في مثل هذه القضية[4]. وفي حالات أخرى عندما قام رجال علمانيون، باغتصاب قضايا محفوظة بالكنيسة أو تطالب بها، قام البطريرك بإصدار أحكام رفضوها بحجة أنها ليست من اختصاص الكنيسة، ورغم كل ذلك إلا أن تفاصيل ونتائج ذلك الصراع مجهولة. وعليه فإن إمارة أنطاكية ربما أكثر من المملكة، حيث أن السلطة

---

[1] حسين عطية، تشريعات الصليبيين، ص.45.

[2] أنظر، Cahen, op.cit.,pp.443.

[3] حسين عطية، المرجع السابق، ص.46.

[4] أنظر، Cahen, op.cit.,pp.444.

المدنية أضعف من سلطة الكنيسة، كما أنها كبعض البلدان الغربية التي شهدت نزاعا حول الاختصاص بين المحاكم، ومع ذلك نجد في القرن الثالث عشر الميلادي، صراعا سياسيا خطيراً بين الأمير والكنيسة[1].

22-العائلات النبيلة والإقطاع :

يمثل الأمير السلطة العليا لباروناته، وأغلبية هؤلاء من أصل نورماني، والنسبة الأكثر من جنوب ايطاليا، وفي خضم أسماء هذه الأعداد نجد الإخوة شارترز Charters وسوردوفال Sourdeval وشوفريل Chevreuil،كما أن هناك عائلات مثل سان لو Saint- Lo، دي لوج Des loges[2]، دو ليزل De L'Isle فريزنال Fraisnel[3]، أنجرفيل D'Angerville، مونسال Mansel، تيرال Tirel (بيكاردي Picardie)، إضافة إلى ذلك وجدت عائلات من أماكن متعددة، مثل كوربو Corbon بارنفيلBarneville مونشي (أرتوا Artois) Monchy،كوربيل(Ile de France) Corbeil، ومن بين العائلات ذات الأهمية، والتي جاءت من الجهة الوسطى من أوربا يعتقد أنها قدمت مع الكونت ريموند الصنجيلي، ووقفت إلى جانب تانكريد، أثناء توسعه نحو الجنوب من بينها عائلة مازوارLes Masoir[4]، وتبرز شخصية رينالد مازوار Rainald Masoir في الجهة الساحلية في منطقة جبلة وبانياس والمرقب، والذي لعب دورا هاما في معركة ساحة الدم، وقد عُيِّن قائدا للجيش وقام بدور الوصي في أنطاكية سنة1132م[5].

كما أن هناك عائلات نبيلة مثل فالزارد Falzard و بوفرد Baufred[6]، والتي لم تعرف إلا بأماكن تواجدها في الشام أمثال أسياد صهيون وسرمين والأثارب وعزاز والهارونية[7]. وعليه فإن معركة ساحة الدم، قد أوقفت السيادة المستقرة للإمارة وصعود الطبقة النبيلة[8]، وفي الفترة المبكرة من عمر هذه الإمارة، يكتنفها كثير من الغموض حتى بالنسبة لملاك الأراضي، وإن كان قد وُجِدت الملكية في حصن حارم سنة 1111م باسم

---

[1] حسين عطية، تشريعات الصليبيين، ص.47.

[2] أنظر،Cahen,op.cit.,p.535. للمزيد حول نسب عائلتي سوردفال ودي لوج، أنظر، الملحق (06)، ص.209.

[3] يقول توماس أسبريدج : يوجد هناك اثنين من الملاك الأنطاكيين هما: ST. Lo وFresnel من الأرجح أنهما قد لقيا حتفهما في معركة ساحة الدم، بعد أن وُجِدا في السجل قبل المعركة سنة1119م،أنظر، Asbridge(T), op.cit, p.155 ؛ للمزيد حول نسب عائلة فريزنال. أنظر،الملحق(07)، ص.210.

[4] أنظر،Cahen,op.cit.,pp.535-536؛ للمزيد حول نسب عائلتي مازوار ومونسال أنظر الملحق(08)، ص.211 .

[5] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.161.

[6] أنظر،Cahen,op.cit.,p.536؛ للمزيد حول نسب عائلة بوفرد، أنظر الملحق (09)، ص.212.

[7] أنظر، ibid,p.536. ؛ للمزيد حول نسب العائلات في إقطاعات صهيون وسرمين وعزاز، أنظر الملحق (10)، ص.213.

[8] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.155.

Fresnel[1]،كما كانت هناك مِلْكية في الأثارب باسم ألآن Alan صاحب القلعة[2]، والذي كان له موقع آخر في حصن الدير، هذه المنطقة الحدودية شهدت نشاطا عسكريا، بين أنطاكية وحلب بين سنتي 1120 م – 1126 /513هـ-519هـ ويمثل ذلك أهمية خاصة لألآن، حيث قاد هذا الأخير حملة مداهمة كبرى في المنطقة، حول مدينة حلب في سنة1123م/516هـ، حين وقوع الملك بلدوين الثاني في الأسر، ودوره كقائد للجيش الأنطاكي يدل ذلك على أن له مكانة رفيعة في الإمارة، خاصة في هذه المرحلة[3]، إلى غاية وفاته سنة 1129م[4].

ولقد ظهرت الإقطاعيات القوية، بحدود المناطق التي تم الاستيلاء عليها بصعوبة، مثل جبل بحرة والجبال الممتدة بين اللاذقية وأنطاكية، وأجزاء من جبال الأمانوس(اللكام) ومع الحدود الشرقية الإسلامية[5]. كما توجد بشمال المرقب إقطاعيات تديرها عائلة مازوار، إضافة أن هناك عائلات مثل عائلة مونسال Mansel، والتي لعبت دورا هاما في تزويد الإمارة بقادة عسكريين، وذلك خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[6]، ولكن أكبرٌ إقطاعية نجدها في صهيون، حيث يوجد حصن بلاطنوس، والتي لعبت دورا في الصراع بين الأميرة أليس والملك فولك سنة1131م[7]، أما في شمال أنطاكية لم يكن أي أثر لإقطاعية حصن بغراس، إلا بعد إعطائها لفرسان المعبد[8].

---

[1] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.156 .

[2] أنظر، Ibidem.

[3] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.161.

[4] أنظر، Cahen, op,cit.,p.540.

[5] أنظر، Ibid, p.537.

[6] أنظر، Ibid.,p.538.

[7] أنظر، Ibidem.

[8] أنظر، Ibid.,p.539.

إن نبالة الإمارة تتكون من أغلبية نورمانية، بينما االعناصر الأخرى ازدادت أعدادها على الأرجح مع وصول ريموند بواتييه إلى عرش أنطاكية، وبمجيء الحملة الصليبية الثانية وما بعدها[1].

[1] أنظر، Cahen, op,cit.,p.536.

الفصل الثاني: علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى المسيحية والمغولية

I- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى المسيحية والمغولية في المشرق

1- علاقة إمارة أنطاكية بمملكة بيت المقدس الصليبية
2- علاقة إمارة أنطاكية بإمارة الرها الصليبية
3- علاقة إمارة أنطاكية بإمارة طرابلس الصليبية
4- علاقة إمارة أنطاكية بمملكة أرمينيا الصغرى
5- علاقة إمارة أنطاكية بفرق الرهبان العسكرية
6- علاقة إمارة أنطاكية بالإمبراطورية البيزنطية
7- علاقة إمارة أنطاكية بمملكة قبرص
8- علاقة إمارة أنطاكية بالمغول

II- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى المسيحية في الغرب اللاتيني

1- علاقة إمارة أنطاكية بالملوك والأباطرة والأمراء
2- علاقة إمارة أنطاكية بالبابوية
3- علاقة إمارة أنطاكية بالمدن التجارية الإيطالية

I-علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقُوى المسيحية في المشرق :

من خلال طموحات أمراء وقادة الحملة الصليبية الأولى، استطاعوا أن يؤسسوا مملكة وثلاث إمارات لاتينية بالمشرق الإسلامي، و التي تختلف أصولها على أساس من التقسيم اللغوي والعرقي، كما أن الروابط الإقطاعية جعلتها تظهر بشكل تكتلات متباينة[1]، وكان لذلك تأثيره على إستقرار هذه الفئات، حيث نجد مملكة بيت المقدس وإمارة الرها من غالبية لورينيةLorraine(منطقة حدودية بين ألمانيا وفرنسا)، بينما إمارة أنطاكية نورمانية، في حين كانت إمارة طرابلس بروفنسالية Provençals (نسبة إلى منطقة بروفانسProvence جنوب فرنسا)[2].

ولقد تمتعت هذه الإمارات بسيادتها على أراضيها بحيث كان لكل منها قوانينها الخاصة، وإنما هناك نوع من التوافق لا التبعية، كما أن الملوك لم يحاولوا إطلاقاً إتخاذ سياسة مركزية في الحكم[3]. ويقول المؤرخ الصليبي أرنول وهو يصف أراضي مملكة بيت المقدس:" La Tiere de Triple ne d'Atioce n'est mie dou roiaume"[4]، ومعنى ذلك "لم تكن أرض طرابلس ولا أنطاكية جزءاً من مملكة بيت المقدس"[5]، "وفي الحقيقة لم تكن إمارة أنطاكية ولاكونتية الرها ولاطرابلس جزءاً من المملكة"[6]، ولكن يظهر ذلك في شكل تحالف هذه الدويلات مع الإعتراف بمكانة الملوك[7]، حتى وإن كان الملك هو الأول بين أتباعه"Primus inter Pares" في المملكة لم يكن له ذلك بالنسبة لأمراء أنطاكية عدا مكانته[8]، وكان من الصعب ذلك خصوصا على بوهمند الأول لم يعترف بجودفري، ولا ببولدوين الأول سيداً أعلى له، وحتى الكونتات لم يلتزموا بواجباتهم ولكن يكون ذلك الإلتزام عندما يكون الملك أقوى[9].

---

[1] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق،ص.117-118؛ أنظر أيضا، جوناثان فيليبس، الشرق اللاتيني في تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،2007، ص.ص.167-207.أنظر أيضا، Kostick Conor,The Social Structure of The First Crusade,Brill,Leiden.Boston,2008.

[2] أنظر، Cahen,op.cit,p.452 .

[3] باركر،المرجع السابق،ص.54.

[4] أنظر، Ernoul, Chronique D'Ernoul et Bernard de Tresorier,Ed.,Le Comte De Mas-Latrie,Paris,1871,p.27 .

[5] حسين عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص. 169.

[6] أنظر، LAMonte,op.cit.,p.187 .

[7] أنظر، Ibidem.

[8] أنظر، Ibidem.

[9] أنظر، Ibid.,pp.187-188 .

ومن خلال ما يُبيِّنه المؤرخ وليم الصوري في حديثه عن الدويلات الإفرنجية المتناثرة في المحيط الإسلامي، أن ذلك يعكس عدم الوحدة بينها، ويسعى كلٌّ من الحكام إلى تحقيق أهدافه الخاصة، وكان ذلك أثناء حديثه عن الحملة الصليبية الثانية(1145م-1149م) عند سقوط الرها، حيث يقول:"كانت أملاك اللاّتين في الشرق موزعة في أربع ولايات وهي مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس وإمارة أنطاكية وكونتية الرها"، وأراد كل من حكام هذه الإمارات أن يمد رقعة إمارته ويقوّي نفوذه بمساعدة العاهلين القادمين من الغرب(الإمبراطور كونراد والملك لويس السابع)[1].

لم تكن أنطاكية ولا طرابلس من الناحية النظرية جزءاً من المملكة[2]، وعليه فإن هذه الإمارات تتمتع بالحرية في شؤونها الخارجية، من عقد تحالفات ومعاهدات وإعطاء الإمتيازات المتنوعة[3]، لقد كان أمراء أنطاكية حريصين على توسيع أملاكهم في الشرق، وهذا أدى إلى حدوث النزاع بينهم وبين كونتات الرها وملوك بيت المقدس، ولكن عدم الإستقرار أدى إلى تكتلهم خاصة ولهم عقيدة مشتركة، ومما زاد هذا الترابط وجود العلاقات الإقطاعية وزواج التحالف الذي رسخ ضرورة الوقوف جنبا إلى جنب بين الحكام اللاّتين في لمواجهة الخطر المشترك[4].

ومن خلال ما يبينه المؤرخ جون لامونت أن العلاقة بين ملوك بيت المقدس والأمراء كانت مبنية على أساس الإعتراف بكل سيادة هذه الدويلات مع وجود يمين الولاء،كما أن الملك يصبح وصيا على هذه الإمارات في غياب الأمراء، ولا يمكنه ممارسة ذلك الحق إلا بدعوة من فرسان المقاطعة والتعاون في الحرب، إضافة إلى أن الإمارات الصليبية تتمتع بحرية تامة في شؤونها الخارجية والمشاركة في التحالفات وعقد الإتفاقيات ومنح الإمتيازات[5]، مثل ما كان القوامة للرجل وإن كان قاصرا والحق في الزواج للوريثات، ومن حين لآخر تأكيد تلك المنح و المواثيق.كما كان للأمراء محاكمهم وضباطهم مثل ماهو في بيت المقدس[6]. ولقد اعتبر ملوك بيت المقدس أن الوصاية حملا ثقيلا لا إمتيازاً، ومن خصائص العلاقات بين الملك والأمراء، أنها فرضت عليه واجبات دون الإستفادة من الحقوق[7]. ولذا نجد الأمراء يتصرفون بكل حرية على أساس أنهم مستقلون، وإذا شاركوه فإنهم

---

[1] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3،ص.292.

[2] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.353.

[3] أنظر، LA Monte,op.cit,p.188 .

[4] أنظر، Asbridge,op.cit.,p.104 .

[5] أنظر، LAMonte,op.cit.,p.188 .

[6] أنظر، Ibid.,pp.188-189 .

[7] باركر، المرجع السابق،ص.53.

يقدمون هذه الخدمة على أنهم مثله[1]. وبما أن سياسة أمراء أنطاكية كانت مبنية على التوسع في الشرق، فإن ذلك أدى إلى الصراع مع كونتية الرها ومملكة بيت المقدس[2].

1-علاقة إمارة أنطاكية بمملكة بيت المقدس الصليبية :

إن قيام الحركة الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي(نهاية القرن الخامس الهجري)، كان هدفها إسترجاع المقدسات الدينية المسيحية –حسب زعمهم– في بلاد الشام بتوجيه بابوي، وعليه أضحت هذه المهمة لدى الكثيرين من قادة الحملة شغلهم الشاغل، فبعد إستقرارهم وإقامة الملَكِية بها يُعد ذلك قمة النصر الديني والسياسي، وبهذا ستُحظى الملَكية بمكانة مرموقة لدى الغرب اللاتيني. حتى وإن كان بعض الفرسان أن حلمهم قد تحقق بمجرد الإنتصار في شمال الشام، خصوصا بوهمند النورماني، ولكنه أراد أن تكون لملكه شرعية وتأييداً بابوياً. إذ نجده يبادر بالرحلة بإتجاه بيت المقدس، بصحبة دايمبرت ليضمن لنفسه دعما دينيا وسياسيا، ويدحض كل الإدعاءات التي من شأنها أن تقلل من الطموحات الدينية لهذا القائد. ليبقى على تواصل مع مملكة بيت المقدس لتحقيق أهدافه السياسية، بل مع الغرب اللاّتيني.

ومن أولى العلاقات التي ترتبط بها إمارة أنطاكية الصليبية بالمملكة عندما أقرّ بوهمند بولائه وتبعيته للبطريرك دايمبرت، بعد إعتلائه عرش البطريركية في أوائل نوفمبر سنة 1099م[3]، إذ نجده وجودفري يقبلا بأراضيهما كإقطاعات من البطريرك نفسه[4]، أي أن إمارة أنطاكية أصبحت تدين بالولاء الإقطاعي لبيت المقدس. في حين أن جودفري البولوني يرفض فكرة التتويج بتاج الملكية في المدينة التى عانى فيها السيد المسيح عليه السلام أثناء صَلْبه[5]، ويكتفي بلقب حامي بيت المقدس[6]. ويقول وليم الصوري:"وما كاد دايمبرت يُنَصّب في كرسي البطريركية حتى سلّم بيده كل من الدوق جودفري والأمير بوهمند تقليديهما بما في يدهما فتسلّماه في خشوع، فأما الأول فمنحه مقاليد المملكة، وأما الثاني فقد وكل إليه أمر الإمارة، فكان ذلك توقيرا منهما"[7]، ولكن بوهمند لم يعترف بلا جودفري ولا بولدوين الأول سيدا أعلى له[8].

---

[1] باركر، المرجع السابق، ص.ص.53-54.

[2] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.104.

[3] ماير، المرجع السابق،ج.1،ص.96؛حسين عطية،المرجع السابق،ص.125-126.

[4] أنظر، LAMonte,op.cit.,p.190; Stevenson,op.cit.,p.42.

[5] أنظر، Conder,Latin Kingdom of Jerusalem1099-1291,Published by the Committee of the Plalastine Fund 24, Hanover Square,London,1897,p.67.

[6] عاشور، الحركة الصليبية،ج.1،ص.267

[7] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.2،ص.172

[8] أنظر، LAMonte,op.cit.,p.187.

ورغم ذلك تظهر الدويلات الصليبية إلى جانب بعضها البعض في ظل ذلك المحيط المتقلب، ولاسيما أن الصليبيين كانوا قلة وبإمكان المسلمين أن يقوّضوا ملكهم[1]. ويقول وليم الصوري:" أن جودفري أوصى قبل وفاته بأنه إذا مات دون وريث شرعي، فإن جميع الأملاك التي بيده تنتقل دون معارضة إلى سلطة البطريرك دايمبرت"[2]. وحينما قَرُب مجيء بولدوين إلى بيت المقدس، فكر دايمبرت بطلب المساعدة من صديقه بوهمند، ويقول وليم الصوري :"وعليك أن تكتب كتابا للكونت بولدوين تنهاه نهيا عن إرتكاب ما لانرضى وتمنعه من المجيء إلى بيت المقدس"[3]، ولهذا نجد كل من دايمبرت وتانكريد يعرضان حكم بيت المقدس على بوهمند كونة القوة الوحيدة التي بإمكانها أن تقف في وجه بولدوين البولوني، ولكن من حُسن حظ الصليبيين جميعا الاّ تصل تلك الرسالة إلى بوهمند، إذ أن صاحب الرسالة وقع في يد ريموند الصنجيلي المنافس اللدود للأمير النورماني[4].

وفي ظل تلك الأحداث تم أسْرُ بوهمند أثناء توجهه إلى الشمال بملطية، إذ وقع في يد كمتشكين بن الدانشمند حاكم سيواس[5]، ولقد جنب أَسْرُ بوهمند الصراع بين فرسان أنطاكية النورمان وأقرانهم اللوريين في الرها وبيت المقدس[6]. وما يهمنا هنا كيف تكون العلاقة بين بولدوين الذي سيكون حاكما لبيت المقدس ومن يتولى شؤون الإمارة بأنطاكية؟ وما إن سمع بولدوين كونت الرها بأسر بوهمند بادر بفك أسره، لكن كان ذلك حلما لم يتحقق، إذ أن صاحب سيواس أخذه بعيدا داخل مناطق نفوذه[7].

وبعد عودته إلى الرها وصلته الرسل يدعونه لتولي شؤون بيت المقدس"أصابه شيء من الحزن لوفاة أخيه، لكن فرحه أكثر لميراثه"[8]، وإنتقل إلى بيت المقدس فأستقبله سكانها بالترحيب[9]، وتم تتويجه من طرف دايمبرت في شهر ديسمبر سنة 1100م، وبهذا يكون أول ملوك مملكة بيت المقدس[10]. ورغم محاولة تانكرد منع وصول بولدوين إلى السلطة، لكنه لم يستطع وخسر الرهان[11]، لأن ذلك العداء ربما سيزيد خاصة وأن تانكريد له إقطاعية

---

[1] عاشور سعيد، الحركة الصليبية، ج.1،ص.289-29.

[2] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.2،ص.174

[3] المصدر نفسه، ج.2،ص.200.

[4] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.280-281.

[5] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.509؛وليم الصوري،المصدر السابق، ج.2،ص.183؛ Albert D'Aix,op.cit., T.I.p.414

[6] أنظر، Cahen ,op.cit.,p.229.

[7] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.2،ص.184؛ Albert D'Aix,op.cit.,T.,I,p.415

[8] فوشيه الشارتري،المصدر السابق،ص.103

[9] المصدر نفسه،ص.107.

[10] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.287؛ Stevenson,op.cit,p.44

[11] أنظر، Setton, (Kenneth.M),A History of Crusades,The University of Madison,=

الجليل وسيصبح وصيا لأنطاكية. ولهذا نرى رفضُ تانكريد لمقابلة الملك بولدوين أثناء إستدعائه، وهنا يظهر العداء جليا[1]، ولكن سرعان ما تصالحا إذ تنازل تانكريد عن إقطاعياته، بشرط أن يستردها في حالة رجوعه في المدة المحددة بينهما وهي سنة وثلاثة أشهر[2]، وبهذا تم وضعُ حدٍ للصراع الذي ربما تكون عواقبه وخيمة على مصير الصليبيين، خاصة وأنهم في حديث عهدهم بالمشرق.

ويقول المؤرخ رؤول دو كاين:"أن مجيء بولدوين إلى بيت المقدس كاد أن يؤدي إلى فتنة عظيمة، لكن مغادرة تانكريد إلى أنطاكية أنهى ذلك"[3]. وتظهر حسن النوايا والتعاون بين أنطاكية والمملكة أثناء قيام الفاطميين بحملتهم الثانية سنة 1102م/495هـ (موقعة الرملة الثانية)[4]، ولهذا أرسل الملك بولدوين يطلب المساعدة من تانكريد وبولدوين أف لو بورغ كونت الرها، حيث لبّيا الطلب ووصلت قواتهما في شهر سبتمبر، والتي بلغت خمسمائة فارس وألف من المشاة[5]، وبذلك إنهزم الفاطميون وأنسحبوا.

ولقد أثار اجتماع تانكريد وبولدوين عدة مشاكل ذات أهمية، وهي طبيعة العلاقة بين إمارتي أنطاكية والرها من جهة ومملكة بيت المقدس من جهة أخرى،كما أن مشكلة التخلص من دايمبرت ذات أهمية حيث أن الملك كان يشك في نوايا البطريك وعدم ولائه، وأثناء ذلك كان البابا باسكال الثاني قد أرسل مندوبه لمعالجة تلك المشكلة، إذ نجده يُعفي دايمبرت من منصبه، على أن تانكريد إغتنم فرصته أثناء عودته لبيت المقدس لنجدة الملك، إذ نجده يطالب بعودة دايمبرت إلى البطريركية ببيت المقدس كشرط أساسي لإعترافه بالولاء والتبعية للملك غير أن ذلك لم يقبله بولدوين الأول، ولذلك إستاء كل من تانكريد وبولدوين كونت الرها وإنسحبا إلى الشمال دون أن يعترفا بالتبعية للملك وكان ذلك في حوالى 10أكتوبر1102م[6].

كما نجد مرة أخرى أن تانكريد يطلب مساعدة الملك بولدوين أثناء خروج مودود لمحاصرة أنطاكية، حيث تجمعت القوات الصليبية من الرها وأنطاكية وبيت المقدس وغيرها من قوات الأرمن سنة1111م[7]، غير أنه لم يحدث إقتتال بإستثناء بعض المناوشات وأنسحب كلٌّ إلى إمارته. وقد بين ذلك إلى حد ما تفكك الوحدة

=Press,Milwaukee,London,1969,Vol.,I, p.381.

[1] أنظر، Runciman,op.cit,Vol.I,p.325 .

[2] أنظر، Albert D'Aix,op.cit.,T.,I,p.436-437.

[3] أنظر، Raoul De Caen,op.cit.,p.265 .

[4] عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.296.

[5] أنظر، Stevenson,op.cit.,p.46.

[6] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.ص.299- 300.

[7] أنظر، Setton,op.cit,Vol.I,p.400.

الإسلامية، في حين بينت تلاحم الصليبيين تحت زعامة بولدوين الأول[1]. وبذلك إعترف تانكريد بتلك الزعامة ومعه كونت الرها، حيث أصبح الملك يتصرف في تلك الحملة (1111م) بوصفه القائد الأعلى والزعيم الأوحد الذي دان له بالطاعة كل أمراء الصليبيين[2]. ونتيجةً لإرتباط القوات الصليبية ببعضها في هذه الفترة الحاسمة من عمر الوجود الصليبي، أدى إلى تثبيت أقدامهم ببلاد الشام، إذ نجد خروج قوات أنطاكية بقيادة الأمير روجر السالرني و بونز كونت طرابلس إلى نصرة الملك بولدوين الأول، ضد السلاجقة بقيادة مودود أتابك الموصل وطغتكين أتابك دمشق، حيث أن هذين الأخيرين قصدا بولدوين الأول في نواحي طبرية بتاريخ 27 من شهر جوان سنة 1113م /11من شهر محرم سنة507هـ والذي إنهزمت قواته شر هزيمة.

وبعد إنفصال الجيشين عن بعضهما وصل الأميران بقواتهما[3]، غير أن وصولهما لم يجد نفعا، ولكن تلك النجدة أثرت على معنويات إخوانهم الصليبيين وزادتهم حماسة[4]، ويقول ابن الأثير "فوصل عسكر أنطاكية وطرابلس فقويت نفوس الفرنج، وعادوا إلى الحرب"[5]، هنا تظهر عزيمة صليبي الشام خصوصا نورمان أنطاكية، بما تميزوا به من حَمِيّة كما كانوا يدركون أن النصر على المسلمين في تلك الفترة هو أساس تثبيث وجودهم بالمشرق. في حين أنهم يعرفون مدى قوة سلاجقة العراق والشام في حالة وحدتهم ضد الصليبيين، ولذلك تكون الإستجابة أسرع في حالة ما يدعو الملك لذلك. ونتيجة لما حدث للممتلكات الصليبية في الشمال أثناء حدوث زلزال عنيف في شهر نوفمبر من سنة 1114م، قام السلطان السلجوقي محمد بإرسال حملة عسكرية بقيادة برسق لمحاربة الصليبيين هناك، وبهذا حدث تقارب بين المسلمين والصليبيين بالشام خاصة الذين إشتركت أهدافهم ومصالحهم الشخصية لمقاومة تلك الحملة، نرى عقد إتفاقية بين أتابك دمشق والوصي على حلب من جهة وملك بيت المقدس وأمير أنطاكية روجر من جهة أخرى، كرد فعل لمقاومة سلاجقة فارس ومنعهم من غزو الشام، وكان ذلك في شهر ماي سنة 1115م[6].

وبعد إحتشاد هذا العدد الكبير من الصليبيين والمسلمين لم يستطع برسق من مواجهة الموقف فقرر الإنسحاب، ولكن سرعان ما عاد ليواجه قوات أنطاكية وحدها لكنها ألحقت به الهزيمة في تل دانيث في 14

---

[1] أنظر، Setton,op.cit,Vol.I,p.400.

[2] عاشور،الحركة الصليبية،ج.1،ص.ص.318-319.

[3] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.ص.184-185.

[4] تومي رشيد، المرجع السابق، ص.278.

[5] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.149.

[6] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.324-325 ؛Setton,op.cit.,Vol.,I,p.404

سبتمبر سنة 1115م/23ربيع الثاني سنة509هـ[1]. وعليه فإن هذا الانتصار يكتسي أهمية خاصة للصليبيين، إذ أنه قضى على حلم سلاجقة ايران الذين يتوقون إلى استرجاع الشام، كما بيّن قدرة روجر كقوة صليبية في شمال المنطقة[2]، وبنهاية سنة 1118م كان هناك نوع من التوازن بين القوى الصليبية والإسلامية، وفي مقدمة ذلك روجر السالرني الذي استطاع أن يشكل حطا دفاعيا لمواجهة الظروف، ويرجع ذلك لإلتئام شمل الصليبيين، حيث ساد الوفاق بين بولدوين كونت الرها وبونز كونت طرابلس وروجر، كما أظهر هذا الأخير طاعته وولاءه لملك بيت المقدس. في حين استمر الشقاق بين القوى السلجوقية وكان ذلك لصالح الصليبيين[3].

وبفضل سياسة الملك بولدوين الأول أصبحت بطريركية بيت المقدس الحليف الوفي له، لذا أراد أن يآزرها ويقوي نفوذها على حساب أنطاكية، فما إن إستولى الملك على بيروت من الفاطميين حتى أصبحت أسقفيتها محل نزاع بين أنطاكية وبيت المقدس. ولما إشتد النزاع حكمت البابوية سنة 1111م بأن تكون الأسقفية تابعة للمملكة، وبهذا حقق بولدوين الأول نوعا من السيادة على أمراء أنطاكية والرها وطرابلس، ولذلك ستحظى بطريركية القدس بالأولوية على بطريركية أنطاكية[4].

ويظهر التلاحم مرة أخرى بإحتشاد قوات أنطاكية وطلبُ المساعدة من بيت المقدس وطرابلس، غير أن الأمير روجر إستخف بالقوات الإسلامية ولم ينتظر وصول القوات الصليبية الحليفة وتعجل بالهجوم، فكانت هزيمته أسرع ولقي الأمير مصرعه[5]. وتولى البطريرك برنارد الفالنسي إدارة أنطاكية بعد الكارثة، وجرد المسيحيين الشرقيين من سلاحهم، وخاصة اليونانيين الذين يميلون للخيانة[6]، إلى أن وصل الملك بولدوين الثاني(1118م-1131م) لأن بوهمند الثاني الوريث لايزال قاصراً [7].

ويقول المؤرخ توماس أسبريدج :" إن مقتل روجر سنة 1119م، وعدم وجود الوريث آنذاك، وتحول ميزان القوى في شمال سوريا، أخذ الملك الوصاية على أنطاكية إلى غاية مجيء بوهمند الثاني، وهذا يعني أن الإمارة تفتقد للحاكم الدائم. واستقلال أنطاكية عن بيت المقدس صعب جدا في هذه الفترة"[8]. ومن خلال ما سجله المؤرخ

---

[1] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.325؛ Setton,op.cit.,Vol.I.p.404

[2] تومي رشيد، المرجع السابق، ص.281.

[3] المرجع نفسه، ص.283.

[4] عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.334-335

[5] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.180-182

[6] أنظر، Grousset, (René),L'Epopée Des Croisades,Librairie Académique,Perrin,Paris,p.93.

[7] صفاء عثمان محمد ،مملكة بيت المقدس في عهد بولدوين الثاني، دار العالم العربي، القاهرة، 2008، ص.86.

[8] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.126.

أسامة بن منقذ بشأن وصاية الملك بولدوين لأنطاكية، أنه تم التعاقد بين هذا الأخير والأمير روجر، حينما انتقل هذا الأخير لزيارة بيت المقدس على أن يرث كل منهما الآخر، حيث يقول اسامة قال روجر لبغدوين " اجعل بيني وبينك شرطا، إن متُّ قبلك كانت أنطاكية لك، وإن متَّ قبلي كان البيت المقدس لي"[1]. وبهذا باشر الملك أعماله بالإمارة، حيث أقر الاقطاعات بأيدي أربابها ووزع الاقطاعات بعد شغورها بوفاة أصحابها، وزوج الأرامل بفرسانه أوبالفرسان الذين قدموا من الغرب، وبهذا يضمن قوة جديدة للإمارة أي تصبح الإمارات أكثر تلاحما[2]، وخضعت أنطاكية لوصاية الملك ولمدة سبع سنوات (1119م-1126م) إلى حين وصول بوهمند الثاني، وتأكدت العلاقة بينهما بزواج هذا الأخير بآليس إبنة الملك بولدوين[3].

وبهذا تمت تقوية الرابطة بين إمارة أنطاكية والمملكة[4]. لقدكانت المصاهرات إلى حد ما سياسة ناجحة في تقوية الروابط بين الإمارات الصليبية،كما نرى مرة أخرى أن سياسة بولدوين الثاني تنجح في تسوية الخلافات بين كونت الرها جوسلين أف كورتيناي وبوهمند الثاني أثناء تضارب مصالحهما[5]، حينما أراد كل من الأميرين أن يستأثر بحلب نتيجة الفوضى التي حلت بها بعد مقتل البرسقي[6]، ويعكس ذلك مدى إحساس الصليبيين بخطورة الخلاف والتشتت، وأثره السلبي على مصيرهم خصوصا مملكة بيت المقدس.

ويظهر التجمع الصليبي مرة أخرى في إجتماع عقده كل من الملك بولدوين الثاني وصِهْره الكونت فولك والكونت بونز والأمير بوهمند الصغير وجوسلين الكبير، حيث قرر هؤلاء القادة مهاجمة دمشق، لكن ذلك المشروع فشل وكان ذلك في السادس من ديسمبر سنة1130م[7]، وبعودة بوهمند إلى إمارته إذا بحاكم حلب يهاجمها، فتجهز الأمير وانتقل إلى قليقية لصده إلى جانب أمور أخرى تخصه هناك، فإذا بالعدو يهاجمه ويقتله[8].

---

[1] أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.ص.118-119.

[2] صفاء عثمان محمد، المرجع السابق، ص.ص.87-88.

[3] أنظر، LAMonte,op.cit.,p.192 .

[4] صفاء عثمان محمد، المرجع السابق،ص.145.

[5] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.3،ص.ص.61-62.

[6] رانسيمان،المرجع السابق،ج.2،ص.211.

[7] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.3، ص.ص.68 - 71؛ ويقول ابن الأثير:"اجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب أنطاكية وصاحب طرابلس، وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم...وساروا إلى دمشق ليحصروها"، لكنهم إنهزموا وكان ذلك في سنة شهر ذي الحجة سنة 523هـ، وأما ابن القلانسي فيقول:" فاجتمع إليهم سائر من حوتة بلادهم من الرها وأنطا كية وطرابلس والساحل،... ورحل الملاعين عن بانياس طالبيين دمشق...وكان ذلك في ذي القعدة سنة 523هـ"، ولكن إنكسرت شوكتهم وخابت آمالهم. أنظر،الكامل، مج.9، ص.251؛ذيل تاريخ دمشق،ص.224-226.

[8] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.3، ص.ص.72-73.

وعليه فإن مقتل الأمير قد أتاح الفرصة ثانية للملك بولدوين الثاني، ليتولي مهمة الوصاية على الإمارة خاصة وأن بوهمند قد ترك ابنة صغيرة، ولذلك بادرت أمها أليس بإغتصاب عرشها دون مبالاة بالحقوق الإقطاعية وأعلنت ولاءها للأتابك عماد الددين زنكي، غير أنه من سوء حظها وصل بولدوين في الوقت المناسب ليسد كل المنافذ في وجهها ويتولى شؤون المدينة، ومن ثم عزلها عن الوصاية وأقطعها مدينتي اللاذقية وجبلة (اللتين وهبهما لها زوجها كمهر) وأعطى الوصاية لجوسلين كونت الرها[1]. ولكن وصايته لم تدم طويلا إذ توفي في 21 أوت سنة 1131م[2]، ورغم ذلك حظيت الإمارة في هذا الظرف الصعب، مما أدى إلى تماسكها وبقائها شوكة في حلق سلاجقة شمال الشام[3].

إن وصاية الملك على أنطاكية، بإعتباره لها كإمارة صليبية حافظ على وجودها كقاعدة أمامية، ولذلك لم يتسرع البيزنطيون لأخذ حقوقهم بها، إلى حد ما نستطيع القول بأن وجوده في الوصاية كان جد فعالا في ظل ذلك الوضع، حتى حين وقوعه في الأسر لم تُقْدم بيزنطة على المطالبة بحقوقها. وعليه فإن القوى الصليبية في المنطقة أدت دوراً فعالا بقيادة الملك بولدوين الثاني، إذ نجدهم يقفون إلى جانب نورمان أنطاكية وتأييدهم سياسياً وعسكرياً، لأن أنطاكية بالدرجة الأولى كانت خطاً دفاعياً لصليبي الشام بل درعاً للمملكة نفسها[4].

وفي 14 من شهر سبتمبر سنة1131م تم تتويج الكونت فولك وزوجته ميلزندا ابنة الملك وأصبح ملكين لبيت المقدس[5]، حينها كان عرش أنطاكية شاغراً لذا يجب أن يتحمل المسؤولية مثل سابقه[6]، وعليه كيف ستكون ستكون علاقة أنطاكية بالملك الجديد. وحقيقية أن الإمارات الشمالية كان تتويجه يحمل شيئا من عدم الرضا، حتى وإن كانت هذه الإمارات قد خضعت نوعا ما للملوك الأوائل، إلا أنها حاولت التخلص من هذه القيود[7]، وبهذا كان إعتلاء فولك لعرش المملكة فرصة لمن لهم أهدافهم خاصة آليس زوجه بوهمند، وبما أن عرش الإمارة شاغرا والأخطار مُحدقة بها قام باروناتها بإرسال سفارة يدعونه لإدارة شؤونها[8].

---

[1] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3،ص.74-75؛Stevenson,op.cit,p.129؛ صفاء عثمان محمد،المرجع السابق، ص.ص.147-149.

[2] وليم الصوري،المصدرالسابق، ج.3، ص.ص.75-77 .

[3] صفاء عثمان محمد، المرجع السابق، ص.149.

[4] المرجع نفسه، ص.ص.152-154.

[5] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.219؛ Grousset, op.cit., ,p.106

[6] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.3، ص.ص.96-97.

[7] سرور علي عبد المنعم، السياسة الخارجية والداخلية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي1131م-1143م/526هـ-538هـ (رسالة دكتوراة غير منشورة)، إشراف ،د.علية عبد السميع الجنزوري،جامعة عين شمس،القاهرة، 2000،ص.120.

[8] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2، ص.ص.220-222.

وحقيقة أن الملك كان أقرب فروع الذكور للأميرة الصغيرةكونستانس بإعتباره زوج خالتها[1]، فبوفاة الملك بولدوين الثاني يكون الجو قد تهيأ لأليس بأن تستأثر بحكم الإمارة وحرمان إبنتها[2]،كما أنها راحت تتآمر مع من حولها من أمراء الصليبيين ومن داخل الإمارة[3]. من خلال ذلك يتضح بأن الأمراء الصليبين يرون بأنهم مثل الملك ولافضل له عليهم[4]، ولهذا بادر فولك بالخروج بإتجاه أنطاكية وتمكن من الإنتصار على المتآمرين والمتمردين، وبطلب من البارونات بقي بها و قام بترتيب شؤون المدينة والمناطق المجاورة لها[5]، وعهد بوصاية الطفلة لرينالد مازوار كونستابل أنطاكية[6].

ومن خلال مواثيق الملك فولك بين سنتي1133م و1135م تبين بأنه حامي ووكيل ووصي على أنطاكية[7]، أي أن وصايته عليها أصبحت قانونية. إن دور ملوك بيت المقدس كان جد هاماً للإمارة، حيث أنقذها في فترتها المبكرة والخروج بها إلى بر الأمان في ظل تزايد المد الإسلامي من الشمال الشرقي، ورغبة بيزنطة من جهة أخرى الظفر بهذا الحق التاريخي، وكذا أطماع المتآمرين عليها من الصليبيين، ومما يؤكد حاجة الإمارة للمساعدة من حين لآخر، إذ نجد خروج الملك فولك بقواته شمالاً والذي حقق نصراً في مدينة قنّسرين سنة 1132م/1133م.

وأما فيما يخص بيت المقدس وأنطاكية فكلاهما مدينة مقدسة، ولقد تداخلت مناطق نفوذهما، لذا أصبح من الضروري تسوية تلك المشاكل في عهد فولك، حيث أصدر هذا الأخير مرسوما ملكيا ينص على رجوع الأملاك الموجودة في أنطاكية إلى الضريح المقدس ببيت المقدس سنة 1135م[8]. وبإزدياد الضغط الإسلامي فقدت الإمارة معاقلها الجنوبية الشرقية[9]، ولذلك إضطر الملك إلى الإنتقال شمالا كونه وصيا عليها حينها كان برنارد الفالنسي قد مات، فبادر السكان بإنتخاب بطريك جديد وهو رادولف(رالف) أف دمفرنت Radulph of Domfront (1135م-1140م) وأصبح هذا الأخير يتدخل في الشؤون السياسية [10]، في حين لاتزال رغبة

[1] سرور علي عبد المنعم، المرجع السابق، ص.121.

[2] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3، ص.96.

[3] سرور محمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص.ص.122-123.

[4] باركر، المرجع السابق، ص.ص.53-54.

[5] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.3، ص.ص.97-98.

[6] أنظر، LAMonte,op.cit.,p.193;Grousset,op.cit.,p.109.

[7] أنظر، LAMonte,op.cit.,p.193.

[8] سرور علي عبد المنعم ، المرجع السابق، ص.ص.126-129، 131-132.

[9] ابن العديم، المرجع السابق،ج.2، ص.ص.622-623؛ رانسيمان،المرجع السابق،ج.2،ص.229؛ عاشور، المرجع السابق،ج.1،ص.572.

[10] رانسيمان، المرجع السابق،ج.2، ص.ص.229-230؛ Cahen,op.cit,p.356.

آليس جامحة تريد الإستئثار بالحكم، طالبة المساعدة من أختها ميليزندا زوجة الملك فولك[1]، وبذلك حققت جزءاً من رغبتها إذ عادت إلى أنطاكية فكان لها حليف آخر هو البطريرك[2]. في ظل ذلك الخطر الذي يهدد الإمارة من من الداخل رأى الملك بأن يتم إختيار زوج للأميرة كونستانس، وبهذا إستقر الرأي على ريموند بواتيه ابن وليم التاسع الموجود بالقصر الملكي بأنجلترا، ولم يلبث أن حل ريموند بالشرق وأصبح زوجا للأميرة كونستانس وأصبحت بيده مقاليد حكم أنطاكية[3]، ومنذ ذلك الحين حل النفوذ الفرنسي محل النورمان في الإمارة[4].

وحقيقة لم يكن الأمير الجديد يرتبط بعلاقات ودية مع الملك، إذ كان همه الرئيسي الإحتفاظ بإستقلال إمارته بعيداً عن سطوة فولك، ورغم ذلك توحدت أراءهما لمواجهة المد الإسلامي والبيزنطي في شمال الشام.

وفي ظل الضغط الإسلامي من جهة حلب، قامت الإمارة بطلب المساعدة من بيت المقدس سنة1136م فبادرت لأن ذلك الخطر يهدد المملكة نفسها في حال ما تأثرت أنطاكية[5]،كما نجد مرة أخرى إستعانة الإمارة بالملك أثناء حصار البيزنطيين للمدينة[6]، في جويلية 1137م/520هـ[7]، ولذا لم يجد الملك بدأً من المساعدة فلبى الطلب، لأنه يدرك مدى قوة البيزنطيين، وما يحدث بعد ذلك ولهذا عقد الملك فولك مجلس تشاور إنتهى بالتوجه إلى مساعدة المحاصرين بقلعة بعرين في قطاع طرابلس بعد ذلك يتوجهون إلى أنطاكية، لكن حدث ما لم يكن متوقعا. إذ أن الصليبيين تلقوا هجوما من المسلمين كانت خسائره كبيرة أدى بالملك إلى طلب المساعدة من ريموند بواتيه والذي من واجبه أن يلبي الطلب في ظل ظروف صعبة تمر بها إمارته[8]، وأثناء ذلك تم الصلح بين الملك الملك وعماد الدين زنكي[9]. وبعد عودة ريموند إلى أنطاكية، طالبه البيزنطيون بتقديم المدينة طبقا للإتفاقيتين 1097م و1108م، لكن ريموند لم يستجب لذلك كونه إستلم عرش الإمارة من الملك فولك والأميرة كونستانس الوريثة الشرعية، ولذلك فهو فصل من أفصال فولك، لذا لابد من مشورته، فلم يكن من الملك سوى قبول تبعية أنطاكية لبيزنطة.

---

[1] أنظر، Stevenson,op.cit.,p.135.

[2] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.230.

[3] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3،ص.ص.126,129.

[4] ماير، المرجع السابق، ج.1،ص.127.

[5] سرور علي عبد المنعم، المرجع السابق،ص.ص.139-140.

[6] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3،ص.ص.136-137.

[7] عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.583.

[8] سرور علي عبد المنعم، المرجع السابق،ص.ص.141-142.

[9] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.ص.625-626.

وحقيقة أن الملك يدرك مدى قدرة المسلمين المتنامية، ولهذا أراد أن يُحمل المسؤولية لبيزنطة في الدفاع عن الإمارة وأن يقف الإمبراطور حنا الثاني لدعم ريموند في إسترجاع بعض معاقلها[1]،كما أن الأمير ريموند لم يتأخر عن مساعدة الملك إذ نجده يقف إلى جانبه في حصار مدينة بانياس والإستيلاء عليها[2]. وبعد مقتل ريموند أصبح عرش الإمارة شاغرا وأصبح من الضروري إيجاد زوج للأرملة كونستانس، إذ أن هذه الأخيرة رفضت فكرة الزواج ليبقى الحكم في يدها بتحريض من البطريرك إيمري دي ليموج كي يبسط سلطانه تحت وصايتها[3]، ولكن سرعان ما وافقت على قبول الزواج من الفارس الصليبي رينالد أف شاتيلون سنة1153م[4].

وبعد أن إستتب الأمر للأمير الجديد إنتقم من البطريرك ايمري بأن عذبه في يوم قائظ عاري الرأس تحت أشعة الشمس المحرقة[5]، وما إن عِلم بولدوين الثالث بذلك حتى أنذر رينالد وأمره بأن يعيده إلى كرسي البطريركية، غير أن ايمري بعد إطلاق سراحه رحل بإتجاه بيت المقدس[6]. وأثناء غارة رينالد على جزيرة قبرص كانت صدمة للرأي العام، ولقد عنّف الملك الأمير على فعلته الذي كان يرى بأن هذه الهجمة ستوسع الهوة بين الصليبيين والبيزنطيين، في حين كان خطر المسلمين بقيادة نور الدين محمود يزداد يوما بعد يوم[7].

وليُظهر الملك حسن نيته والصفح عن رينالد من طرف بيزنطة طلب الزواج من البلاط الإمبراطوري توطيدا لعرى الصداقة[8]، كما أوضح أنه سيُخضِع السلطة بالإمارة للإمبراطور مانويل[9]. لقد كانت الإمارة تحتاج لمساعدة المملكة، في حين أن هذه الأخيرة في أمس الحاجة لبقاء أنطاكية في الشمال كحاجز ودرع لبيت المقدس، ولهذا قام الأمير رينالد بطلب المساعدة من ملك القدس وبصحبته كونت فلاندرز للإغارة على شيزر، غير أن

---

[1] سرور علي ،المرجع السابق، ص.ص.145-146.

[2] وليم الصوري، المرجع السابق،ج.3، ص.ص.180-184.

[3] عاشور، الحركة الصليبية،ج.2، ص.ص.648-649.

[4] المرجع نفسه، ص.649.

[5] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.3، ص.ص.379-380.

[6] أنظر، Schlumberger(Gustave),Renaud de Chatillon Prince D'Antioche,Librairie Plon,Paris,1898,pp. 53-54

[7] إسحاق عبيد تاوضروس، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين869م-1204م،دار المعارف، القاهرة،1970،ص.215-216.

[8] أنظر ، Gregoire Le Pretre,Continuation De La Chronique De Matthieu D'Edesse Traduction, Edward Dulaurier,Paris,1858,pp.355-356.

[9] إسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.216 ،للمزيد أنظر، ماير،المرجع السابق،ص.ص.163-164.

ذلك لم يحقق شيئاً فعادوا إلى من حيث أتوا[1]، وعند وصول الأميرة البيزنطية لبيت المقدس، إستدعى الملك البطريرك ايمري ليضفي الشرعية على زواجه بالطريقة المعتادة، حينذاك لم يتم بعد تنصيب بطريرك القدس[2]، هنا تبين أن كلا الكنيستين تكملان بعضهما البعض في حالة شغور المنصب.

وبعد وقوع رينالد في الأسر ناشد الأنطاكيون بولدوين الثالث، الذي إنتقل إلى أنطاكية حيث تولى الحكومة وقام بترتيب شؤونها[3]. بعد ذلك بأربع سنوات تمكن نور الدين محمود من أسر قادة الصليبيين في حارم بوهمند الثالث وريموند الثاني كونت طرابلس وكولومان البيزنطي دوق المصيصة وهيج لوزنجان وغيرهم من القادة ، حينها كان أماليرك ملك بيت المقدس (1163م-1174م) يقوم بتنفيذ مشروعه لغزو مصر التي تشكل عقبة في وجه المملكة[4]، ولهذا قام البطريرك بترتيب شؤون الإمارة والدفاع عنها وأرسل إلى الملك.

كما أن الإمبراطور حاول إرسال المساعدات لها، غير أن مساعدته في نظرهم لا تقل ضرراً عن هجمات نور الدين محمود، لذا طلب الأمراء مساعدة ملك فرنسا لويس السابع[5]. إنتقل الملك أماليرك إلى أنطاكية ودخل في مفاوضات مع نور الدين محمود، الذي وافق على إطلاق الأمير بوهمند. هنا يظهر حرص الملك على وجود أمير يرعى مصالح الإمارة لأن ذلك بمثابة درءا للمخاطر، خصوصا في هذا الظرف، كما أن مشاركة بيزنطة في الحملة على مصر كانت من شروطها التنازل للإمبراطور على حق التصرف في أنطاكية، هنا يتضح أن ملوك بيت المقدس من حين لآخر يتنازلون عن الإمارة في حال تحقيق مصالحهم الخاصة، إضافة على أنهم يراهنون على بقائها كونها الدرع الواقي للمملكة من جهة الشمال.

وبعد مهاجمة مليح الأرميني مدن قليقية سنة1170م بدعم إسلامي، قام الأمير بوهمند بطلب المساعدة من أماليرك، وفي إتفاقية القسطنطينية بين الإمبراطور والملك سنة 1171م كان من نتائجها تنازل اللاّتين لليونانيين عن بعض الطقوس الدينية في أنطاكية، بل حتى في القدس نفسها[6]. وبإعتلاء الملك بولدوين الرابع عرش المملكة (ت.1185م) أصبحت في مفترق الطرق وتُساق إلى مصيرها المحتوم، إذكان بولدوين قاصرا كما أنه

---

[1] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.3، ص.ص.416-420.

[2] المصدر نفسه،ج.3، ص..428

[3] أنظر، LAMonte,op.cit,p.195.

[4] رانسيمان،المرجع السابق،ج.2،ص.427؛ محمد مؤنس عوض،السياسة الخارجية للدولة النورية 1146-1174م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998، ص.ص.175-176.أنظر أيضا، LAMonte,op.cit.,pp.195-196

[5] أنظر، LAMonte,op.cit.,pp.196.

[6] رانسيمان،المرجع السابق،ج.2،ص. 427-428، 436، 446-448؛ للمزيد أنظر،ماير،المرجع السابق،ج.1،ص.ص.173-174.

مصاب بالجذام وأصبح الوصي عليه ريموند كونت طرابلس، غير أنه حدث خلاف حول الوصاية ولذلك أصبح يشك في كل من حوله، وساءت علاقته ببوهمند الثالث وكونت طرابلس لأنه يعتبرهما طامعين في الملك[1]، وهذا جعله يُسرع بتزويج شقيقته ووريثته سبيلا من جي أف لوزيجنان Guy of Lusignan، متجاهلا بذلك من كانوا أكثر ملاءمة لهذه الزيجة من نبلاء المملكة، وبهذا إندلعت مشكلة وراثة العرش ببيت المقدس والتي كانت نذير شؤم عليها[2].كذلك أن الإمارة بأنطاكية لم تكن أحسن حالا، إذ أن أميرها بوهمند الثالث إستسلم لنزواته دون مراعاة مايحدث من حوله، ولذلك أصدر بطريرك أنطاكية قرار الحرمان الكنسي[3] ضده، وبذلك ثار الأمير ضد الكنيسة، مما أدى إلى إنشقاق بالمدينة وأصبحت بها حرب أهلية[4]، وبإستيلاء صلاح الدين على حلب وحارم أدركت الإمارة مدى خطورة ذلك، لذا قام بوهمند بإرضاء صلاح الدين بأن تم إطلاق أسرى المسلمين ترضية للسلطان وطلب الأمان[5]، ولهذا السبب عقد الأمير إتفاقا مع ملك بيت المقدس وبدوره عقد هذا الأخير هدنة مع صلاح الدين لتتمكن أنطاكية من إحكام دفاعاتها[6]، حيث أمده الملك بحوالى ثلاثمائة فارس ولم يكن هذا الدعم كافيا ولم يلبث أن عاد الفرسان إلى بيت المقدس، أي أن ذلك لم يجد نفعا لأنطاكية.

---

[1] عاشور،الحركة الصليبية، ج.2، ص.ص.736-737، 765-766.

[2] حسين عطية،المرجع السابق،ص.197.

[3] الطرد من رحمة الكنيسة وقد استعمل البابا جريجوري السابع ذلك السلاح الروحي ضد المخالفين لأوامر الكنيسة، وقد يكون ذلك ضد شخص بحد ذاته (Excommunication)، وبهذا يصبح مطرودا من المجتمع المسيحي وقد يكون ضد مجتمع بأكمله، أي الحرمان الإجتماعي(Interdict) .أنظر، عاشور سعيد عبد الفتاح،أوربا العصور الوسطى النظم والحضارة،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ج.2، ص.3-4. للمزيد من التفاصيل عن هذا المصطلح، أنظر، LA Grande Encyclopédie, T.16,pp.921-923

[4] عاشور،الحركة الصليبية، ج.2،ص.767.

[5] ابن واصل محمد بن سالم ،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،تحقيق جمال الدين الشيال،الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، 1953،ج. 2، ص.ص.142، 147 .

[6] عاشور،المرجع السابق، ج.2، ص.780.

وبإزدياد حدة النزاع حول عرش المملكة كان لبوهمند دوره البارز،حينما كان الفرنج في أشد الحاجة للتلاحم، وبمساعدة جوسلين وبطريرك بيت المقدس، تم تتويج جي لوزنجنان وسيبيلا ملكا وملكة وإبعاد كونت طرابلس ريموند الثالث، مما دفع هذا الأخير إلى عقد هدنة مع صلاح الدين وأيده بوهمند في ذلك، وأستقبل نبلاء المملكة المعارضين للملك جي ولم يلبث أن عقد هدنة لأنطاكية مع تقي الدين قائد قوات صلاح الدين[1]، وكان ذلك في آخر ربيع الأول سنة 583هـ/ جوان 1187م[2].

وهكذا حُرمت المملكة من مساعدة أنطاكية وطرابلس والبيزنطيين والأرمن والقبارصة، في وقت تعاني هي الأخرى من مشكلتها الداخلية المتمثلة في وراثة العرش والوصاية، وقد شارك بوهمند في كل عوامل الضعف هذه. لقد كانت مصالحة الخاصة فوق كل اعتبار، حتى الصالح الصليبي العام[3]، بمعنى لما كانت المملكة تمر بظروف صعبة كانت إمارتي الشمال أنطاكية وطرابلس في سلام مع المسلمين[4].

من خلال ذلك يتبين أن المصلحة الخاصة للصليبيين طغت عن الصالح الصليبي العام، وإستجابة بوهمند لمناشدة إخوانه أثناء تحرك صلاح الدين لهدفه، قام بإرسال كتيبة بقيادة بولدوين(من أتباع بوهمند مؤخرا بعد الصراع داخل المملكة) أمير أبيلين، وأرسل ابنه ريموند الثالث لينضم إلى كونت طرابلس[5]. وهكذا انتصر صلاح الدين في معركة حطين[6]، وبهذا أصبحت قلاع وحصون المملكة أهدافا سائغة له، بل القدس نفسها فدخلها يوم الجمعة الثاني من أكتوبر1187م /27 من رجب 583هـ[7].

وبظهور مملكة بيت المقدس في عكا، أصبح من الضروري على هنري أف شامبني Henry of Champagne الملك الجديد، أن يتحمل مسؤولية أمن مملكته، وأن يحافظ على إمارة أنطاكية خاصة أمام أطماع الأرمن، نتيجة السياسة الضعيفة لبوهمند الثالث[8]، إذ نجده يتدخل لحل مشكلة وقوع هذا الأخير في أسْرِ

---

[1] حسين عطية،المرجع السابق، ص.ص.202-204، 206-207

[2] ابن شداد بهاء الدين، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1994، ص.ص. 125-126.

[3] حسين عطية، المرجع السابق، ص.207.

[4] عاشور، الحركة الصليبية، ج.2،ص.799.

[5] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.513.

[6] ابن واصل ، المصدر السابق،ج.2،ص.191-192؛ ابن شداد ،المصدر السابق،ص.ص.129-131.

[7] ابن شداد المصدر نفسه، ص.135؛ رانسيمان، المرجع السابق،ج.2،ص.523؛ حسين عطية،المرجع السابق، ص.208؛ماير، المرجع السابق،ج.1، ص.183.

[8] عاشور،المرجع السابق،ج.2،ص.906؛ حسين عطية ،المرجع الساق،ص.236.

ليون الأرميني[1]. ومن الملاحظ أن ملوك بيت المقدس كانوا دائما يراهنون على بقاء إمارة أنطاكية في الواجهة، لأنها كانت بمثابة الدرع الواقي أمام المد الإسلامي، بل البيزنطي والأرميني على حد سواء.

وبعد وفاة بوهمند الثالث أصبح من الضروري على بوهمند الرابع أن يرث أباه في أنطاكية، فلم يلبث أن ثار ضده أحد أتباعه الإقطاعيين رينوارت الثاني Renoart II، الذي قام بالزواج من ايزابيلا وريثة حصن عكار دون إذنه مما أسخطه عليه، ولذلك قام هذا الأخير بالتقرب من خصوم بوهمند (ملك أرمينيا وملك بيت المقدس أماليك الثاني Amalric II(1197م-1205م))، وبعض البارونات الذين وجدوا في بوهمند خطرا عليهم، إذا ما وحد الإمارتين. ونتيجة لذلك قام بوهمند الرابع بتوطيد علاقته بأسرة أمبرياتشي الإيطالية حكام جبيل، بأن تزوج من بليزانسPleasance شقيقة جاي أمبرياكوGuy Ambrico(1199م-1241م)،كما زوج أخته لجاي وقام الأمير بمصادرة إقطاعات رينوارت وكاد هذا الأخير أن ينجح في ثورته، لولا وفاة الملك أملريك الثاني أحد مؤيديه، في حين لم يقم الوصي على المملكة جان أبيلين، حاكم بيروت بتقديم أي مساعدة، بل نجده يقطعها عنه، وأخيرا توج بوهمند انتصاره على تابعه بأن قبض عليه وأَسَرَهُ[2].

وعليه فإن الصراع الداخلي ومع الأرمن وتعدد أطرافه، قد أنهك قوة الصليبيين وأعطى الفرصة للمسلمين[3]، وعند مجيء فردريك الثاني إلى المشرق وعقده مع السلطان الكامل الأيوبي لصلح يافا سنة 1229م، وبمقتضاها تم استرجاع بيت المقدس (1229م-1244م)،كان قد استثنى إمارتي أنطاكية وطرابلس من هذا الصلح[4]، وربما يكون ذلك بسبب عدم ولاء بوهمند للإمبراطور عندما استقبله في قبرص[5]. لقد كانت سياسة بوهمند مع مختلف الأطراف الصليبية كانت طيبة نوعا ما، بإستثناء الأسبتارية الذين تحالفوا مع أعدائه[6].

وبإعتلاء بوهمند الخامس العرش(1233م-1251م) تظهر مشاركته في أحداث المشرق، إذ نجده يشترك بقواته وقوات المملكة وقبرص لمناصرة الأسبتارية والداوية ضد أمير حماة[7]، كما تدخل مرة أخرى مع قوات الفرنج ودمشق وحمص لمواجهة قوات مصر والخوارزمية، حيث إنهزم الفرنج وحلفاؤهم شر هزيمة، وكان ذلك في

---

[1] أنظر LA Monte,op.cit.,p.198;Grousset (R),op.cit.,p.217.

[2] نهى فتحي،المرجع السابق، ص.ص.66-68؛ للمزيد أنظر،حسين عطية،المرجع السابق، ص.ص.267-272.

[3] أنظر، Stevenson,op.cit.,pp.299-300.

[4] عاشور،الحركة الصليبية،ج.2، ص.ص.1021، 1023.

[5] حسين عطية،المرجع السابق، ص.330.

[6] نهى فتحي ،المرجع السابق، ص.ص.73-74.

[7] حسين عطية،المرجع السابق، ص.347.

معركة غزة والتي تعرف باسم (لافوربي LA Forbie) سنة 1244م/642هـ[1]، وترتب عن تلك الكارثة بأن سُلِب الفرنج من مكاسبهم، التي حققتها لهم الدبلوماسية طيلة العقود الماضية[2].

وبإعتلاء ابنه بوهمند السادس عرش الإمارتين تحت وصايه أمه، كان لابد عليه أن يدلي بدلوه في أحداث الشام الصليبي، ولو أن ذلك كان في آخر رمق للصليبيين هناك، ولكن بوجود لويس في المشرق بدت وحدة الصليبيين ظاهرة للعيان، وما ذلك إلا زيف فبرحيله إلى الغرب وعدم وجود الكفء من ينوب عنه في المملكة، عادت الفرقة إلى صفوف الفرنج، إذ نجدها تندلع بين جاليات المدن الإيطالية في عكا، ومن سار في ركبهم من طوائف الفرنج من أنطاكية إلى يافا[3]. ويقول المؤرخ المجهول:"بدأ الصليبيون يحاربون بعضهم بعضا بطريقة تثير الألم وتجلب العار لكلا الجانبين"[4]، ولهذا إنتقل بوهمند إلى عكا بصحبة أخته بليزانس ملكة قبرص وإبنها لنشر السلام بين المتصارعين، ويطالب بحق وراثة الطفل في مملكة بيت المقدس، وقد اختلفت الآراء بين مؤيد ومعارض[5]، عاد بوهمند مع أخته بعد أن فازت بالوصاية على المملكة. وأصدر تعليماته لنائب أخته –حنا حاكم أرسوف– بأن لايدّخِر جهدا في معاقبة المناوئين من الأسبتارية والجنوية وغيرهم، كما فتح خزائنه للنفقة، بل أمده بالفرسان وكان لهذا أثره السلبي على أنطاكية، لأن هذه الأخيرة كانت في أمس الحاجة إلى العُدّة والمال[6].

2- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة الرّها :

تعود جذور العلاقة بين هاتين الإمارتين إلى مرحلة زحف الجيوش الصليبية في منطقة الأناضول، فمن خلال ماحدث بين بولدوين البولوني وتانكرد، يمكن أن نستشف العلاقة بينهما في ما ظهر من خلاف حول مدن قليقية، لأن ذلك كان له تأثيره على العلاقات في ما بعد بين إمارتي أنطاكية والرها. والخلاف حول مدينة طرسوس يعود إلى شهر سبتمبر سنة1097م[7]، حيث كان تانكرد أول من وصل إلى هذه المدينة[8]، فإذا ببولدوين البولوني يلحق به[9]، ولكن نتيجة الطمع تخاصما من أجل السيطرة عليها، حيث أراد بولدوين مقاسمتها مع تانكرد، لكن هذا الأخير رفض القسمة قائلا له "إني أرفض كل قسمة معك"، وعند اشتداد الجدل بينهما وصلا

---

[1] مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، ص.ص.131-133.

[2] رانسيمان، المرجع السابق،ج.3، ص.276.

[3] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.395-396.

[4] مجهول، المصدر السابق، ص.233.

[5] المصدر نفسه، ص.ص.334-335؛ للمزيد حول ذلك أنظر، حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.398-399.

[6] حسين عطية، المرجع نفسه،ص.ص.398-399، 403.

[7] علية عبد السميع الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،2001 ،ص.217.

[8] مجهول، أعمال الفرنجة، ص.44؛ وليم الصوري، المصدر السابق، ج.1، ص.ص.235-236.

[9] مجهول، المصدر نفسه؛ وليم الصوري، المصدر نفسه، ج.1، ص.ص.236-237.

إلى حل تحكيم السكان الذين رضوا بتانكريد أميراً عليهم [1]، لكن بولدوين أصر على انزال راية تانكريد ورفع رايته، مهددا إياهم بتخريب المدينة وما جاورها فأذعنوا له، ولما رأى تانكريد عَلَم بولدوين يُرفع إنسحب بإتجاه أذنة،كما تمكن خصمه من دخول المدينة، حينها وصلت فرقة من رجال بوهمند إلى طرسوس لمساعدة تانكريد، لكن بولدوين رفض السماح لهم بالدخول فبقوا خارج الأسوار، فتعرضت هذه الفرقة للهجو من طرف الأتراك الذين غادروا المدينة ليلاً. إضافة إلى حدوث نزاع آخر عند مدينة المصيصة، وأدى إلى الصراع العسكري"وجَرتْ على إثر ذلك معركة عنيفة"[2]،كل ذلك سيجعل العلاقة بين النورمان في أنطاكية واللوريين في الرها يشوبها كثير من التوتر.

وبعد قيام إمارة أنطاكية كوحدة سياسية مستقلة، ظهر موقف إمارة الرها منها عندما أُسِر بوهمند، حيث تحركت مشاعر بولدوين البولوني وسار لنجدته[3]، بعد أن وصلته رسالة سرية ومعها خصلة من شعر بوهمند لِتُبيِّن مدى صدق حاملها[4]، لكن ذلك دون جدوى فعاد إلى إمارته بالرها، وعند رحيل بولدوين إلى بيت المقدس سنة 1100م لتولي شؤونها، عرج على أنطاكية ولقي بها استقبالا حافلا، ثم واصل مسيره إلى حيث هدفه[5]. وعند هزيمة بولدوين أف لو بورغ Baldwin of Le Bourg أمام قوات الأمير سقمان ابن أرتق، طلب المساعدة من أنطاكية[6]، كما يظهر مرة أخرى إشتراك أنطاكية والرها في عملياتهم الحربية ضد مدينة المسلّمية، وكانت لهم مضايقات على حلب، والتي تقاضوا من أجلها سبعة ألاف دينار وعشرة رؤوس من الخيل وإطلاق سراح الأسرى[7]. وفي سنة 1103م/497هـ، تم إطلاق سراح بوهمند، بعد مساهمة بولدوين أف لو بورغ في فديته[8]، بعد ذلك تحالفت أنطاكية والرها على مهاجمة حلب وفرض ضريبة عليها[9]،كما يظهر تعاون إمارتي أنطاكية والرها عند مهاجمة مدينة حرّان، ونتيجةً لإختلاف النوايا تمت هزيمة الفرنج. ويقول ابن الأثير في ذلك:" وكان بيمند وطنكري قد إنفردا وراء الجبل، ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم، إذا اشتدت الحرب، فلما رأيا الفرنج

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص.45

[2] وليم الصوري، المصدر السابق، ج1، ص.ص.238-239، 241-242، 244-245.

[3] علية عبد السميع الجنزوري، المرجع السابق، ص.ص.220-221

[4] أنظر، Albert D'Aix,op.cit,T.I,p.415؛ عاشور، المرجع السابق، ج.1، ص. 282.

[5] علية عبد السميع الجنزوري، المرجع السابق، ص.ص.221-222.

[6] أنظر، Matthieu d'Edesse,op.cit.,p.232.

[7] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2، ص.147-148

[8] أنظر،Setton,op.cit,Vol.I.p.392-393؛ علية عبد السميع، المرجع السابق، ص.222.

[9] علية عبد السميع، المرجع نفسه.

منهزمين هربا"[1]، غير أن رؤول دي كاين يقول بأن قوات أنطاكية بقيادة بوهمند وتانكريد، قد شاركت في ميدان المعركة[2]، بينما يقول وليم الصوري:"عندما استجابت مدينة حران للإستسلام للفرنج، وماكاد يتم ذلك حتى حدث خلاف بين بوهمند وجوسلين، أيهما له الأحقية في تسلم المدينة"، وبذلك أعطى فرصة لوصول القوات الإسلامية المساعِدة للمدينة[3]. وأثناء المعركة تم أَسْر بولدوين وجوسلين، وبذلك تولى بوهمند الوصاية على الرها، وعند مغادرته إلى الغرب أصبح تانكريد وصيا على أنطاكية والرها، وبدوره سلَّم الرها إلى قريبه ريشتشارد السالرني[4].

ولقد كان بالإمكان الإستجابة للعرض الذي قدمة الأمير جركمش، بأن يتم إطلاق سراح بولدوين أف لو بورغ، مقابل أن يُطلق تانكريد الأميرة السلجوقية المأسورة من قبل، أو أن يأخذ تانكريد خمسة عشر ألف بيزانتBezant[5] لإطلاق سراح الأميرة، ورغم أن بولدوين ملك بيت المقدس قد حث بوهمند وتانكريد على أن لايفوتا تلك الفرصة، غير أنه تم الإتفاق مع الأمير جركمش بدفع المبلغ لإطلاق سراح الأسيرة، بينما يبقى بولدوين في الأسر، وسبب ذلك أن بوهمند وتانكريد كانا بحاجة إلى المال، كما أن إطلاق سراح الكونت يؤدي إلى إبعاد تانكريد عن وصاية الرها. وبإطلاق سراح بولدوين وجوسلين عرض تانكريد عليهما مبلغاً من المال ليكونا تابعين لأنطاكية، لكن ذلك لم يحدث، وبعد ذلك إنتقل بولدوين إلى تل باشر، وطلب المساعدة من جاولي والأتراك من جهة، ومن جهة أخرى من كوغ باسيل الأرميني، بينما طلب تانكريد المساعدة من ملك حلب رضوان وأمير قلعة جعبر، وذلك أدى إلى قيام معركة شرسة بين الجانبين[6].

ويعتبر ذلك إنقساما بين صليبي شمال الشام، حيث يسعى كل طرف إلى تحقيق مآربه، ولو توحدت القوات الإسلامية لحققت نصرا مؤزراً خاصة في المنطقة الشمالية، لذا رأى كثير من الصليبيين أن ذلك خطراً على وجودهم ومصيرهم، فتدخلوا لفك النزاع القائم وكان ذلك سنة 1109م/502هـ[7]، وفي "التاسع من شهر صفر" أعاد تانكريد الرها إلى أصحابها[8]، لكن سرعان ما اندلعت الحرب بين الإمارتين ومَرَدُّ ذلك إلى الخلاف

[1] ابن الأثير ،المصدر السابق، مج.9، ص.72-73

[2] أنظر، Raoul De Caen,op.cit.,pp.278-281 .

[3] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.2،ص.249-252

[4] أنظر، Setton,op.cit.,Vol.I,p.393.

[5] عملة ذهبية بيزنطية قديمة، أنظر، ماير،المرجع السابق، ج.1،ص.198؛ نهى فتحي الجوهري،المرجع السابق،ص.61.

[6] علية عبد السميع،المرجع السابق،ص.224-225.

[7] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.2، ص.ص.274-275.

[8] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9، ص.ص.126-127.

الإسلامي، حيث استنجد جاولي ببولدوين ورضوان بتانكريد[1]. ويظهر من خلال ذلك أن الخلاف بين الإمارتين، لايزال مستمراً رغم الجهود المبذولة في التسوية السلمية، كما أن التحالف صنع توازنا بالمنطقة ورأى كل طرف بأن مصلحته ستتحقق في وجود الحلفاء. كان وأن أمر السلطان السلجوقي مودود أمير الموصل، بأن يسير لمحاربة الفرنج، لذا نجد بولدوين أف لو بورغ يستنجد بالملك بولدوين الأول،كما أنه شكا تانكريد للملك من أنه تحالف مع الأتراك، لذا نرى هذا الأخير يحث أمير أنطاكية بأن يلتحق بركب الفرنج[2]، وبهذا تقدم الأمير تانكريد بقواته لمساعدة الرها، بجيش بلغ تعداده ألف وخمسمائة فارس[3]،كما اجتمعت القوات الصليبية مرة أخرى، من كل الإمارات أثناء قدوم مودود لحصار أنطاكية[4]، حيث أن هذه القوات تجمعت وأستقر مقامها على الضفة الشرقية لنهر العاصي، قرب أفامية وكان ذلك سنة1111م/505 هـ، والتقى الفريقان عند شيزر مع حدوث مناوشات، لكن بعد ذلك انسحب كلٌ إلى إمارته[5].

وهكذا فشلت حركة الجهاد الإسلامي، وسبب ذلك يعود إلى الفرقة وعدم التنظيم، وفي الوقت نفسه ظهر الصليبيون بالتماسك تحت زعامة الملك بولدوين الأول[6].إضافة إلى أن مابين سنتي 1110م/504هـ و1112م/506هـ،كانت إمارة الرها قد وقفت إلى جانب إمارة أنطاكية، مثلما فعلت المملكة ضد بيزنطة، عندما طلب الإمبراطور أثناء زيارته إلى القدس من بولدوين الأول وقوفه إلى جانبه ضد تانكريد، فرفض كما رفض جوسلين هو الآخر[7]. وفي 12 ديسمبر1112م توفي تانكريد أمير أنطاكية[8]، فخلفه على الإمارة قريبه روجر السالرني[9]، وبعد وصاية هذا الأخير على أنطاكية، إرتبطت بالرها وديا نتيجة زواج روجر بأخت بولدوين أف لوبورغ[10]، ومما يتبين أن العلاقات كانت تتميز بالود في تلك المرحلة، أنْ إستفادت إمارة أنطاكية من تأييد

---

[1] ابن الأثير،المصدر السابق، مج.9،ص.ص.128-129؛ علية عبد السميع،المرجع السابق،ص.225.

[2] علية عبد السميع المرجع نفسه،ص.ص.226-227.

[3] عاشور، الحركة الصليبية، ج.1،ص.457؛ للمزيد أنظر، تومي رشيد، المرجع السابق،ص.ص.268-269.

[4] أنظر، Matthieu d'Edesse,op.cit.,p.275.

[5] أنظر، Setton,op.cit.,Vol.I,p.400؛ عاشور،المرجع السابق،ج.1، 465

[6] عاشور، المرجع نفسه،ج.1،ص.465.

[7] علية عبد السميع،المرجع السابق،ص.230.

[8] أنظر، Matthieu d'Edesse,op.cit.,p.282.؛ وليم الصوري،المرجع السابق،ج.2،ص.299؛ علية عبد السميع،المرجع السابق، ص.230.

[9] أنظر، Matthieu d'Edesse,op.cit.,p.282. ؛ وليم الصوري، المصدر السابق،ج.2،ص.299؛ Cahen,op.cit,p.266

[10] أنظر، Cahen,op.cit.,p.266.

المملكة عندما وصل بولدوين أف لو بورغ إلى عرش القدس سنة 1118م[1]. وعند حملة الأمير البرسقي على أنطاكية كان روجر قد طلب المساعدة من الملك بولدوين الأول وبولدوين كونت الرها، كما شارك بونز كونت طرابلس في ذلك الحلف الصليبي[2]، وقد بينت المعركة أن قوات الرها كانت هي التي بادرت بالهجوم، على قوات البرسقي[3].

من خلال ما يظهر لنا أن العلاقات الأنطاكية الرهاوية، قد تحسنت إلى حد ما في عهد بولدوين أف لو بورغ وروجر نتيجة المصاهرة، وكذا أن الإمارتين قد استقرتا نوعا ما في مناطق نفوذهما، كما نجد أن روجر قد إستنجد بالملك بولدوين وجوسلين كونت الرها وبونز أمير طرابلس، لرد الهجوم الإسلامي بقيادة إلغازي وطغتكين حاكم دمشق فأسرعوا لنجدته، ولكن النصر كان حليفاً للمسلمين[4]. ولقد توطدت العلاقات بين أنطاكية والرها، بصفة أقوى عند زواج جوسلين الأول بأخت روجر مارية السالرنية Maria of Salerno[5]، كما يظهر التعاون بين الإمارات الصليبية، حينما قام بولدوين الثاني الوصي على أنطاكية، وكونت الرها وكونت طرابلس لصد هجوم البرسقي على الإقطاعيات الشمالية(أعزاز)سنة 1125م/519هـ[6].

وعند مقتل البرسقي سنة 1126م/520هـ[7]، إنتهز هذه الفرصة كل من جوسلين وبوهمند الثاني لأخذ المدينة، وكان ذلك سنة 1127م/521هـ وبهذا تصادمت مصالح الأميرين[8]. ويبين وليم الصوري أن أسباب تلك الخصومة لم تكن معروفة[9]، ربما يرجع ذلك للأطماع الشخصية لكلٍّ من الأميرين، حيث أن جوسلين أف كورتينايJoscelin of Courtenay كان يطمع بالفوز بعرش المملكة، بينما زواج بوهمند الثاني من آليس ابنة الملك، يكون قد أضاع عليه تللك الفرصة[10]، حيث استمر جوسلين في عدائه لأنطاكية. ويقول وليم الصوري بشأن ذلك:" إستدعى جوسلين إليه عصابات من التركمان لمساعدته، وعاث وإياهم في أرض أنطاكية فساداً وأضرم النار فيها"، وبمساعي ملك بيت المقدس وبرنارد بطريك أنطاكية تم التوفيق بين الأميرين،كما أقسم

---

[1] علية عبد السميع ،المرجع السابق،ص.231.

[2] أنظر، Cahen,op.cit.,p.273 ؛Setton,op.cit.,Vol.I, p.404.

[3] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.2.ص.314.

[4] وليم الصوري ،المصدر السابق،ج.2،ص.348.

[5] عاشور،الحركة الصليبية،ج.1،ص.424؛ Setton,op.cit,Vol.I,p.418

[6] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.3، ص.46-49؛ Matthieu,op.cit.,p.315

[7] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9.ص.236 .

[8] علية عبد السميع الجنزوري،المرجع السابق،ص.233.

[9] وليم الصوري ،المصدر السابق،ج.3،ص.60.

[10] عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.531.

جوسلين يمين الطاعة لبوهمند[1]. وبقيت العلاقات على تلك الحالة من الهدوء إلى أن قُتِل بوهمند الثاني سنة1130م[2]، وقد حاولت أرملته أليس الإستيلاء على مقاليد الحكم في الإمارة وحرمان إبنتها من حقها الشرعي[3]، بل أنها حاولت الإتصال بعماد الدين زنكي أتابك حلب تُعرض عليه طاعتها مقابل أن يُقِرّها كأميرة على أنطاكية[4]، إلا أن بارونات أنطاكية إستعانوا بالملك بولدوين الثاني للقضاء على طموح أليس، حيث بادر الملك بالتدخل في شؤون الإمارة كونه جد الوريثة الشرعية كونستانس، إذ نجده يصدر مرسوما ينص بالوصاية على الطفلة الصغيرة وبذلك تولاها جوسلين أف كورتيناي[5].

وبموت بولدوين الثاني في شهر أوت 1131م حاولت أليس مرة أخرى، لكن الملك فولك Foulque منعها وتم اختيار ريموند بواتييه Raymond of Poitiers زوجا للأميرة كونستانس، والذي كان حينها في بلاط الملك هنري الأول ملك أنجلترا، ولما قدم إلى أنطاكية تمت مراسيم الزواج وأصبح أميرا على أنطاكية[6]. ويظهر التقارب بين الإمارتين،عندما انتقل ريموند بواتييه أمير أنطاكية لمساعدة ملك بيت المقدس،ضد عماد الدين زنكي سنة1137م، حيث ترك ريموند إمارته تحت حماية جوسلين الثاني وبولدوين حاكم مرعش[7]، كما يظهر تعاون الإمارتين مرة أخرى من خلال ما قام به الأميرين ريموند و جوسلين، عندما لم يظهرا رغبتهما في مساعدة الإمبراطور حنا كومنين(1118م-1143م) عند محاصرته لمدينة شيزر[8].

وعندما حاول الإمبراطور مرة أخرى استرجاع أنطاكية، كان جوسلين الثاني خير عون لها، مما أدى بإنسحاب حنا كومنين[9]، ويبدو أن جوسلين من خلال رد فعله تجاه الإمبراطور هو تخوفه من أن سقوط أنطاكية قد يمتد تأثيره إلى الرها[10]. ويبرز التوتر مرة أخرى بين الإمارتين، عندما قام جوسلين الثاني بإستقبال رالف Ralf بطريرك أنطاكية، ولهذا قام ريموند وطالب بعودة البطريرك فكان له ذلك[11]. من خلال سعي ريموند

---

[1] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3،ص.ص.60-61.

[2] أنظر، Setton,op.cit.,Vol.I,p.431.

[3] اسحاق عبيد ،المرجع السابق، ص.157.

[4] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.532؛ الصلابي محمد علي، الدولة الزنكية، دار المعرفة، بيروت،2007، ص.ص.115-116.

[5] أنظر، Setton,op.cit.,Vol.I,p.431.

[6] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3،ص.ص.126-127؛ اسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.ص.157-158.

[7] اسحاق عبيد، المرجع نفسه،ص.159.

[8] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3،ص.ص.161-163؛ رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.ص.250-251.

[9] وليم الصوري، المصدر نفسه، ج.3، ص.163-168؛Setton,op.cit.,Vol.I,p.440.

[10] علية الجنزوري، المرجع السابق، ص.238.

[11] بوصول ريموند إلى أنطاكية تمت مراسيم زواجه من الأميرة كونستانس، بحضور رالف بطريرك أنطاكية،حيث أقسم ريموند بالولاء =

في إسترجاع البطريرك، يبدو أنه كان متخوفا من تواطؤ جوسلين الثاني وإعطاء شرعية وراثة أنطاكية لروجر دوق أبوليا، خاصة وأن البطريرك تقابل مع هذا الأخير.

وفي 24 من ديسمبر من سنة 1144م/ 20جمادى الثانية سنة539هـ سقطت الرها في يد عماد الدين زنكي[1]، حينها كان العداء لا يزال مستحكماً بين الإمارتين[2]، وظهر ذلك من خلال إستنجاد جوسلين الثاني بريموند والملكة ميليزاند، فأعتذر الأول كونه مشغولا بالإمبراطور مانويل كومنين، بينما الملكة أرسلت المساعدة ولكنها جاءت متأخرة[3]، وبهذا ضاعت مناشدة جوسلين لريموند كونه سيده الأعلى، ورغم محاولة الكونت إسترجاع الرها سنة 1146م/541هـ رفض ريموند مرة أخرى المساعدة، نظراً لأن الحملة لم تكن منظمة[4].

أما من حيث العلاقات الدينية، فنجد أن التنظيم الكنسي بالمشرق يعترف بتبعية أراضي الرها وطرابلس لبطريركية أنطاكية[5]، ولهذا نجد قيام العلاقة بين الإمارتين ويظهر ذلك عندما إنتقل حنا مارديانا إلى مدينة كيسوم[6] ليتم اختياره بواسطة مجمعها الديني بطريركا يعقوبيا على أنطاكية، لكنه لم يستطع دخولها بسبب الحصار التركي لها، فعاد إلى تل باشر، حيث تمت مراسيم التنصيب بها وأصبح بطريركا لدير دوفار Dovair، أي أصبح خليفة للبطريرك أثناسيوس Athanasius وكان ذلك في 17فيفري 1130م، وبعد وفاة جوسلين الأول سنة 1131م، رفض الأنطاكيون والبطريرك اليعقوبي تولي جوسلين الثاني على أنطاكية. وهكذا تأرجحت العلاقات بين إمارتي أنطاكية والرها، بين العداء حينا والتوافق والتحالف أحياناً أخرى، زيادة عن العلاقات الدينية رغم أن الطابع العدائي هو الغالب[7]. وهذا بناءً على مايتم تحقيقه من مصالح خاصة، إذ نجد في حالة الخطر تتوحد جهود الإمارتين وسرعان ما تتوتر العلاقات إذا تعارضت المصالح.

=والطاعة له. لكن ما إن تمت المراسيم انقلب عليه واستغل خصومه في الكنيسة أمثال لامبرت وارنولف، حيث رحلا هذين الأخيرين إلى روما لرفع شكواهما إلى البابا، كما أجبر رالف على الإنتقال أيضا إلى روما وبتواطؤ أرنولف مع روجر دوق أبولي تم القبض على البطريرك رالف وسلبه كل ما يملك وبعد الحوار مع الدوق أطلق سراحه و واصل مسيره إلى روما ومنع من دخولها لمقابلة البابا إلا بعد تدخل الوسطاء. حيث تقابل مع البابا ثم قفل راجعا إلى أنطاكية، فلم يسمح له الأمير ريموند بدخولها. أنظر،وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3، ص.ص.185-193.

[1] أنظر، LAMonte,op.cit.,p.193-194; Setton,op.cit,Vol.I,pp.447,461.

[2] علية الجنزوري، المرجع السابق،ص.239

[3] أنظر، Setton,op.cit.,pp.193-194 .

[4] رانسيمان،المرجع السابق،ج.2 ،ص.ص.272- 273، 277.

[5] المرجع نفسه،ج.2،ص.ص.359-360 .

[6] من أعمال سميساط، أنظر، الحموي ياقوت، المصدر السابق،مج.4،ص.497.

[7] علية الجنزوري، المرجع السابق،ص.ص.235-240.

3- علاقة إمارة أنطاكية بإمارة طرابلس الصليبية :

يرجع بنا ذلك إلى علاقة بوهمند بريموند أثناء قدوم الحملة الصليبية الأولى، إذ لم تكن العلاقة على مايرام ويظهر ذلك من خلال ما سعى إليه بوهمند وتقربه من الإمبراطور، حيث بينت أنّا كومنينا Anna Comnena أن والدها راح يُطمئن الكونت ريموند وأنهما سيقفان ضده في حاله نقضه ليمينه، ولكن ريموند رد عليه بشأن عدم إخلاص بوهمند، إذ قال" لقد اكتسب بوهمند شهادة الزور والخيانة كنوع من تراث أجداده، ويكون معجزة إذا أبقى يمينه، ومع ذلك سوف أسعى بقدر مايكمن لي في تنفيذ أوامرك"[1].

ومن خلال موقف الكونت من تصرفات بوهمند أثناء سقوط مدينة أنطاكية، يظهر وكأنه حليفا للإمبراطور الكسيوس وحَمْل بوهمند على الإلتزام بمعاهدة القسطنطينية 1097م/490هـ[2]، وأثناء توسع بوهمند وغزوه لميناء اللاّذقية سنة 1099م/492هـ، وقيام ريموند برد فعل تجاه ذلك يظهر تمسكه بوعده للامبراطور[3]، وبهذا فشل بوهمند في هجومه هذا رغم أن الأسطول البيزاوي كان لجانبه[4]. واستمر العداء بين بوهمند وريموند فوجد، هذا الأخير في الإمبراطور خير عون له، فسعى في خدمة سياسة الإمبراطورية وتحقيق أهدافها في بلاد الشام والمناداة بحقوقها في أنطاكية،كما أنه أراد من تحالفة مع بيزنطة تحقيق أطماعه وإقامة إمارة خاصة به في المنطقة.

وفي سنة 1100م رحل الكونت ريموند بإتجاه القسطنطينية، لعله يجد حلا مع ألكسيوس ضد بوهمند[5]، استقبلة الكسيوس بحفاوة كبيرة نظراً للعمل الذي قام به في الشام، ووقوفه في وجه القائد النورماني والتزامه بولائه للإمبراطور[6]. خلال ذلك كان بوهمند قد وقع أسيراً في يد الأتراك الدانشمنديين بالأناضول سنة 1100م-1103م/493هـ-496هـ[7]، فقام تانكريد الوصي على أنطاكية بالإستيلاء على اللاذقية[8]، وعند عودة الكونت الكونت ريموند إلى بلاد الشام وقع في يد تانكريد حيث إعتقله[9] في قلعة أنطاكية، كما إتهمه بخيانة الصليبيين والتواطؤ مع البيزنطيين ضدهم، وتحت ضغط الأمراء الصليبيين تم إطلاق سراحه، بشرط تعهده بالتنازل عن

---

[1] أنظر، Anna Comnena,op.cit.,X,p.190 .

[2] عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.ص.213-214.

[3] أنظر، Albert D'Aix,op.cit.,T.I,p.382-383؛ عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.269.

[4] حسين عطية،المرجع السابق،ص.125 حاشية (94).

[5] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.ص.344-345.

[6] أنظر، Anna Comnena,op.cit.,XI,p.204.

[7] ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.509.

[8] أنظر، Raoul De Caen,op.cit.,p.273-275.

[9] أنظر، Matthieu d'Edesse,op.cit.,pp.241-242.

إدعاءاته في أنطاكية واللاذقية، لذا فكر الكونت في تأسيس إمارته، بدلاً من تقويض أركان إمارة أنطاكية والتخلي عن محالفة الإمبراطورية، لأن ذلك جلب له المتاعب وأساء إلى سمعته كقائد صليبي[1]، ومما لاشك فيه أن هذه الاتفاقية وضعت حداً للتنافس بين النورمان وأبناء بروفانس، كما ضمنت لأنطاكية اعترافا آخر بوجودها، مما أدى إلى تثبيت أركانها[2].

وهكذا واصل الكونت ريموند نشاطه بالمنطقة جنوب أنطاكية، إلى أن وافته المنية في شهر فيفري من سنة1105م، فخلفه ابن أخته وليام جوردان وما لبث أن جاء ابنه برتراند Bertrand من الغرب ليطالب بميراث أبيه[3]، وبهذا تجدد الصراع بينه وبين تانكريد الوصي على الإمارة، حيث رأى تانكريد في هذا الوافد الجديد خير عون له ضد البيزنطينن، لكن ذلك لم يتم مما أدى إلى توتر العلاقة بينهما[4]، لقد وجد أمير أنطاكية في وليم جوردان خير وسيلة للحد من نشاط برتراند خاصة وأن جوردان كان يطالب بحقه في طرابلس كونه بذل جهداً في توسيع نفوذها، ولهذا تدخل ملك بيت المقدس بولدوين الأول لحل النزاع، حيث أصبحت الجهة الجنوبية لبرتراند تابعا للملك في حين أخذ جوردان الشمال تابعا لتانكريد[5]. ورغم ذلك إجتمع الملك بولدوين وتانكريد وبرتراند لنصرة الرها"وتعاهدوا وتعاقدوا على الثبات في الحرب" وكان ذلك سنة 1110م/503ه[6]،كما وقف هذا الأخير مرة أخرى مع الصليبيين ضد شيزر في سنة 1111م/504ه[7]، ومن خلال ذلك يظهر أن وحدتهم تتحقق عند بروز الخطر الإسلامي، الذي يهددهم جميعا.

ويروي ابن القلانسي:"وفي الثاني من شعبان من عام 505ه/1111م، ورد الخبر بهلاك بدران بن صنجيل صاحب طرابلس بعِلّةٍ أصابته، وأقام ابنه(بونز) في الأمر من بعده، وهو طفل صغير كفله أصحابه ودبروا أمره مع تانكريد صاحب أنطاكية، وجعلوه من خيله وأقطعه أنطرسوس وصافيتا ومرقية وحصن الأكراد"[8]، بمعنى أنَّ بونز

---

[1] عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.ص.353-354.

[2] المرجع نفسه، ج.1، ص.354.

[3] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.2،ص.259-260.

[4] أنظر، Albert D'Aix,op.cit.,T.II,p.143-145 ; Cahen,op.cit.,p.245.

[5] أنظر، Cahen,op.cit.,p.246 .

[6] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.169.

[7] اتفق طغتكين أتابك دمشق والأمير مودود بمهاجمة الصليبيين في شيزر، حيث هزموا تانكريد الذي إنسحب وإستنجد ببولدوين وأميري الرها وطرابلس، فتجمعت هذه القوات أمام مدينة أفامية لمواجهة القوات الإسلامية،أنظر، Setton,op.cit.,Vol. I ,p.400 ؛ رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.ص.153-154.

[8] ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.181.

أصبح فصَلاً لتانكريد من خلال هذه الإقطاعات[1]، ويظهر ذلك أكثر عندما قام تانكريد عند إحتضاره بأن خطب زوجته سيسيليا Cécilia للكونت بونز في حضور والده برتراند ليُبيِّن مدى وده[2].

وفي عهد بوهمند الثالث يظهر إرتباط أنطاكية وطرابلس مرة أخرى، عندما إشترك ريموند الثالث بجيوشه مع أنطاكية ضد نور الدين محمود في معركة الكرك(1163م/558هـ)، ثم في حارم(1164م/559هـ)[3]،كما أن بوهمند وقف إلى جانب ريموند الثالث أمير طرابلس، في خلافه مع خصومه في مملكة بيت المقدس، في ما يخص الوصاية على الطفل الصغير بولدوين الخامس، وعندما إتفق الصليبيون على خوض المعركة ضد صلاح الدين في حطين توعد بوهمند الثالث بإرسال كتيبة تحت قيادة بولدوين أمير أبيلين، كما أرسل ابنه ريموند الثالث لينضم إلى كونت طرابلس[4]. وعلى إثر الكارثة التي ألمت بالإفرنج في معركة حطين1187م /583هـ على يد صلاح الدين، الدين، لم يقو ريموند على تحملها وتوفي بعدها، وبما أنه لم يكن له وريث كان قد ترك وصية يحث فيها بوهمند الثالث أمير أنطاكية، على تولية ابنه الأكبر ريموند الثالث-بصفته قريبه- عرش طرابلس، لكن ذلك لم تسمح به ظروف أنطاكية آنذاك، لذا قام بوهمند بإرسال ابنه الأصغر بوهمند الرابعBohemond IV(1187م-1233م)، وبهذا أصبحت إمارة طرابلس بحوزة البيت النورماني[5]. وبعقد بوهمند الثالث الهدنة مع صلاح الدين في بيروت في30 من أكتوبر1192م/21 من شهر شوال 588هـ، والتي تشمل أنطاكية وطرابلس أصبح ذلك بمثابة بداية الإرتباط بين الإمارتين[6].

وبعد حدوث المشكلة حول عرش أنطاكية[7]، أخذ بوهمند الرابع يعد العدة لأخذ حقه الشرعي، إذ نجده

---

[1] أنظر، Cahen,op.cit.,p.256 .

[2] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.2،ص.299؛ رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.156.

[3] كان تعداد جيش طرابلس ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ريموند الثالث والتي أُسِر فيها مع بوهمند الثالث والقائد البيزنطي كولومان قائد القوات البيزنطية الحليفة،أنظر،ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.462-463؛رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.ص.425-427.

[4] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2، ص.ص.508-509، 513.

[5] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.ص.526-527؛ نهى فتحي الجوهري، المرجع السابق، ص.ص.55، 60.

[6] نهى فتحي الجوهري،المرجع نفسه، ص.ص.60-61.

[7] تعود جذورها إلى عهد بوهمند الثالث(1164م-1201م)،حيث أن زوجته تآمرت ضده مع ليون الأول ملك أرمينيا، وبهذا وقع أسيراً في يد الملك الأرميني الذي أخذه إلى العاصمة سيس، وبوساطة ملك بيت المقدس تم إطلاق سراحه مقابل التنازل عن بعض المناطق، وضمانا لذلك تم زواج ابنه ريموند الثالث ولي عهده من أليس ابنة روبن الثالث أخ الملك الأرميني وقبل وفاة بوهمند كان وإن اعترف لحفيده ريموند روبن بولاية العرش بأنطاكية، وبوفاة ريموند الثالث قام بوهمند الثالث بنقل ريموند روبن وأمه إلى أرمينيا خوفاً حياتهما من ابنه أمير طرابلس بوهمند الرابع، أنظر، بوعمامة فاطمة، العلاقات الخارجية لمملكة أرمينيا الصغرى منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حتى سنة1375م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى(غير منشورة)، إشراف، د.إبراهيم فخار، جامعة الجزائر معهد التاريخ، السنة الجامعية(1993-1994/ 1414-1415هـ)، ص.84-87.

يتحالف مع التنظيمات الدينية العسكرية، كهيئتي الداوية Templars[1] والأسبتارية Hospitalers[2]، ومع حاكم حلب، وكان ذلك ردعا لملك أرمينيا الذي تخلى عن هجومه العسكري. وبإعتراف نبلاء أنطاكية وعودة بوهمند الثالث إلى إمارته، بعدما اتضح له نوايا ملك أرمينيا التوسعية مدعّما ابنه ضد ليون الأول،كل ذلك أصبح يؤهل بوهمند الرابع بأن يكون وريثا شرعيا لأنطاكية. وبوفاة والده سنة1201م دخلها للجلوس على عرش الإمارة[3]، وهكذا ولأول مرة خلال فترة الحروب الصليبية توحدت الإمارتين تحت قيادة واحدة، وبهذا أصبحت إمارة طرابلس الداعم الرئيسي لبوهمند الرابع في صراعه مع الأرمن، ومرجع ذلك أن أنطاكية في تلك الفترة كانت تعاني من ضعفها الإقتصادي، إضافة إلى أن سيادة بوهمند لم تكن كاملة أومستمرة عليها.

وهكذا وبعد صراعٍ دام حوالي عقدين من الزمن، استطاع بوهمند الرابع أن يوحد عرش الإمارتين تحت حكمه وبصفة نهائية في سنة 1219م/616هـ[4]، بمعنى أن ذلك الصراع كان يقرب إمارة أنطاكية شيئا فشيئا من نهايتها في بلاد الشام خاصة ونهاية الوجود الصليبي بصفة عامة. وفي سنة 1233م توفي بوهمند الرابع[5]، فخلفه

---

[1] أول نظم الرهبنة العسكرية تأسس في القدس حوالى سنة1120م أخذ اسمه من معبد سليمان عليه السلام حسب ما أسماه الصليبيون فرسان المعبد. مهمته حماية الحجاج والمسافرين المسيحيين في الأراضي المقدسة، ولكنه تحول إلى جماعة عسكرية ضد المسلمين ، أنظر، فوري ألآن، النظم الرهبانية العسكرية 1120م-1512م في رايلي سميث، تاريخ اكسفورد للحروب الصليبية، ص.275؛

للمزيدعن هذا التنظيم.أنظر، Malcolm Barber,The Order of Temple in An Encycopedia of The Crusades,Oxford,England,2006,Vol.,4,pp.1149-1157; Newman Sharan,The Real History Behind the Templars,Berkley Books,New York,U.S.A.,2007,pp.3-9; Boas Adrian(J),Jerusalem in the Time of the Crusades,Routledge, London and New York,2005,pp27-28؛ عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.ص.486-487.

[2] تعود نشأته إلى حوالى سنة 1080م حيث قام التجار الأمالفيين بإقامة دير في بيت المقدس بموافقة الحاكم الفاطمي، كما ظهر بجواره مستشفى لرعاية مصالح الحجاج المسيحيين ،أُطلق عليهم فيما بعد (فرسان يوحنا وفرسان رودس وفرسان مالطة) تحولتهي الأخرى إلى جماعة عسكرية ضد المسلمين ،أنظر، نبيلة مقامي إبراهيم، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام جامعة القاهرة، القاهرة،1994،ص.11-15؛للمزيد عن هذا التنظيم. أنظر، Delaville Le Roulx(J),Les Hospitaliers En Terre Saint Et A Chypre 1100-1310,p.134,Paris,pp.11-13; Boas Adrian,op.cit.,pp.26-27; Edgington Susan,The Order of Hospital In An Encyclopedia of Crusades,Vol.,2,pp.598-606؛ عاشور،الحركة الصليبية، ج.1، ص.ص.486-487 ؛ عطية سوريال ، العلاقات بين الشرق والغرب تجارية ثقافية صليبية، ترجمة، فيليب صابر سيف، دار الثقافة،القاهرة، 1972، ص.ص.55-56.

[3] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص.ص.87-88.

[4] نهى فتحي، المرجع السابق،ص.ص.62، 68-69، 72.

[5] أنظر، Cahen,op.cit.,p.644 .

ابنه بوهمند الخامس(1233م-1251م)[1]، دخل هو الآخر في صراع مع الأرمن والأسبتارية ومع صاحب حماه[2]، ولم يكن هذا الأمير على غرار أبيه أميراً قويا، بل كان ضعيفا تميزت سياسته بالمهادنة، استطاع أن يحافظ على إمارتيه، غير أن استقرار حكام البيت النورماني في طرابلس، وتراخي قبضتهم على أنطاكية لم يكن أثره السلبي على أنطاكية فحسب، بل على طرابلس نفسها[3]. وعند وفاة هذا الأمير سنة 1251م تولى عرش إمارتي أنطاكية- طرابلس ابنه بوهمند السادس[4] والذي كان لا يزال قاصراً، وبهذا تولت أمه لوسي Lucy الوصاية عليه[5]، ولكنها كانت مقيمة في طرابلس وأهملت واجبها في أنطاكية، مما جعل الإمارة عرضة للنزاعات السياسية والمذهبية والعرقية خاصة بين العنصر البيزنطي الأرثوذكسي من جهة، والمستوطنين الصليبيين الكاثوليك من جهة أخرى[6].

ونتيجة لما آل إليه الوضع في أنطاكية، قام بوهمند السادس يطلب مساعدة لويس التاسع، أثناء تواجده في المشرق لرفع وصاية أمه عليه، كما أنه يطلبها لمساعدته بالمال والرجال لمواجهة تلك المخاطر في إمارته[7]، وفي الوقت نفسه أيد البابا إنوسنت الرابعInnocent IV (1243م-1254م) الملك لويس في مسعاه، كما أرسل إلى بطريك أنطاكية وأسقف طرابلس يحثهما على مساعدة بوهمند السادس في فترة إنتقال الحكم إليه[8]. وبهذا وبهذا حُظيت إمارة أنطاكية بسلطان أميرها ليتولى شؤونها ويدفع عنها خطر أعدائها[9]، إضافة إلى أن مساندة لويس التاسع لبوهمند لم تتوقف عند إقراره بالإمارة، بل تعداه لتسوية الخلافات القائمة بين إمارتي أنطاكية – طرابلس من جهة وأرمينيا من جهة أخرى[10]. وساد خلال ذلك فترة هدوء نسبي، ولكن سرعان ما إندلعت الحرب بين

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي،دار الفكر العربي،مصر،د.ط، ص.275.

[2] عاشور،المرجع السابق، ج.2،ص.1025.

[3] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.ص.78، 83-84.

[4] أنظر، Joinville,Histoire De Saint Louis, Traduction de Natalis De Wailly,Hachette,Paris, 1888,p.219,Marge,(2).

[5] أنظر، Ibid.,p.219.

[6] عاشور، الحركة الصليبية، ج.2،ص.1096.

[7] أنظر، Joinville ,op.cit.,pp.219-220.

[8] جوزيف نسيم يوسف،العدوان الصليبي على بلاد الشام –هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة-دار الكتب الجامعية،مصر،ط.3، 1971، ص.ص.309.

[9] حسين عطية ، المرجع السابق، ص.391.

[10] نهى فتحي،المرجع السابق،ص.86.

الصليبيين، إذ تشكلت جبهتان البيازنة والبنادقة والبولان Poulainz[1] من جهة، والجنوية والأسبان وفرسان يوحنا من جهة أخرى[2]، وإمتد تأثيرها إلى إمارة أنطاكية –طرابلس بحكم تداخل العلاقات الإقطاعية، كما أن إستئثار لوسي الإيطالية بمناصب مرموقة لأهلها في طرابلس، قد أسخط البارونات عليها[3]. وهكذا إلى أن ظهرت قوة جديدة أَثْرَت بأحداثها ساحة المشرق الإسلامي، ففي أوائل محرم 655هـ/1257-1258م سارت القوات المغولية بقيادة هولاكو(1217م-1265م) وحاصرت بغداد، وبعد ستة أيام سقطت عاصمة الخلافة العباسية، وشهدت المدينة مذبحة مروعة[4]، وبهذا إغتر بوهمند السادس أمير أنطاكية وطرابلس بهذه القوة، التي رأى فيها خير عون للصليبيين خاصة إمارتيه، ولكن ذلك لم يجلب له سوى عزم المماليك بقيادة الظاهر بيبرس على تقويض ملكه، وإنهائه إلى الأبد في إمارة أنطاكية[5].

أما من حيث العلاقات الدينية، فنرى بأن أراضي طرابلس تابعة لبطريك أنطاكية، ورغم محاولة الكونت ريموند الفوز بكنيسة مستقلة في كونتيته التي سينشئها، إلا أن خلفاءه سلّموا بالسيادة الكنسية لأنطاكية[6]، إذ نجد أسقفيات طرابلس وجبيل وأنطرسوس ورفنية تابعة لبطريركية أنطاكية، رغم أن البابوية قد سلمت بتبعية هذه الأسقفيات لبطريركية بيت المقدس[7]. ولقد قام بطريرك أنطاكية بتسوية الخلافات بين تانكرد وريموند الصنجيلي سنة1102م، وبين تانكرد وبولدوين كونت الرها سنة 1108م، وأيضا تانكريد وبرتراند سنة1109م، وفي ما بعد بين بوهمند الثاني وجوسلين، كما نظم كنيستها وحاول مد حدودها إلى ما كانت عليه في العهد البيزنطي، بمعنى أنها تجاوزت حدود الإمارة[8]. أما في ما يخص العلاقات الإقتصادية، فقد كانت منتجات أنطاكية تصدر إلى

---

[1] الأطفال المولودين من زواج الفرنج بمسيحي الأراضي المقدسة ببلاد الشام ،أنظر، مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ إلى روثلان 1229-1261م،ت. أسامة زكي زيد ،دار المصطفى للطباعة والكومبيوتر،طنطا، مصر،ط.2، ص.233، حاشية (2)؛ للمزيد عن صور التفاعل بين الصليبيين والمسيحيين الشرقيين. أنظر، عاشور،الحركة الصليبية،ج.1،ص.493.

[2] مجهول،المصدر السابق،ص.233.

[3] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.ص.86-88.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي،دار الفكر العربي،القاهرة،1999،ص.ص.200-201.

[5] نهى فتحي،المرجع السابق،ص.93.

[6] رانسيمان،المرجع السابق،ج.2،ص.ص.359-360.

[7] عبد العزيز سالم،طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر،الإسكندرية،د.ط، ص.210.

[8] أنظر، Cahen,op.cit.,pp. 314-315.

طرابلس ومنها الحنطة والشعير والزيتون، غير أن التعامل التجاري للإمارات الصليبية كان يظهر بشكل أكبر مع المسلمين[1] .

4- علاقة إمارة أنطاكية بمملكة أرمينيا الصغرى :

لقد لعب العنصر الأرميني دوراً فعالا في تقديم المساعدات، أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى باتجاه الشام، لذا نجد أنه من الضروري قيام علاقات بين الصليبيين والأرمن، خاصة في الجهات المتاخمة للأناضول، حيث يتمركز هذا العنصر.

ويقول المؤرخ سعيد عبد الفتاح عاشور:" وهكذا وقف المسيحيون الأرمن على مشارف الشام، ليفتحوا أبواب الوطن العربي في الشرق الأدنى أمام الصليبيين"[2]، وتظهر أولى المحاولات للتعاطف مع الأرمن خاصة في أنطاكية، إذ قام الأمير ريموند بواتييه(1136م-1149م) بإسقبال ثوروس الثاني Thoros II(1141م-1169م)، الذي كان قد سُجِن مع والده ليون سنة 1137م في القسطنطينية، وبهذا تمكن من الوصول إلى قيليقية وإعتلاء عرش والده، وأن يرتبط بعلاقات مع إمارة أنطاكية[3]، غير أنه بوصول رينالد دي شاتيلون إلى حكم أنطاكية قام بمهاجمة ثوروس ترضية لأوامر الإمبراطور مانويل، لكن المال الذي وعده به لم يصله فقام بمهاجمة جزيرة قبرص[4]، وقد إشترك معه في الهجوم على الجزيرة ثوروس سنة 1156م[5].ويظهر تحالف الأرمن مع الإمارة، في حربها ضد نور الدين محمود، حيث ضم هذا الحلف القوات الأنطاكية والبيزنطية والأرمينية، وكان ذلك في معركة حارم 1163م /559هـ[6].

وأثناء إعتقال القائد البيزنطي إسحاق كومنين من طرف روبينRupen الأرميني، توسط بوهمند الثالث وتم إطلاق سراحه، ولما لم يتلق روبين المال المقابل لذلك قام بمهاجمة الأملاك البيزنطية، لذا قام بوهمند كونه نائبا للسلطة البيزنطية العاجزة هناك بإستدعاء روبين سنة1185م مريدا بذلك التفاهم معه، لكنه غدر به واعتقله وهذا ماجعل أخيه ليون الثانيLeon II يدفع فديته ويتنازل عن بعض المناطق لبوهمند. وما إن عاد روبين إلى

---

[1] عبد العزير محمود عبد الدايم، إمارة طرابلس الصليبية في القرن12م،رسالة ماجستير غير منشورة،إشراف سعيد عبد الفتاح عاشور،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة،1971،ص.149.

[2] عاشور،الحركة الصليبية،ج.1،ص.ص.179-181.

[3] بوعمامة فاطمة ،المرجع السابق،ص.25.

[4] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.3،ص.ص.401-402.

[5] ماير ،المرجع السابق،ج.1،ص.163.

[6] محمد مؤنس أحمد عوض، السياسة الخارجية للدولة النورية(في الصراع الإسلامي الصليبي)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998، ص.175.

قليقية حتى إستعاد كل شيء، ورغم رد فعل بوهمند الهجومي، إلا أنه لم يتمكن من إسترجاع ما كان بحوزته. ويظهر التقارب مرة أخرى بزواج ليون الثاني(1187م-1219م) خليفة روبين الثالث، من شقيقة سبيلا زوجة بوهمند[1]، حيث كان ليون الثاني يأمل في مساعدة الغرب ليتوَّج ملكاً على أرمينيا الصغرى، وفعلا تمت موافقة الكنيسة الغربية على ذلك مقابل ما قدمه من مساعدات للحملة الصليبية الثالثة، كما تم وضع شرط وهو ممارسة طقوس الكنيسة الكاثوليكية، وتم تتويجه ملكا في 6جانفي 1199م وأخذ لقب ليون الأول[2]، وبهذا يكون لإفرنج الشام دعما آخر ضد المسلمين وحتى الإمبراطورية البيزنطية.

وبظهور أرمينيا في المنطقة بثوبها الملكي، طغت على الساحة آنذاك ما يعرف بمشكلة أنطاكية، والتي دامت من سنة1206م إلى 1219م، حيث تعود جذورها الأولى إلى فترة حكم بوهمند الثالث(1164م-1201م)[3]، إذ لم تكن لهذا الأمير المقدرة السياسية ولا الحربية، التي تمكنه من مواجهة التقلبات السياسية آنذاك[4]، إذ نجد تواطؤ زوجته مع ليون ملك أرمينيا، وبهذا بدأ يسعى هذا الأخير للإستيلاء على الإمارة وضمها إلى مملكته، حيث تمكن من إلقاء القبض على بوهمند الثالث في نواحي قلعة بغراس سنة1193م، وكان ذلك نتيجة دعوة ليون الأول لبوهمند لحضور حفل تكريمي بأرمينيا الصغرى، ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد موافقته على التنازل عن أنطاكية، لكن أهالي أنطاكية خصوصا النبلاء لم يرضوا بذلك، حيث استنجد البطريرك إيمري Aimery وولي العهد ريموند الثالث بملك بيت المقدس هنري أف شامباني Henry of Champagne، وتم حل المسألة سلميا. ولتثبيت ذلك تم زواج ريموند الثالث بآليس Alice ابنة روبن الثالث أخ الملك ليون الأول[5]، وهذا ضمانا لتوثيق الروابط بين أنطاكية وأرمينيا وكان ذلك سنة 1195م[6]. وبعد وفاة ريموند الثالث الوريث الشرعي لأنطاكية، الذي كان أبوه قد إعترف له بإبنه ريموند روبن وريثا وكان ذلك سنة 1198م، دون ذكر بوهمند الرابع أمير طرابلس، الذي كان يطمح هو الآخر في وراثة العرش كونه الإبن الأصغر لبوهمند الثالث، ومن حقه أن يرث ولهذا نراه يرفض ذلك[7].

[1] حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.204-206.
[2] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق،ص.63-67؛ أنظرأيضا، حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.239-240.
[3] بوعمامة فاطمة،المرجع نفسه، ص.84.
[4] محمد مؤنس أحمد عوض، المرجع السابق،ص.177.
[5] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق ،ص. 84-86؛ أنظر أيضا، حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.237-239.
[6] عاشور،الحركة الصليبية،ج.2، ص.908.
[7] أنظر، Cahen,op.cit.,p.591 .

من خلال ما ظهر على الساحة من خلاف، قام بوهمند الثالث بنقل ريموند روبن وأمه إلى أرمينيا الصغرى خوفا على حياتهما من انتقام بوهمند الرابع[1]، وأصبح بمقدرة هذا الأخير الإستعانة بالداوية والأسبتارية ليضمن لنفسه حليفا ضد خصمه، بل نجده أيضا قد تحالف مع المسلمين في حلب[2]، وبهذا تداخلت عدة قوى سياسية وعسكرية في مسألة أنطاكية، لذا لم يجد ليون الأول بداً من المضي في سياسته العدائية ضد بوهمند الرابع، في حين لقي هذا الأخير تأييداً من النبلاء في أنطاكية رغم أن غالبيتهم من أصل بيزنطي، ولما أدرك بوهمند الثالث نوايا ليون الأول التوسعية على حساب إمارته عاد إلى أنطاكية، مدعما ابنه في موقفه تجاه الملك الأرميني[3]، وبهذا أصبح موقف بوهمند أمير طرابلس أقوى من ذي قبل وبإمكانه أن يرث عرش أبيه بأنطاكية. وحين وفاة والده سنة 1201م أتيحت له الفرصة بتولي العرش فيها[4]، حيث استقبله شعبها معترفين به دفاعا عن حضارة اللاتين وكنيستهم[5].

وأثناء ذلك تحرك الملك الأرميني ليون الأول، لإسترجاع حقوق ريموند روبن في أنطاكية وشكلت أطراف الصراع جبهين، حيث ساندت الداوية والملك الظاهر صاحب حلب بوهمند الرابع، في حين وقفت الأسبتارية إلى جانب ليون الأول[6]، والكل كان يسعى لتحقيق مآربه الخاصة. وبتولي بوهمند الرابع على إمارة أنطاكية لم يرض ليون بذلك خاصة وله طموحاته في المنطقة، لذلك أعد العدة وتجهز لخوض غمار المعركة مع خصمة مستندا لشرعية ريموند روبن في حكمها مدعوما من غالبية النبلاء[7]، ولكنه تراجع عن ذلك نتيجة تحرك القوات الإسلامية في حلب بإتجاه حارم. ويقول ابن واصل:"وفي السابع والعشرين من ربيع الأول في هذه السنة 600هـ/1203م نازل ابن لاون ملك الأرمن أنطاكية، وجدَّ في حصارها والتضييق عليها فخرج الملك الظاهر من حلب، وإتصل ذلك بابن لاون فرحل عن أنطاكية. ومرة أخرى راسل أهل أنطاكية ليون الأول ووعدوه بتمليك المدينة، فسار بإتجاهها ودخلها لكن سرعان ما إنجلى عنها عندما علم بقدوم الملك الظاهر"[8].

---

[1] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق،ص.87.

[2] أنظر، Cahen,op.cit.,pp.592-593.

[3] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق،ص.87-88.

[4] أنظر، Stevenson,op.cit.,pp.298-299 .

[5] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق،ص.88؛ للمزيد أنظر أيضا، حسين عطية،المرجع السابق،ص.255.

[6] أنظر، Stevenson,op.cit.,p.299.

[7] أنظر، Cahen,op.cit.,pp.594-595 .

[8] ابن واصل، المصدر السابق، ج.3،ص.ص.154-155.

من خلال ذلك يتضح أن المسلمين في حلب كانوا حلفاء لأنطاكية، والذين يخشون توسع نفوذ الأرمن في المنطقة، ولهذا تراهم يهُبُّون على جناح السرعة لنجدتها، وبالتالي أصبح بوهمند الرابع يُحظى بحماية المسلمين، أي أن الملك الأرميني أصبح في صراع مع مسلمي حلب[1]. وبحلول سنة 602هـ/1205م أغار ليون الأول على ولاية حلب"فنهب وحرق وأسر وسبى"، فخرج الملك الظاهر غازي لملاقاته وطلب المعونة من غيره من الملوك، والتقى الفريقان قرب حصن دربساك ودار بينهم الإقتتال، ولكن الغلبة كانت للأرمن حيث غنموا وعادوا إلى بلادهم[2]. ونتيجة لأعمال ليون التوسعية في المنطقة وعلاقاته السيئة مع أنطاكية والبيزنطيين، فضل عقد صلح مع الملك الظاهر غازي، بأن يعيد كل مانهبه أثناء غارته على حلب وأن يصرف نظره عن أنطاكية[3].

ومن خلال ماقام به بوهمند الرابع بتعيين بطريرك يوناني سيميون الثاني Symeon II سنة 1206م على كنيسة أنطاكية، يكون بذلك قد ضرب بحقوق اللاتين في المدينة، كما أنه بفعله هذا سيجعل التقارب أكثر بين الأرمن والبابوية. وفي ظل الصراع المتزايد استاء البابا إينوسنت الثالث لذلك، وعهد التسوية إلى بطريرك القدس وفي سنة 1208م قام الملك ليون بتخريب ضواحي أنطاكية، واستعان بوهمند بالسلاجقة ضد الأرمن، ولذلك قام البابا بمناشدة الظاهر صاحب حلب بإنقاذ انطاكية من اليونانيين. أثناء ذلك قام بوهمند الرابع بقبول بطريرك لاتيني جديد في أنطاكية بطرس أف لوسيديو، وبهذا تناسى ليون ولاءه لروما وتقرب من اليونانيين[4]، أي أن المصالح الشخصية كانت تتحكم في إقامة العلاقات، بين مختلف الأطراف الفاعلة بالمنطقة.

وعندما تقرب بوهمند الرابع مرة أخرى من البيزنطيين، رأت فرقة الأسبتارية بأن ذلك له تأثيره على مصالح المسيحيين الكاثوليك في الشرق[5]، وفي ظل ذلك الجو المشحون بالتوتر، قام البابا أنوسنت الثالث بتحذير بوهمند الرابع وحثه على عزل البطريرك البيزنطي، مهددا إياه بالحرمان الكنسي، كما قام البطريرك بطرس ديغولين بأنطاكية يحث الفرسان والنبلاء على الثورة ضد بوهمند الرابع(1207-1208) مستعينا بالأسبتارية، وبهذا تمكن ملك أرمينيا الصغرى من دخول أنطاكية، وبمساعدة البطريرك تم تنصيب حفيده ريموند روبن أميراً عليها، لكن بوهمند لم يستسلم، إذ نجده يشن هجوما على أنطاكية بمساعدة الملك الظاهر، لذلك رأى ليون الأول وحفيده أن خير حل هو الإنسحاب من أنطاكية[6].

---

[1] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق،ص.89.

[2] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.10،ص.319-320.

[3] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق،ص.ص.89-90.

[4] رانسيمان، المرجع السابق ،ج.3،ص.ص.183-184.

[5] أنظر، Delaville Le Roulx(J), op.cit.,p.134.

[6] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص.ص.91-92.

ولقد استمرت مشكلة أنطاكية رغم هدوءها النسبي، وبحلول سنة1213م اغتال الحشاشون ريموند ابن بوهمند الرابع البالغ من العمر18سنة في كاتدرائية طرطوس، ويبدو أن هذه الطائفة كانت تلقى تأييدا من فرقة الأسبتارية فأغتاظ بوهمند لذلك وسار لحصارهم في حصن الخوابي طالبا يد المساعدة من الداوية، لكن الحشاشين استنجدوا بالملك الظاهر، مما أدى ببوهمند إلى رفع الحصار معتذرا لهذا الأخير، إدراكا منه أن حلب قوة تحفظ التوازن بين أنطاكية والأرمن في هذا الظرف.

وفي سنة 1216م دبر ليون الأول حيلة لاشك أن البطريرك كان فيها عنصرا فاعلا، حيث تمكن ليون من الإستيلاء على المدينة دون قتال، حينها كان بوهمند في طرابلس وتم تنصيب حفيده أميرا عليها، وتنازل للداوية عن قلعة بغراس وأعاد للكنيسة اللاتينية أراضيها في قيليقيا[1]، ولكن سرعان ما ساءت العلاقة بين ريموند روبن وليون الأول، كما أنه فشل في مواجهة بعض المشاكل الداخلية كإفلاس الخزينة واستياء الشعب والنبلاء من سياسته، فتحين بوهمند الرابع هذه الظروف واسترجع عرش أنطاكية في شهر مارس1219م، وبقي أميراً عليها إلى غاية وفاته سنة 1233م. ولقد ترتب عن نزاع أنطاكية وأرمينيا الصغرى نتائج بعيدة الأثر، فداخليا جعلت بوهمند يوحد الإمارتين سياسيا،كما أنها عكرت صفو العلاقات السياسية والإجتماعية بين الصليبيين والأرمن والبيزنطيين والهيئات الدينية، وأما خارجيا وجدت أرمينيا الصغرى نفسها وحيدة في ظل المد الإسلامي المتزايد[2].

تولى بوهمند الخامس عرش أبيه في أنطاكية-طرابلس (1233م-1251م) وعلاقته بالأرمن يشوبها كثير من التوتر، لاسيما أن الأرمن كانوا قد قتلوا أخيه فيليب[3] زوج ايزابيلا وريثة تاج أرمينيا، حيث كسب ود الداوية المعادية للأسرة الحاكمة في أرمينيا وقرر الزحف عليها، غير أن ملك أرمينيا قسطنطين كان أكثر حنكة وذكاءً فأستمال الداوية إليه، فتخلوا بدورهم عن بوهمند ولذلك تراجع عن حملته[4]، واستمر العداء بين البلدين إلى أن حل لويس التاسع بالمشرق، ووضع حداً لذلك بتوسطه في التسوية السلمية بين بوهمند الخامس وهيثوم الأول ملك أرمينيا، وبذلك خفت حدة النزاع بينهما إلى غاية وفاة بوهمند، فورثه ابنه بوهمند السادس فتدخل لويس ثانية وتم زواج أمير أنطاكية طرابلس بابنة هيثوم الأول ايزابيل في أواخر سنة1254م، وبهذا تم توثيق روابط الصداقة

---

[1] رانسيمان، المصدر السابق، ج.3،ص.ص.184-185؛ للمزيد أنظر، حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.295-296.

[2] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص.96؛ للمزيد أنظر، حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.302-304.

[3] عند وفاة ليون الأول سنة1219م لم يترك سوى ابنة صغيرة تسمى ايزابيلا، قام الأرمن بتزويجها من فيليب ابن بوهمند الرابع، الذي لم يكن وليا للعهد، وبهذا تم الزواج في سنة 1222م غير أن فيليب لم يرض بالقيود المضروبة عليه وقرب إليه مجموعة من الصليبيين، التي أثارت غضب الأرمن، أدت بقسطنطين الوصي على الطفلة بأن يطيح به ويسجنه، ثم قام بقتله سنة 1224م، أنظر،نهى فتحي الجوهري ، المرجع السابق، ص.76-77؛ حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص. 316-321.

[4] نهى فتحي الجوهري، المرجع السابق، ص.ص.78-79 .

وإزالة الأحقاد[1]. وتم توطيد أركان التحالف السياسي و العسكري بين إمارة أنطاكية ومملكة أرمينيا الصغرى[2]، وأظهر هيثوم حسن نيته تجاه بوهمند السادس، إذ نجده يسعى لتسوية الخلافات بين الأمير وفرقة الأسبتارية، حيث تم في سنة 1259م عقد صلح، تنازل بموجبه بوهمند عن أملاك التنظيم، التي تم الإستيلاء عليها أيام بوهمند الرابع،كما أنه ظهر في التسوية بين الأمير والثائرين عليه في ولاية طرابلس، ووقف إلى جانبه في التخلص من نفوذ الإغريق في أنطاكية[3].

وفي ظل ظهور قوة المغول على الساحة آنذاك، سعى هيثوم الأول للتقرب منهم وكسب صداقتهم، وإدخال مملكته في خدمة المغول، مضيفا إليها إمارة أنطاكية طرابلس بعدما خوله بوهمند السادس حق التحدث باسمه في تفاوضه معهم. لقد كان بوهمند يعتقد أن الغلبة ستكون لهذه القوة الجديدة في بلاد الشام، عكس ما اعتقده أقرانه الصليبيين، أن المغول سيُلحقون دماراً وخراباً بالمنطقة، ولهذا اعتبروه خائنا للقضية الصليبية، لكنه استمر في تحالفه مع المغول أثناء توسعهم في بلاد الشام[4].

5- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بفرق الرهبان العسكرية :

لقد كان للهيئات الدينية العسكرية دورا كبيرا في بلاد الشام، خاصة هيئتي الداوية والأسبتارية، وقد كان نشاطهما قويا في إمارتي أنطاكية وطرابلس[5]، إذ تُعتبر الهيئتان من أكبر الهيئات الدينية، ولقد تشابهت وظائفهما فكل منهما كرّس حياته لخدمة الحجاج المسيحيين، خاصة في الفترة المبكرة، غير أنهما تحولتا إلى هيئتي فرسان محاربين[6]. وأن هاتين الهيئتين مثلما كانتا خير دعم للإمارات الصليبية ببلاد الشام، كانتا على تنافس في ما بينهما[7]، ويظهر تأثيرهما بشكل واضح في إمارة أنطاكية ومملكة أرمينيا الصغرى، كونهما متجاورتين وتربطهما روابط إقليمية[8]، فضلا عن الروابط الإجتماعية.

ومن خلال الهزائم التي تلقاها الفرنجة في بلاد الشام خاصة الشمال، أصبحوا بحاجة إلى مصدر قوة تزودهم في ساحة المعركة، ولهذا نجد إمارة أنطاكية تبدأ في الإعتماد على الجماعات العسكرية، للدفاع عن معاقلها أمام رد

---

[1] جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص.ص.310-311.

[2] أنظر، Grousset(R),op.cit.,p.296.

[3] جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص.ص.311-312.

[4] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.ص.90-91.

[5] نبيلة مقامي إبراهيم، المرجع السابق، ص.132.

[6] حسين عطية ، المرجع السابق،ص.158.

[7] أنظر، Kennedy Huge, Crusader castles,Cambridge University Press,UK.1994,P.145.

[8] نبيلة مقامي، المرجع السابق، ص.132.

الفعل الإسلامي وتقدمه في عهد عماد الدين زنكي، ثم نور الدين محمود من بعده، وكان ذلك في عهد الأمير ريموند بواتييه، ويبرز بصورة أخرى كتنازل للداوية والأسبتارية في عهد رينالد دي شاتيلون وبوهمند الثالث[1]. ولقد كان للهيئات العسكرية أيضا دورا كبيرا في حماية مملكة بيت المقدس، مقابل تنازلات عن بعض أملاكها، حيث يقول أرنول:" Sir , Dist Thoros au Roy,quant je vinc parmi vostre tiere,et je demandoie des Castiaus cui il estoient,li uns me disoit c est Temple ,li autres de Hopital si que jou ne trouvai ne castiel,ne cite qui fust vostre"[2]، ومعنى ذلك أن ثوروسThoros الأرميني لما زار مملكة بيت المقدس، في عهد أماليك الأول Amalric I تعجب من كثرة القلاع، التي بحوزة الهيئات العسكرية فيها، حيث قال:"سيدي عندما جئت إلى أرضك وسألت عمن تخص هذه القلاع، قال البعض هذه للداوية وقال آخرون للأسبتارية، وهكذا لم أستطع إيجاد أي قلعة أو مدينة تخصك[3]. وعليه فإن دل هذا فإنه يدل على نفوذ وسلطان هذه الهيئات، بعد خدمات كانت قد قدمتها للمملكة، بل وإزداد نفوذها نحو الشمال خاصة إمارة أنطاكية، بحيث قامت هذه الهيئات خلال القرن 12م(السادس الهجري) بدور فعّال في حماية حدود هذه الإمارة، فقلما تجد حملة يقوم بها أمراء أنطاكية، إلا وكان للداوية والأسبتارية نصيب فيها.

وقد أصبحت تعتمد كليا على هذه الجماعات، ويتضح ذلك من خلال الإمتيازات التي أُعطيت لها، ومن أمثلة ذلك ما قام به ريموند بواتييه سنة1149م، من حق للداوية الذي أعفاها من الضرائب والإلتزامات الإقطاعية، ونقل الممتلكات داخل وخارج الإمارة[4]. ومن أهم ما قامت به إمارة أنطاكية في دعم هذه الجماعات، هي إعطائهم حق الإستقلال الذاتي، حيث قام بوهمند الثالث سنة1168م بمنح الأسبتارية، حق عقد الإتفاقيات مع المسلمين وشن الحرب عليهم دون إستشارته، كما لا يحق له أن يعقد إتفاقا مع المسلمين دون الرجوع إليهم، في حين أنهم غير مقيدين بما يقوم به من إتفاقات، ومن حقهم أخذ الأسلاب دون مشاركة الأمير فيها، وأيضا لهم حق التصدير والإستيراد إلا في شيء لا يخص الجماعة، إضافة إلى إعفاهم من الخدمة العسكرية الإقطاعية[5].

---

[1] حسين عطية، المرجع السابق،ص.159.

[2] أنظر، Ernoul,op.cit,pp.27-28.

[3] حسين عطية ، المرجع السابق، ص.159،حاشية (291).

[4] نفسه ، ص.ص.159-160.

[5] حسين عطية ، المرجع السابق، ص.160.

من خلال ذلك يمكن القول بأن الهيئات العسكرية وخاصة الأسبتارية، أصبح لها تأثيرا ودورا فعالاً في الشمال خاصة إمارة أنطاكية،كما أنه يعكس حالة الوهن والضعف التي تميز بها الأمير بوهمند الثالث، وربما إستراتيجية منه في حالة عقد إتفاق مع المسلمين، تكون هذه الهيئات خارج الهدنة، وبالتالي بإمكانها أن تشن أي هجوم. وبعد قيام مملكة أرمينيا الصغرى، ومباشرة تنفيذ مشروعها التوسعي في المنطقة، تبرز سياسة ليون الأول المعادية أحيانا لفرقة الداوية، والذي أدى بهذه الأخيرة إلى التقرب من الأمير بوهمند الرابع[1]، وإستراتيجية من الملك الأرميني بدأ بإستمالة هيئتي الأسبتارية والتيوتونTeutonic[2]،حيث وهبهم قلاعا في قليقية ليواجه بوهمند،كما أن هذا الأخير لم يعاد هيئة التيوتون، بل أنه هو أيضا وهبهم أملاكا في إمارته، وبهذا انغمست الهيئات الدينية بشكل واضح في الصراع بين أنطاكية والأرمن حول وراثة العرش[3]. وهنا يظهر مدى فعالية الهيئات الدينية بقدر ما يُعطى لها من إمتيازات، وسرعان ما تنقلب إذا رأت ما تحققه من فائدة عند الطرف الآخر، وكان لظهور مشكلة الوراثة نصيب وافر للهيئات العسكرية خاصة الداوية والأسبتارية، حيث أرادت الداوية أن تنتقم من ليون نتيجة انتزاعة لحصن بغراس منها[4]، بينما الأسبتارية أصبحت حليفة لبوهمند بعدما دفع ديونها، التي كانت على ريموند الثالث[5]، وتظهر مكافأة أخرى للأسبتارية عندما تولى ريموند روبن عرش أنطاكية، حيث منحهم قلعة أنطاكية وجبلة، ولكن بوهمند الرابع تحين فرصة غياب الأسبتارية واسترجع أنطاكية وانتقم من أعدائه[6].

وأثناء حكم بوهمند الخامس إزداد نفوذ الهيئات العسكرية، ولم تخضع له خضوعا تاما، إذ نجد هيئة الأسبتارية قد طالبته بإسترجاع اقطاع مرقية، الذي تنازلت عنه سنة 1199م، واشتد النزاع بين الهيئة والأمير وأخيرا نجحت البابوية في وضع حد لذلك، خاصة وأن الإمارة أصبحت في وضع سيء، جراء الإضطرابات والمنازعات[7]. وبحلول سنة 1251م توفي بوهمند الخامس، وتولى ابنه بوهمند السادس عرش الإمارتين، حيث تميزت العلاقات بالهدوء النسبي بينه وبين الهيئات العسكرية، ربما يعود ذلك لظهور خطر المغول وإقترابه من منطقة

---

[1] أنظر، Cahen,op.cit,p.616.

[2] وهي ثالث أكبر الهيئات الدينية العسكرية، يعود ظهورها إلى الحملة الألمانية في الحملة الصليبية الثالثة(1189-1192م)،أنظر، An Encyclopedia of Crusades, Vol.4,pp.1158-1165.، للمزيد أنظر،حسن عبد الوهاب حسين ، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالى1190-1291م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص.ص.83-122.

[3] نبيلة مقامي، المرجع السابق، ص.133.

[4] عاشور، الحركة الصليبية، ج.2،ص.989.

[5] بوعمامة فاطمة، المرجع السابق، ص.ص.86-87؛ Cahen,op.cit.,p.593

[6] نبيلة مقامي ،المرجع السابق،ص.135.

[7] انظر، Cahen,op.cit.,p.665.

الشام[1]، ولهذا نجد توافق بين هيئة الأسبتارية وبوهمند بوساطة هيثوم الأول ملك أرمينيا، إذ تم عقد إتفاق مؤقت في سنة 1256م. وفي أفريل 1259 عُقد صلح شامل، تنازل بمقتضاه الأمير عن الأراضي التي تم أخذها في عهد بوهمند الرابع[2]، بل أنه أضاف لهم نصف منطقة اللاذقية[3].

من خلال ذلك يتبين أن الهيئات الدينية وخاصة الداوية والأسبتارية، كانتا من أقوى التنظيمات العسكرية، التي لعبت دورا بارزا في منطقة الشام، وإذا كانت هذه الهيئات قد قامت بدورها على أكمل وجه، فإنها لم تلبث أن تحولت عن مبادئها عندما إزدادت إمتيازاتها وكثرت ثروتها فأصبحت تخوض في أمور خارج مسؤوليتها[4]، وإذا ما تم مقارنة نشاط هيئة التيوتون Teutonic، بنشاط هيئتي الداوية والأسبتارية يعتبر ثانويا وضئيلا، وهذا نتيجة تأييد البابوية والملوك لهما إضافة إلى أملاكهما وإمتيازاتهما والجيوش التي تملكها الهيئتين[5]. ولقد كانت للهيئة إمتيازات في أنطاكية، حيث تمارس التجارة بكل حرية[6]، وكان موقف هيئة التيوتون لا يختلف عن سابقاتها، بحيث أنها تؤيد طرفا على آخر مثل ما حدث في الحرب الأهلية بين الصليبيين في المشرق، إذ نجدها إنضمت إلى جانب البنادقة[7].

ولقد توسع نفوذ الهيئة من خلال الإمتيازات التي أُعطيت لها، إنطلاقا من مملكة بيت المقدس إلى أنطاكية وصولا إلى أرمينيا الصغرى، إذ حصلت على منحة من عكا بعد تحولها إلى جماعة عسكرية، في أوت 1198م[8]، إذ تعتبر هذه الهيئة هي قاعدة الألمان في المشرق[9]، وقد إرتبطت هذه المنح إرتباطا مباشرا بمدى مشاركتها في الصراع الصليبي الإسلامي، وتلتها منحة أخرى من إمارة أنطاكية، حيث قام بوهمند الثالث سنة 1200م بمقتضاها تم حرية التجارة وشراء حاجياتها، دون دفع أي ضريبة أو التزامات أخرى، كما أن بوهمند الرابع هو الآخر منحها إمتيازا، ولكنه في إمارة طرابلس وكان ذلك في 4سبتمبر1209م، وهذا حينما اشتد الصراع في شمال الشام[10]، وطبعا هذا من أجل ترجيح إحدى كفتي الصراع الصليبي.

---

1 نبيلة مقامي، المرجع السابق،ص.138.

2 جوزيف نسيم، المرجع السابق،ص.312.

3 نبيلة مقامي، المرجع السابق،ص.138.

4 عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.502.

5 نبيلة مقامي ،المرجع السابق،ص.176.

6 أنظر، Cahen,op.cit.,p.629.

7 أنظر، Ibid.,pp.707-708.

8 حسن عبد الوهاب، المرجع السابق،ص.ص.126-127.

9 أنظر، Kennedy Huge, op.cit.,p.129 .

10 حسن عبد الوهاب ،المرجع السابق،ص.ص.127، 133.

وحينما تولى ريموند روبين عرش أنطاكية، منح للتيوتون حرية التجارة والإنتقال عبر أملاكه، دون دفع أي رسوم أو ضرائب[1]،كما أننا نلحظ منحة أخرى لبوهمند الرابع لصالح الهيئة سنة 1228م مقدارها مائة بيزنت تدفع سنويا، لعله بذلك يريد للهيئة أن تكمل بناء تحصيناتها[2]، وكانت تلك المنحة من إيرادات السوق والميناء في عكا، وربما كان ذلك إقطاعا نقديا للأمير في هذه المدينة، وكانت منحته هذه تأييدا لعملها في قلعة القرين لتعزيز الوجود الصليبي بها. في حين نجد أن مقدم الهيئة، هرمان أف سالزا Hermann of Salza (1239-1210)، قام بدور الوسيط أثناء الصراع داخل المملكة، حيث تم الإتفاق على جعل بوهمند السادس نائبا للمملكة، غير أن ذلك الإقتراح لم ينجح بسبب المعارضة من البارونات[3]. وإن دل ذلك فإنما يدل على الدور الفعال لمقدم الهيئة، وعند غزو المغول لبلاد الشام كانت هيئة التيوتون، ضمن الحلف المغولي الصليبي ضد المسلمين[4].

6- علاقة إمارة أنطاكية بالإمبراطورية البيزنطية :

من خلال ما إتفق عليه قادة الحملة الصليبية الأولى، وإعلان الولاء والطاعة للإمبراطور الكسيوس كومنين، أي أن ما يتم الإستيلاء عليه خاصة أنطاكية، وبعض المدن في شمال الشام سيصبح لهذا الأخير، لكن ما حدث بعد سقوط المدينة وإنفراد بوهمند والإستئثار بها لنفسه[5]، أدى إلى توتر العلاقات بين أمير أنطاكية والإمبراطور، حيث أرسل هذا الأخير لقادة الحملة يشكو تصرف بوهمند ونقضه لوعده، غير أن القادة كان ردهم يحمل غلظة تجاه الكسيوس، وأنهم قد تنازلوا لبوهمند عن المدينة بمحض إرادتهم وأنه جدير بحكمها[6]. لذا حاول الكسيوس مرة أخرى، إذ أنه أرسل سفيرا لبوهمند لمفاوضته، إلا أن الأمير النورماني طرد السفير بوتوميتس متهما إياه بالتجسس على الإمارات الصليبية[7]، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أن بوهمند سعى إلى تقويض نفوذ بيزنطة بالمنطقة، وذلك من خلال زحفه على اللاّذقية، حيث أراد أن يكون لإمارته منفذا نحو الغرب[8].

---

1 حسين عطية،المرجع السابق،ص.300.

2 أنظر، Kennedy Huge, op.cit.,p.129.

3 حسن عبد الوهاب،المرجع السابق، ص.ص.209، 216.

4 المرجع نفسه، ص.ص.300-301.

5 عاشور ، الحركة الصليبية،ج.1، ص.343.

6 وليم الصوري، المصدر السابق،ج.2، ص.ص.58-59.

7 إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.126.

8 ماير، المرجع السابق،ج.1، ص.ص.95-96.

ولهذا لم يبق لألكسيوس إلا الإستعانة بريموند الصنجيلي، الذي كان في خلاف مع بوهمند، لعله يحقق مبتغاه في منع الأمير النورماني من توسيع إمارته، على حساب الصليبيين من جهة وعلى البيزنطيين من جهة أخرى، خاصة أنه وقف أمام بوهمند في اللاذقية ومنعه من السيطرة عليها[1]. وبهذا أصبحت العلاقة جلية بين بوهمند وألكسيوس والكونت ريموند، الذي يساند الإمبراطور لعله يحقق حلمه من جهة، ويقضي على آمال بوهمند من جهة أخرى، أي تمرير سياسة بيزنطة في المنطقة، ولهذا سيطر على اللاذقية وأنطرسوس باسم الإمبراطور[2].

ولقد وجد الكسيوس في الكونت ريموند خير حليف له في بلاد الشام، ليمنع بوهمند من إرساء دعائم إمارته الناشئة، وبإنتقال ريموند إلى القسطنطينية وجد في إستقباله الإمبراطور هناك، الذي استقبله بحفاوة[3]، لعله بذلك يحقق مع الإمبراطور إتفاقا ضد بوهمند[4]. وبعد أن تمكن هذا الاخير في أنطاكية اتجه نظره صوب الشمال، حيث ضرب حصارا على مدينة مرعش، التي كانت تابعة للبيزنطيين، ولما علم بقدوم الأمير غازي محمد بن الدانشمند لحصار ملطية اتجه نحوه، غير أنه وقع أسيراً في يد الدانشمند[5]. وبوصول تانكريد إلى عرش الإمارة كوصي انتهج سياسة عدائية مع الإمبراطورية مثل سلفه السجين، أي توسيع دائرة نفوذه فأستولى على طرسوس وأذنة والمصيصة[6]،كما استولى على اللاذقية[7]، وأثناء إعداد الكسيوس وريموند لحملة ضد تانكريد وإسترجاع اللاذقية، وصلت حملة إلى القسطنطينية من الغرب اللاتيني (الحملة اللومباردية)، وبهذا قام الإمبراطور بتوكيل أمرها إلى الكونت ريموند، الذي رأى فيها خير أداة لتحقيق غرضه في الشام، وسرعان ما لحق بها شقها الثاني والثالث، لكن تلك الحملة باءت بالفشل وذلك بإبادة معظم فرسانها[8].

ونتيجة لتعنت أمراء أنطاكية في سياستهم تجاه مدن الإمبراطورية، قرر الإمبراطور قيادة حملة ضد الصليبيين في سوريا، إلا أنه عدل عن ذلك بسبب تخوفه من قدوم حملة صليبية جديدة[9]، وبتحالف ريموند مع الإمبراطور يكون ذلك بمثابة حجر عثرة في طريق تانكريد الوصي على أنطاكية. وأثناء عودة ريموند إلى بلاد الشام وقع أسيراً في يد أمير أنطاكية، الذي لم يُطلق سراحه إلا بعد أن إستجاب لما طلبه منه تانكريد، حيث يتخلى عن مزاعمه

---

[1] عاشور، الحركة الصليبية، ج.1، ص.344.

[2] المرجع نفسه، ج.1، ص.345.

[3] أنظر، Anna Comnenea,op.cit.,XI,p.204.

[4] أنظر، Chalandon,op.cit.,pp.222-223 .

[5] أنظر، Matthieu d'Edesse,op.cit.,pp.230-321 .

[6] أنظر، Raoul de Caen,op.cit.,pp.265-266 .

[7] أنظر، Ibid., p.273.

[8] عاشور، الحركة الصليبية، ج.1، ص.ص.346-351.

[9] إسحاق عبيد ،المرجع السابق،ص.129.

في المنطقة فوافق على ذلك، وتم إطلاق سراحه بوساطة بعض إخوانه المسيحيين[1]، وبهذا أصبح النورمان يهددون مصالح الإمبراطورية، أي أن النورمان يمارسون سياسة روبرت جويسكارد العدائية تجاه بيزنطة، لذا فكر الإمبراطور في مساومة الأمير غازي محمد بن الدانشمند، على تسليم بوهمند لجعله كأداة ضغط على أنطاكية وتسوية مشكلتها، غير أن الأمير الأرميني كوغ فاسيل Kog Vasil قام بإفتداء بوهمند، وتم إطلاق سراحه سنة 1103م، حينها كان النورمان قد قاموا بفتح اللاّذقية سنة1102م[2].

ولقد استمر الإمبراطور الكسيوس بسياسة المطالبة بإسترجاع أنطاكية، وغيرها من المدن البيزنطية التي إستولى عليها بوهمند وتانكريد[3]، لكن طلبه تم رفضه متهمين إياه بأنه هو من أخلف الوعد، ولم ينفذ ماعليه أثناء تقدمهم إلى الشام وحصارهم أنطاكية[4]، وبهذا قرر الإمبراطور إرسال حملة عسكرية لحماية حدودالإمبراطورية، حدودالإمبراطورية، في إقليم قليقية بقيادة بوتوميتس[5]، وقد نجح في تأسيس مواقع دفاعية، في المنطقة المتاخمة لأنطاكية خاصة مرعش[6].

وفي سنة 1103م سقطت هذه الأخيرة، في يد جوسلين نائب بولدوين أف لو بورغ، في حين استولى بوهمند على شمالها[7]،كما حدثت هزيمة للصليبيين في مدينة حران في السنة التالية[8]، حينها اغتنم البيزنطيون سوء الأوضاع وساروا بإتجاه مدن قليقية وإسترجعوها، وزحفوا مرة أخرى على اللاذقية، غير أن هجومهم باء بالفشل، في حين كان المد الإسلامي آخذاً في الإزدياد ويحاصر أنطاكية من الجهة الشرقية[9]. ولهذا بات من

---

[1] أنظر، Albert D'Aix,op.cit.,T,II,pp.36-37؛إسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.135؛عاشور،المرجع السابق، ج.1، ص.353.

[2] أنظر، Matthieu d'Edesse,op.cit,p.252; Anna Comnena,op.cit.,XI, p.204 ؛إسحاق عبيد،المرجع السابق، ص.ص.135-136.

[3] أنظر، Anna Comnena,op.cit.,XI,p.206.

[4] أنظر، Ibidem .

[5] أنظر، Ibidem .

[6] إسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.136.

[7] عاشور،الحركة الصليبية،ج.1،ص.402.

[8] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.ص.72-73.أنظر أيضا، Matthieu d'Edesse,op.cit.,pp.254-255

[9] إسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.137.

المستحيل أن يحقق بوهمند حلمه في ظل هذا الوضع المتردي لإمارته، لذا قرر الرحيل غربا سنة 1104م[1]، لعله يجد حلا ويحقق مشروعه للتبشير بحملة جديدة، ولكن هذه المرة ضد الإمبراطورية[2].

وهكذا مضى بوهمند إلى الغرب اللاّتيني لتحقيق مشروعه، ومن خلال مساعيه استطاع أن يحشد جيشا لايحصى عدُّه، تم جمعه من مختلف الأرياف والمدن[3] وتوجه به شرقا، ولكن بعد الهزائم التي تلقاها جيشه على مختلف الجبهات أقنعه رفاقه النبلاء لفتح باب المفاوضات مع الإمبراطور،الذي كان متواجدا في مقر قيادته في مدينة ديابوليس، حيث أرسل إلى بوهمند بعد تأكده من من إقبال هذا الأخير على قبول المفاوضات[4]. وبذلك تمت معاهدة ديابوليس سنة 1108م بين الطرفين، حيث تعهد بوهمند فيها بأن يكون تابعا للإمبراطور ولأولاده من بعده، وأن يكون في خدمتهم إذا تطلب الأمر، وأن يكون جميع أفصاله في خدمة الكسيوس سواء الذين جاؤوا معه في حملته من الغرب، أوالمتواجدين في المشرق. إضافة إلى إعادة كنيسة أنطاكية للأرثوذكس وتنحية اللاتين عنها، مع منح بوهمند بعض الأملاك في المشرق منها أنطاكية، وما حولها دون أن تنتقل إلى ولده من بعده، وإخراج بعض المدن من دائرة نفوذه كأذنة والمصيصة وعين زربة واللاّذقية وجبلة، وغيرها من المناطق ذات الأهمية[5]. وقام بوهمند بالقَسَم على الإنجيل والحربة المقدسة بحضور الشهود مافروس Mavrus أسقف مدينة أمالفي، نيابة عن البابا باسكال الثاني وريناردوس Rinardus من مدينة تارنتو Taranto وبعض رجال الدين، وغيرهم من الشخصيات ذات المكانة، وتكرما من الإمبراطور منحه رتبة سباستوسSebastus (المحترِم أوالحكيم) وأعطاه كثيراً من المال[6]، وتعهد الكسيوس من جانبه بأن بيّن الإقطاعات، التي وهبها لبوهمند إضافة إلى ضمان سلامة وحرية الصليبيين والحجاج الذين يعبرون أراضي الإمبراطورية[7].

من خلال ذلك يظهر أن سياسة الإمبراطور، قد قضت على حلم بوهمند في الشرق وجعلت منه تابعا لاسيدا، كما قضت مرة أخرى على استمرار وراثة العرش في أنطاكية، وهذا له تأثيره أي بموت بوهمند سينتهي حلم النورمان نهائيا في حكم المشرق كأسياد، إذا ما تم العمل بالمعاهدة. حينذاك كانت إمارة أنطاكية تحت وصاية

---

[1] أنظر، Yewdale,op.cit.,p.102; Stevenson,op.cit.,p.72.

[2] إسحاق عبيد ،المرجع السابق،ص.137.

[3] أنظر، Anna Comnena,op.cit.,XII,p.213.

[4] إسحاق عبيد،المرجع السابق، ص.ص.144-145.

[5] نفسه ،ص.ص.146-147.

[6] أنظر، Anna Comnena,op.cit.,XIII,XIV,pp.253-254.

[7] إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.ص.147-148.

تانكريد، وحقيقة كان حاكما مستقلا، لذا فالمعاهدة لا تعني له شيئا وهمه الوحيد توسيع مناطق نفوذه[1]، ولقد كان الإمبراطور الكسيوس يريد إجبار تانكريد على تطبيق هذا الاتفاق، ولو تطلب له ذلك تسيير حملة عسكرية، إلا أن كبار رجال البلاط لم يريدوا ذلك بسبب عدم ملاءمة الظروف آنذاك، وإنما أقنعوه بإتباع سياسة سلاح الدبلوماسية لعله يحقق هدفه[2]. ولذلك بدأ الإمبراطور بتوفير المناخ الملائم، حيث أرسل سفيره بوتوميتس Butumites، بصحبة من يتقن اللاتينية إلى بيت المقدس، محملا بالهدايا والمال ليجد طريقا للوصول إلى الملك بولدوين الأول، ليتفاوض معه[3]، غير أن ذلك لم يجد نفعا، وبوفاة تانكريد في 12 ديسمبر1112م، لجأ ألكسيوس مرة أخرى إلى تنشيط دبلوماسيته مع البابوية، لكن ذلك لم يحقق له ما يريد، بسبب الحقد والكراهية تجاه كل ماهو بيزنطي[4].

وبوصول حنا كومنين إلى عرش الإمبراطورية، بعد وفاة والده ألكسيوس سنة1118م[5] كان محط نظره ما فقدته الإمبراطورية، أثناء الحملة الصليبية الأولى خاصة أنطاكية، فمنذ الوهلة الأولى لجأ حنا كومنين إلى ايجاد رابطة تصل القسطنطينية بأنطاكية، إذ نجده يرسل سفيره رافندينوس إلى بلاط روجر السالرني خليفة تانكريد، لطلب يد ابنته إلى أحد أبناء الأسرة الحاكمة في القسطنطينية، غير أن روجر قُتل في معركة ساحة الدم سنة 1119م قرب مدينة الأثارب[6]، وبهذا أصبح الملك بولدوين الثاني وصيا على الإمارة، والذي كان يسعى لتزويج إبنته آليس من بوهمند الثاني وريث العرش الأنطاكي الذي لايزال قاصرا، ولهذا لم يجد السفير البيزنطي بعد إطلاق سراحه من الأسر بداً من مواصلة مشروعه[7].

وبمقتل بوهمند الثاني سنة 1130م، حاولت زوجته آليس الإستيلاء على عرش الإمارة، دون مراعاة حق ابنتها، ولكن والدها بولدوين الثاني حاول منعها وبوفاته(31 أوت1131م) حاولت مرة أخرى، غير أن الملك الجديد فولك Foulque (1131م-1143م) تدخل لمنعها، وقام بطلب يد الأميرة الصغيرة كونستانس

---

[1] ماير،المرجع السابق، ج.1،ص.105. أنظر أيضا، Runciman,The Eastern Schism,Oxford University Press,U.K.,1997,pp.94.

[2] إسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.149.

[3] أنظر، Anna Comnena,op.cit.,XIV,p.257.

[4] إسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.150-154

[5] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.ص.243-244.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.ص.185-186؛ابن العديم،المصدر السابق، ج.2،ص.553؛ إسحاق عبيد،المرجع السابق، ص.156.

[7] إسحاق عبيد ،المرجع نفسه،ص.157.

إلى ريموند بواتييه، الذي كان حينها في بلاط الملك الانجليزي[1]، لكن الأميرة حاولت التقرب من الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين وطلبت يد ابنتها لابنه مانويل[2]، إلا أن وصول ريموند إلى الشرق والتأييد، الذي لقيه من بطريرك أنطاكية وإتمام مراسيم الزواج، قد أفسد على آليس مسعاها مع الإمبراطور، ولهذا اغتاظ هذا الأخير وراح يتحين الفرصة لمعاقبة البارونات في أنطاكية، كونه سيدهم الأعلى بموجب معاهدة 1108م[3].

وفي هذا الظرف كانت الوحدة الإسلامية آخذة في الظهور، على يد عماد الدين زنكي ومن سانده في حربه ضد الصليبيين[4]، حينها كان الإمبراطور حنا كومنين يتربص بأنطاكية للإنقضاض عليها، وإسترجاع حقوقه بها[5]، حدث خلال ذلك إنهزام الملك فولك على يد عماد الدين، مما جعل الملك فولك يطلب المساعدة من قوات أنطاكية، غير أن ريموند بواتييه كان متخوفا من الإمبراطور، ولكنه لبى الطلب كما وصلت المساعدة من الرها. ونتيجة لهذه التعزيزات جعلت الأتابك عماد الدين يتفاوض مع الملك، ومن هنا رجع ريموند إلى إمارته[6] فوجد قوات الإمبراطورية على مقربة من أنطاكية، لذا قرر التفاوض مع حنا كومنين وهناك أقسم يمين الولاء والطاعة للإمبراطور، كما وافق على تنصيب بطريرك بيزنطي في أنطاكية بدلا من اللاتيني، وتم رفع العلم البيزنطي على قلعة أنطاكية، في مقابل ذلك تعهد الإمبراطور بمساعدة ريموند في حربه ضد أعدائه[7].

من خلال ذلك يظهر أن الإمبراطورية البيزنطية، كانت تسعى إلى تحقيق مآرب سياسية، فضلا عن تكريس المذهب الأرثوذكسي، وبهذا لا يزال العداء مستحكما بين بيزنطة وروما، وتحقيقا لوعده قام الإمبراطور يوحنا بالزحف على مدينة شيزر بمساعدة أنطاكية والرها، إلا أن ذلك لم يحقق شيئا للمتحالفين من لاتين وبيزنطيين، وسار الجيش بإتجاه أنطاكية في 23ماي 1138م[8] فأستقبله رجال الدين برئاسة البطريرك البيزنطي. وبعد أن إستقر المقام لحنا إستدعى إليه ريموند وطلب منه تسليم القلعة، والسماح للفرق البيزنطية بالدخول والخروج دون قيد أوشرط، كما أنه طلب من الأمير الإستجابة لجميع حقوق الإمبراطور، كونه تابع إقطاعي[9].

---

[1] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3،ص.ص.126-127.

[2] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.230.

[3] إسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.158.

[4] أنظر، Setton ,op.cit.,Vol.I,p.447.

[5] أنظر، Cahen,op.cit.,p.362 .

[6] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3،ص.ص.140-145.

[7] إسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.159.

[8] أنظر، Grousset ,op.cit.,pp.120-121 .

[9] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3،ص.ص.159-165.

وبهذه الشروط القاسية نوعا ما على شخص ريموند، قام جوسلين الثاني بتدبير حيلة يفك بها قيود الأمير، إذ نجده يُسرع إلى تحريك الجماهير وإثارة غضبهم لأن الإمبراطور يفرض شروطاً مجحفة على أنطاكية، بل أنه لجأ أيضا إلى التحريض على قتل البيزنطيين المقيمين داخل المدينة، وعاد إلى حيث يجلس حنا وأخبره بما يجري[1]، لذا قام الإمبراطور قاصدا جيشه المرابط على ضفة نهر العاصي، وقام الأميران بإسترداد حسن نوايا الإمبراطور، إلا أنه ودعهما بمظهر خارجي يحمل الصداقة وكامل الريبة المتبادلة.

ونتيجة لرد الفعل الإسلامي تجاه التوسع الصليبي في الشام، تم لعماد الدين زنكي استعادة كفرطاب في ماي 1137م ومعرة النعمان والأثارب والبزاعة[2]، وبحلول سنة 1142م قام أمير حلب بالهجوم على الجيوش الصليبية، على ضفاف العاصي وهزمها،كما قام سكان عسقلان بالإنتصار على الملك فولك، هنا توجه الأميران ريموند وجوسلين يطلبان المساعدة من حنا كومنين[3]. وفي ربيع سنة1142م قام الإمبراطور البيزنطي وأبناؤه بحملة على الشرق، إلى أن وصلوا إلى تل باشر والتي أصبحت بحوزته، ثم توجه الإمبراطور صوب أنطاكية وفي 25 من شهر سبتمبر وصل قلعة بغراس، وأرسل إلى ريموند طالباً منه تسليم المدينة كلها[4]، ولهذا قام الأمير ريموند بعقد مجلس مع البارونات الذين رفضوا ذلك، وأعتبروه إهانة للاّتين ولايجوز لريموند أن يقبل ذلك،كونه زوجا للوريثة كونستانس وحتى الأميرة ليس من حقها أن تسلم المدينة، دون مشاورتهم مهددين إياه بخرق التقليد الإقطاعي، وقام البارونات بتوكيل مهمتهم إلى أسقف جبلة وبعض البارونات ذوو المكانة، وتبليغها للإمبراطور مصرِّين على بقاء أنطاكية لاتينية[5]، لكن حنا كومنين رأى أن الظروف غير مناسبة فأنسحب إلى قليقيا[6].

وهكذا لم يستطع الإمبراطور فرض سيادته على إمارة انطاكية، وفشلت كل محاولاته في تنفيذ معاهدة ديابوليس، الذي عقدها والده مع بوهمند الأول سنة 1108م، وأثناء عودته بإتجاه عاصمته مات بالطريق في شهر أفريل سنة 1143م، وسار ابنه المتوج مانويل Manuel إلى القسطنطينية، ويبدو أنه ورِث عن أبيه تركة مثقلة بكثير من القضايا خاصة أنطاكية، التي لازالت مشكلتها عالقة[7]، وبهذا اغتنم ريموند بواتييه موت الإمبراطور وأغار على مدن قليقية البيزنطية، لكن الإمبراطور الجديد مانويل كومنين تصدى لذلك، بل هاجم أنطاكية

---

[1] أنظر، Grousset ,op.cit.,pp.121-122.

[2] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.ص.252- 254.

[3] إسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.163.

[4] رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.ص.256-257؛ للمزيد أنظر، Stevensen,op.cit,p.148

[5] إسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.164.

[6] أنظر، Stevensen,op.cit,p.148.

[7] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3،ص.ص.207-208.

نفسها، ولهذا ساءت العلاقات مما أدى إلى عدم قيام تحالف ضد عماد الدين زنكي، وبإستفحال قوة هذا الأخير جعلت ريموند يتناسى عداوته ويتوجه إلى القسطنطينية، لطلب مساعدة الإمبراطور سنة1145م، طالبا العفو معلنا تبعيته له.

وعليه فقد تميزت العلاقات بالعداء تارة والتوافق والتبعية تارة أخرى[1]، حينها كان المد الإسلامي متواصلا في الشمال، بحيث دخلت حلب وأنطاكية في صراع أيام نور الدين محمود، مما أدى إلى وقوع معركة أنّب(العناب) في شهر صفر سنة 544هـ/1149م، هُزِم فيها النورمان وقُتِل الأمير ريموند بواتييه وعدد من كبار قادة اللاّتين[2]، ولهذا قامت أرملة الأمير بوضع نفسها وأملاكها تحت حماية بيزنطة،ولقي ذلك ترحيبا من السلطة في القسطنطينية، وقام الإمبراطور مانويل بتعيين ابن عمه أندرونيكوس كومنين دوقا على قليقية، وأوفد معه القيصر يوحنا صهر مانويل، لتلبية رغبة كونستانس الأميرة، وكان على القيصر يوحنا طلب يد كونستانس، غير أن أفصال الإمارة استنكروا هذا الطلب، لأنهم رأوا نوعا من السيطرة البيزنطية على الإمارة[3]، والحقيقة أن عرضه لم يعجب كونستانس لذا تجاهلته[4]. وبتطبيق سياسة مانويل في قليقية ضد الأرمن، تعرض جيشه للهزيمة على يد ثوروس الأرميني، فأضطر أندرونيكوس إلى الهرب قاصدا أنطاكية، ثم رحل إلى القسطنطينية[5]، وأصبحت كونستانس زوجةً لرينالد دي شاتيلون(أرناط) Reynald of Chatillon وهو أحد الفرسان الذين جاؤوا مع لويس السابع، حيث أخذ رينالد الموافقة من بولدوين الثالث ملك بيت المقدس[6]، وبهذا العمل اغتاظ مانويل واعتبر ذلك تحديا صارخا لأوامره ونكرانا لحقوقه في أنطاكية، لذا قام الأمير الجديد بإبداء رغبته في تنفيذ مطالب الإمبراطور ونيل رضاه[7]. ورغم ذلك نجد مانويل يعترف برينالد كأمير، إذ أن إفرنج أنطاكية وقفوا إلى جانبه ضد السلطة الأرمينية، ولذا فإمتثال رينالد طواعية سيؤدي إلى تأييده وبهذا يقوّي مكانته[8].

وقام الإمبراطور بتمرير سياسته للأمير، والمتمثلة في كسر شوكة ثوروس الأرميني، الذي طالما يحدث الضرر بأراضي بيزنطة وسكانها، فأستجاب الأمير وقام بمهاجمة ثوروس وانتصر عليه، غير أن المال الذي وعده به مانويل

---

[1] عاشور،الحركة الصليبية، ج.1،ص.592.

[2] محمد مؤنس أحمد عوض، المرجع السابق،ص.171.

[3] إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.ص.210-211.

[4] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.357.

[5] إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.ص.211-212.

[6] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.3، ص.359.

[7] إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.213.

[8] رانسيمان، المرجع السابق،ج.2،ص.400.

لم يصله فقام رينالد بمهاجمة جزيرة قبرص البيزنطية[1]، حيث اشترك معه الأمير الأرميني ثوروس في الغزو سنة 1156م[2]، وأثناء ذلك قامت قوات أنطاكية ولمدة ثلاثة أسابيع تعيث في الأرض فسادا، وبهذا رأى ملك بيت المقدس بولدوين الثالث، بأن التحالف مع بيزنطة أصبح ضروريا، إذ أنه في سبتمبر سنة 1158م تم إقامة حفل زفاف للملك بالأميرة ثيودورا Theodora قريبة الإمبراطور مانويل[3].

وفي خريف 1158م تحرك الجيش الإمبراطوري بإتجاه قليقية لذا قام رينالد بالمبادرة، حيث انتقل صوب مانويل عند نزولة بالمصيصة، في أرمينيا الصغرى مقدما اعتذاره[4]، وظهر أمام الإمبراطور حافي القدمين مرتديا قميصا خشناً جاعلَ حبلٍ حول عنقه، ممسكاً بطرف سيفه الذي استله من غمده وقدّمه للإمبراطور مانويل، ثم طرح نفسه أرضا عند موطئ قدميه فاشمأز الجميع مما فعل[5]. ويقول جريجوري الراهب Gregory The Priest بشأن هذا :"بعد ذلك اعتذر رينالد للإمبراطور، عن ما بدر منه ضد سكان قبرص، وهذا بوساطة ملك بيت المقدس"[6]، والذي زاد من قدر هذه المهانة وجود عدد كبير من السفراء من مختلف الأمصار، ليشهدوا تلطيخ كبرياء الفرنجة في وحل قليقية، وقبل أن يسمح للأمير بتأدية قسم الولاء والطاعة، والذي من خلاله يُسلم قلعة أنطاكية،كان عليه أن يتعهد بقبول بطريرك بيزنطي لمدينة أنطاكية، بدلا من البطريرك اللاتيني،كما يجب أن يمده ببعض الكتائب للخدمة العسكرية. لقد كان هذا الإذلال للأمير انتصاراً عظيما لبيزنطة على اللاّتين[7]، وبعد ذلك قام الإمبراطور مانويل بإجراء مراسيم دخول انتصاري لمدينة أنطاكية، بتاريخ 12أفريل1259م[8]، ويقول رانسيمان:"في 12 من شهر أفريل جاء مانويل إلى أنطاكية، ودخل المدينة في موكب وقور، حيث سار الإمبراطور على صهوة جواده عليه رداء أرجواني، وعلى رأسه تاج مرصّع بالدُّرر ورينالد ماشياً على رجليه، ممسكاً بلجام جواده ويتبعه بولدوين ممتطياً جواده بلا تاج ولاسلاح"[9].

---

[1] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3،ص.ص.401-402.

[2] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.401.

[3] ماير ،المرجع السابق، ج.1،ص.163؛ رانسيمان،المرجع السابق، ج.2،ص.402.

[4] ماير ،المرجع نفسه، ج.1،ص.164.

[5] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3، ص.ص.428-430.

[6] أنظر، Gregoire Le Prétre,op.cit.,pp.353-354.

[7] إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.219.

[8] ماير، المرجع السابق، ج.1،ص.164.

[9] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.407؛ للمزيد أنظر، Grousset,op.cit.p.144

من خلال ذلك نستطيع أن نقول، بأن الإمبراطور استطاع أن يفرض حقوقه على إمارة أنطاكية، بشهادة المملكة بفضل سياسته وقوته العسكرية. وفي 23 نوفمبر سنة 1160م، تم أسر رينالد من قِبل الأتراك[1]، وقدّموه لنائب نور الدين محمود في حلب[2]، ولقد كان أسره بمثابة الفاجعة على الإمارة، ولذلك أرسلت زوجته كونستانس تطلب حماية الملك بولدوين الثالث (1143م-1162م)، فأستجاب لها وعهد بشؤون الإمارة إلى بطريك أنطاكية، وأثناء عودة الملك إلى بيت المقدس، وصلته سفارة من مانويل يطلب يد إحدى الأميرات اللاّتينيات، فوقع الإختيار على ميليزاندا Melesenda أخت ريموند الثالث أمير طرابلس،إلا أن ذلك لم يتم ووقع الإختيار مرة أخرى على مارية ابنة الأمير ريموند بواتييه[3]، وبهذا ارتبطت إمارة أنطاكية بالإمبراطورية بعلاقة المصاهرة، والتي ستُمكن إلى حد ما من تحسين العلاقات، وعلى الرغم من تخوق الملك بولدوين من ترسيخ الإدعاءات البيزنطية في أنطاكية، لم يستطع معارضة الإمبراطور مانويل في ذلك، إذ أن التحالف مع بيزنطة آنذاك كان جد هاماً للمملكة. وعليه تم حسم الأزمة في أنطاكية، بأن قام البارونات بطرد كونستانس وعينوا ابنها بوهمند الثالث(1163-1201م) أميراً عليها[4]، ويبدو أن النفوذ البيزنطي في أنطاكية قد أزعج الملك أماريك الأول (1162م-1174م) والأمير بوهمند الثالث، لذا قاما يطلبان مساعدة لويس السابع[5]، ورغم ذلك وقفت بيزنطة كقوة لجانب الصليبيين في محاربة نور الدين محمود، لكن النصر كان حليفه في وقعة حارم، وتم أَسْرُ بوهمند الثالث أمير أنطاكية وكونت طرابلس ومقدم الروم سنة 1164م/559ه[6].

ويظهر أثر الحماية البيزنطية على أنطاكية، حيث أنها أبقت استمرارها وعدم سقوطها في يد نور الدين محمود، فبعد إنتصار هذا الأخير في وقعة حارم على قادة الفرنج، وأسرهم أصبحت الإمارة بلا أمير وبإمكانه دخولها، لكن نور الدين لم يشأ ذلك تقديرا لسطوة بيزنطة، إذ نراه يرفض فكرة مستشاريه قائلا:"لو يتم الزحف على أنطاكية فسيقوم اليونانيون، بإرسال حامية داخل القلعة إلى غاية مجيء الإمبراطور"، لذا فهو يعتقد أن وجود دويلة فرنجية ضئيلة الشأن، أحسن من أن تكون جزءاً من إمبراطورية عظيمة[7]. ويظهر توطيد العلاقة أكثر بين أمير أنطاكية ومانويل، فبعد إطلاق سراحه عام1165م -مقابل فدية- إنتقل مباشرة إلى البلاط البيزنطي،حيث

---

[1] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3،ص.440.

[2] محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص.174.

[3] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.3،ص.ص.443-447.

[4] ماير،المرجع السابق،ج.1،ص.ص.165-166.

[5] إسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.226.

[6] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.ص.467-468.

[7] رانسيمان ،المرجع السابق،ج.2،ص.427.

صهره الإمبراطور، وبهذا استلم المبلغ المطلوب، ورجع إلى إمارته مصطحبا معه البطريك البيزنطي أثناسيوس الثالث Athanasius III[1]، لكن ذلك ما لم يقبله البطريك اللاتيني ايمري Aimery[2].

ويقول المؤرخ سعيد عاشور:"وأغضب ذلك رجال الدين الكاثوليك، وأحدث فتنة داخلية وحالة من القلق طوال فترة حكمه (1165م-1171م)"[3]، بينما ظل بوهمند متمسكا بولائه لبيزنطة، إذ وقف في وجه معارضة رجال الدين بزعامة البطريك اللاتيني ومؤيديه من رجال الدين اليعاقبة،حيث هجر أنطاكية احتجاجا على تنصيب البطريك اليوناني، كما أعلن قرار الحرمان للمدينة والأمير معا[4]. ويقول رانسيمان :"وطوال السنوات الخمس سيطر اليونانيون على الكنيسة بأنطاكية"[5]، وهذا يعني أن معاهدة 1159م التي عُقدت بين الإمبرطور مانويل والأمير رينالد دي شاتيلون قد بُعِثت من جديد[6]، ولكن الأمير بوهمند نراه يزيد من ارتباطه بالبلاط البيزنطي وثوثيق علاقاته مع مانويل، بأن أصبح زوجا للأميرة ثيودورا كومنين، ابنة شقيق الإمبراطور[7]. ورغم ذلك فإن بداية 1170م بدأ النشاط المعادي لبيزنطة في أنطاكية وإزداد نفوذه، وذلك من خلال تكريس المذهب الكاثوليكي بها، إذ تم إعادة البطريك ايمري إلى منصبه ونكران حقوق البطريك البيزنطي[8].

وعليه فإن مظاهر السيادة البيزنطية على إمارة أنطاكية، كانت ثمنا للحماية التي تمتعت بها الإمارة في عهد بوهمند الثالث، وبموت مانويل سنة1180م هجر الأمير زوجته اليونانية، وهذا يوحي بأنه قد تخلص من السيادة البيزنطية[9]. إذن فإرتباط إمارة أنطاكية بالبلاط البيزنطي، قد زاد من عمرها في ظل تزايد نمو الجبهة الإسلامية المتحدة في عهد نور الدين محمود، وبوفاة الإمبراطور أصبح ابنه ألكسيوس الثاني Alexius II وريثا للعرش وتولت أمه مارية الأنطاكية الوصاية علية[10]، ولم يلبث أن اغتصب اندرونيكوس Andronicus(1183م-

---

1 حسين عطية، المرجع السابق،ص.171-172؛عاشور،الحركة الصليبية،ج.2 ،ص.ص.686-687؛ رانسيمان،المرجع السابق،ج.2، ص.428.

2 إسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.228.

3 عاشور،الحركة الصليبية،ج.2،ص.687.

4 حسين عطية، المرجع السابق، ص.172.

5 رانسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.428.

6 إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.428.

7 حسين عطية، المرجع السابق، ص.173؛ للمزيد عن توطيد العلاقة بالبلاط البيزنطي. أنظر، ماير، المرجع السابق، ص.171.

8 إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.228.

9 حسين عطية، المرجع السابق، ص.173.

10 أنظر، Vasiliev,History of the Byzantine Empire 324-1453, The University of Wisconsin Press, Madison, Wisconsin, London,1952,Vol.II,pp.432-433.

1185م) العرش، كما ظهر القائد البيزنطي اسحاق كومنين منافسا له، والذي وقع في قبضة روبين الأرميني هنا تدخل بوهمند وأطلق سراح اسحاق، حيث إستقل هذا الأخير بقبرص، وبذلك ستقف بيزنطة في وجه الصليبيين خاصة أنطاكية، وهذا بتحالفها مع صلاح الدين، وتأكد ذلك التحالف بوصول اسحاق أنجيلوس Isaac Anjelus إلى العرش(1185م-1195م) لتخوفة من تهديد نورمان صقلية للقسطنطينية. ويظهر التباعد بين الفرنج والبيزنطيين بسبب مساهمة بوهمند الثالث في اعتقال ألكسيوس أخ الإمبراطور، أي أن سياسة بوهمند قد أحدثت شرخا في التقارب الصليبي البيزنطي[1].

وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي(مطلع القرن السابع الهجري) عند انحراف الحملة الصليبية الرابعة سنة 1204م بإتجاه القسطنطينية، ونجاحها في إقامة الامبراطورية اللاتينية، قد زاد من حدة التباغض بين الكنيستين الشرقية والغربية،كما أنه حرم صليبي الشام من المساعدات البيزنطية، وأصبح الطريق البري عبر أراضيها أصعب منالا للصليبيين، بل أصبحت ملكيات الإمبراطورية اللاتينية، أكثر جذبا لصليبي الشام، والذين تركوها نتيجة الضغط الاسلامي المتواصل، لينعموا بالرخاء والهدوء هناك[2].

7- علاقة إمارة أنطاكية بمملكة قبرص :

شهدت نهاية القرن الثاني عشر الميلادي(القرن السادس الهجري) ميلاد مملكة قبرص، والتي كونت علاقة وطيدة مع المستوطنات الصليبية، كما أنها قامت بدور هام في الدفاع عن الوجود الصليبي[3]، هذه الجزيرة التي استولى عليها الملك ريتشارد قلب الأسد Richard LionHeart أثناء زحفه على المشرق، في الحملة الصليبية الثالثة (1189م-1192م) وكان ذلك في شهر ماي سنة 1191م، فقبل رحيله بإتجاه الغرب أوكل أمرها إلى الملك جاي لوزنجان عند فشله في اعتلاء منصبه من جديد في مملكة بيت المقدس في عكا[4].

وأصبحت هذه الجزيرة قاعدة خلفية للفرنج، ويقول ابن الأثير:"فكان ذلك زيادة في ملكه وقوة للفرنج"[5]، أي طرفا في الصراع بالمشرق، إذ نجد إمارة انطاكية قد إرتبطت بها سياسيا، حيث قام بوهمند الثالث بتحالفه مع جاي لوزنجان، خوفاً من أن يكون لكونراد مونتفراتConrad of Montferrat (1190م-1192م)مطامع في طرابلس[6]، كما امتدت العلاقات مرة أخرى إلى الميدان الإجتماعي، إذ إرتبط أمراء أنطاكية

[1] حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.204-205؛ للمزيد أنظر،ماير،المرجع السابق،ص.ص.177-178.

[2] عاشور، الحركة الصليبية،ج.2، ص.ص.939-940؛ للمزيد أنظر، فيليبس جوناثان، المرجع السابق، ص.195.

[3] فيليبس جوناثان، المرجع نفسه، ص.189.

[4] عاشور، الحركة الصليبية، ج.2، ص.ص.887-888، 908.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.10، ص.205.

[6] عاشور، المرجع السابق، ج.2، ص.906

بعلاقات مصاهرة مع الأسرة الحاكمة في الجزيرة، حيث تزوج ريموند روبن من أخت الملك هيوج Huge في سنة 1210م[1]. وتم في ما بعد تحالف بوهمند الرابع مع هيوج Hugh ملك قبرص وغيره من ملوك الغرب، في الهجوم على قلعة جبل الطور سنة 1217م، وما هذا إلا دليل على رغبته في توسيع نفوذه وإحكام سيطرته على شمال سوريا. وإستراتيجية من بوهمند الرابع حاول إستقلال تلك القوى الصليبية بالمنطقة، لإسترداد أنطاكية من الأمير ريموند روبن، حيث نجده يوطد علاقته بالملك هيوج بأن تزوج من ميليزاندا Melisenda شقيقة هذا الأخير في 10 جانفي سنة 1218م، وكان ذلك زواجا سياسيا يهدف الامير من خلاله تقوية نفوذه، غير أن ذلك ذهب أدراج الرياح إذ توفي صهره الملك فجأة[2].

ومن جهة أخرى قام ملوك قبرص بالإرتباط بالإمارة في أنطاكية وطرابلس، بأن تزوج الملك هنري لوزنجان من بليزانس Plaisance ابنة بوهمند الخامس[3]، ويقول المؤرخ المجهول أن الملك لويس أثناء تواجده بالمشرق،قد وصلته الرسل يعلمونه بشأن ذلك الزواج[4]، وما هذا إلا دليل على مدى نفوذ الملك في المشرق اللاتيني[5].

وأخيراً يظهر الأمير بوهمند السادس في ساحة الصراع، بين مختلف الأطراف الصليبية محاولا إخماد نار الفتنة بينهم، إذ نجده يحاول جعل ابن اخته هيوج الثاني Hugh II ملكا، وبإختلاف الآراء بين مؤيد ومعارض تم الإتفاق أخيراً على تعيين سيد أرسوف نائبا لإبن الأخت ويساعده الثمانمائة فرنسي الموجودين بالبلد، عاد الأمير بوهمند السادس إلى إمارته، بعد أن اقتنع أنه لم ينجح في إحلال السلام بينهم[6].

ومن خلال ما ظهر من علاقات بين أنطاكية–طرابلس وقبرص، نستنتج أن أمراء أنطاكية حاولوا الإستفادة أكثر من وجود مملكة قبرص، لقربها من ساحة الأحداث بالمشرق، إلا أن ميلادها جاء متأخرا، إضافة إلى أن الوجود الصليبي بالشام كان قد بدأ بنيانه يتهاوى، نتيجة تنامي القوة الإسلامية، في حين كانت الأطماع الشخصية للصليبيين تطغى على الصالح العام.

8- تحالف إمارة أنطاكية الصليبية مع المغول :

في ظل الصراع الذي ساد ببلاد الشام، ولاسيما بين الجمهوريات الإيطالية وتداخل العلاقات الإقطاعية والتي أدت بصليبيي الشام إلى دخول هذا الصراع، إضافة إلى حالة التفكك والنزاع بين المسلمين، وخاصة الأيوبيين

[1] إدبيوري بيترو، قبرص والحروب الصليبية، دار المتلقى للطباعة والنشر، بيروت،1997،ص.65.

[2] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.74.

[3] جوزيف نسيم يوسف، المرجع السابق، ص.315.

[4] مجهول، المصدر السابق، ص.215.

[5] جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص.315.

[6] مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري، ص.ص.234-237.

في مصر والشام[1]، حينها كان المغول[2] يتحركون بإتجاة المشرق. ومن العوامل التي ساعدت المغول على مداهمة الشام، هو قيام التحالف المسيحي في الشام من جهة والمغول من جهة أخرى، ومما وطد العلاقة أكثر بين المسيحيين وهولاكو زوجته دوقوز خاتون التي تدين بالمسيحية، ولهذا رأى هيثوم الأول ملك أرمينيا الصغرى أن الفرصة قد حانت للإنقضاض على بلاد الشام،كما قام بإدخال صهره بوهمند السادس في هذا الحلف[3]، رغم أن الصليبيين عارضوا تلك الفكرة[4]، ويرجع ذلك لتخوفهم من المغول، نتيجة لما أحدثوا من مذابح وتخريب لبعض المناطق التي وصلوا إليها[5].

تمكن المغول من دخول عاصمة الخلافة العباسية ببغداد سنة 1258م/656هـ، وأحدثوا بها مذبحة مروعة[6]، وتم قتل الخليفة العباسي المستعصم بالله في 20فيفري 1258م/656هـ[7]، بعد ذلك تدفقت القوات المغولية كالجراد المنتشر على مدن الشام، بداية من شهر سبتمبر سنة 1259م واستولى هولاكو على بعض المدن بأعالي الفرات، وإنضم إليه حلفاؤه المسيحيون، هيثوم الأول ملك أرمينيا الصغرى وبوهمند السادس أمير أنطاكية- طرابلس، وواصلوا غاراتهم على مدن الشام[8]. ولقد كان بوهمند السادس تابعا لاحليفا وذلك من خلال ما قام به من تقليد الولاء والطاعة وهو سجوده أمام هولاكو، مع إعادة البطريرك اليوناني إلى منصبه بأنطاكية، وهذا ليتمتع بقدر من السلام[9]. توجه هولاكو وللمرة الثانية للإغارة على مدينة حلب، والتي دخلها بالأمان في التاسع من شهر صفر سنة658هـ /1260م، إلا أنهم غدروا بأهلها "فقتلوا ونهبوا وسبوا"[10]، وسارت القوات المغولية المسيحية بإتجاه دمشق وتمكنت من دخولها، وقد اغتنم المسيحيون هذه الفرصة للتشفي والإنتقام من المسلمين، فنظموا مواكب عامة وأنشدوا الأناشيد وحملوا الصلبان وأجبروا المسلمين على الوقوف

---

[1] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.89.

[2] قبائل رعوية آسيوية إستوطنت هضبة منغوليا ،شمالي صحراء جوبي (الصين) توحدت هذه القبائل على يد أحد قادتها، وهو تيموجين، الذي أُختير ملكا عليها سنة1206م وتَسمّى بجنكيز خان (أي إمبراطور كل البشر)،أنظر، عادل محمد هلال، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر ،1997،ص.33؛ للمزيد أنظر، نهى فتحي، المرجع السابق،ص.90.

[3] الصياد عبد المعطي، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980،ج.1، ص.291.

[4] عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص.ص.243-244.

[5] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.91.

[6] عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص.ص.200-201.

[7] عاشور، الحركة الصليبية، ج.2، ص.1119.

[8] نفسه ، ص.1124.

[9] حسين عطية، المرجع السابق، ص.433.

[10] ابن تغري بردي جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج.7،ص.70.

احتراما لهم[1]، وتم مكافأة المتحالفين المسيحيين، إذ نجد أن الأمير بوهمند السادس تلقى مدينتي اللاذقية وجبلة وبعض الحصون الأخرى كإقطاع له، وبهذا تمكن من ربط إمارتيه لأول مرة منذ إستيلاء صلاح الدين الأيوبي على المدينتين بعد معركة حطين سنة1187م /583هـ[2].

إن سياسة التحالف مع المغول كانت إلى حد ما سياسة ناجحة، خاصة وأن القوات المغولية في فترة قيادة هولاكو الذي إندفع وبكل قوة نحو المشرق عامة والشام خاصة، قد أدت إلى إحراز نتائج تماشت وطموحات الصليبيين خاصة إمارة أنطاكية، لكن على إثر الهزيمة التي تلقتها القوات المغولية في عين جالوت، في 25 من شهر رمضان سنة 658هـ/1260م[3]، قد قلبت الموازين رأسا على عقب وأصبحت إمارة أنطاكية هدفا للمماليك.

II- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالغرب اللاتيني :

1-علاقة إمارة أنطاكية بالملوك وبالأباطرة والأمراء :

إن الحملة الصليبية الأولى (1095-1099م) لما إنطلقت من الغرب اللاتيني تجاه بيت المقدس،كان الغرب حينها يعقد آماله وطموحاته على مدى النتائج التي تحققها هذه الحركة، ولاشك أن دعمها الرئيسي يعود إليه،كما أنها هي نفسها تبقى برباط التواصل معه لبقائهامن أجل تحقيق مكاسب بأرض الشام.

وتظهر أولى المحاولات للإتصال بالغرب، عندما تعرضت القوات المستقرة بشمال الشام، خاصة إمارة أنطاكية لنكبة حقيقة، على إثر الهزيمة التي تلقاها الصليبيون في موقعة حران (البليخ) بشمال الشام، في شهر ماي 1104م[4]. وما يهم في هذا المقام هو أثر تلك الهزيمة على مستقبل إمارة أنطاكية الصليبية، إذ أصبحت بين قاب قوسين أو أدنى في قبضة المسلمين من جهة، والقوات البيزنطية من جهة أخرى[5]. ونتيجة لذلك قام الأمير بوهمند بتولية قريبه تانكريد على عرش الإمارة، وتوجه إلى الغرب لعله يجد من ينصره[6]، في صليبيته ضد الإمبراطورية عدوه اللدود أولا والمسلمين ثانيا، حيث وصل أبوليا Apulia في شهر جانفي سنة 1105م[7]، وكان بصحبته صديقة القديم البطريرك دايمبرت، محملا بكل ما هو نفيس وراح بوهمند يثير الرأي العام الأوربي ليس فقط ضد المسلمين، بل حتى الإمبراطورية البيزنطية واصفا إياها بحليفة المسلمين والعقبة الكؤود في وجه

---

[1] الصياد عبد المعطي، المرجع السابق، ص.ص.295-296.

[2] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.91.

[3] ابن تغري بردي، المصدر السابق،ج.7، ص.ص.73-74.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9، ص.ص.72-73؛Yewdale,op.cit., pp.99-10؛ عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.404.

[5] عاشور، الحركة الصليبية،ج.1، ص.406.

[6] أنظر، Raoul de Caen,op.cit.,p.288 .

[7] إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.137

الصليبيين[1]. أمضى بوهمند بعضا من سنة 1105م في إعداد بناء أسطول قوي، ثم قام بإرسال سفراء إلى البلاط الأنجليزي تمهيدا لزيارة الملك هنري الأول، غير أن هذا الأخير لم يُحبذ تلك الزيارة خوفا من تأثير بوهمند على فرسانه، لذا قرر مقابلته في فرنسا[2]،كما أن القائد النورماني وطد علاقته بفليب ملك فرنسا(1060م-1108م)، بأن تزوج كونستانس ابنة هذا الأخير[3]، وبعث بزوجة أخرى لابن أخته تانكريد لتوطيد العلاقة أكثر بفرنسا[4]، وبعد إتمام مراسيم الزواج اعتلى بوهمند منصة الكنيسة وخاطب الحضور، وراح يقص عليهم حروبه ومغامراته في المشرق، وطالبهم بالذهاب معه لخوض صليبيته واعداً إياهم بالأراضي والأملاك و المال[5]، وبهذا قويت رابطة التحالف بين الأمير النورماني والملك الفرنسي.

وأخيرا عاد إلى أبوليا سنة 1106م، ومعه جموع غفيرة من مختلف الجنسيات الأوربية من فرنسيين وإيطاليين وإسبان وأنجليز وألمان، الذين أيدوا فكرته ضد بيزنطة، وبهذه القوة أبحر الأمير شرقا مريداً بذلك مدينة دورازوDurazzo ذات الموقع الإستراتيجي، وكان ذلك في شهر أكتوبر سنة1107م، إلا أن الحظ لم يحالفه هذه المرة، إذ أن الإمبراطور الكسيوس أشرف بنفسه على تلك المواجهة، وتلقت كتائب الأمير خسائر جمّة أدت به إلى الإستسلام، وعقد مع الإمبراطور معاهدة ديفول(ديابوليس) سنة 1108م، بموجبها أصبح الأمير النورماني تابعا لألكسيوس وفصلا من أفصاله. وهكذا غدا الأمير النورماني في وضع لايسمح له بالإنتقال إلى المشرق، فعاد إلى إيطاليا وأحتجب عن الأنظار[6]، إلى أن وافاه أجله في 7مارس سنة 1111م بأبوليا ودُفن جثمانه بالكنيسة الصغيرة المجاورة لكاتدرائية سان سابينوس Saint-Sabinus بكانوسا Canosa بإيطاليا Italy[7].

---

1 عاشور، المرجع السابق، ج.1، ص.ص.407-408.

2 أنظر، Orderic Vital,Histoire de Normandie, Traduction de Guizot(M) Dans, C.M.R.H.F., Depuis la Fondation de la Monarchie Française Jusqu'au 13e Siecle,Imp.,De A.Belin,Paris,1827,T.IV,p.185.
Yewdale,op.cit,p.106؛ إسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.138.

3 أنظر، Suger,Vie de Louis le Gros,Traduction Auguste Molinier,Ed., Alphonse Picard, Libraire des Archives Nationales et de la Sociéte de L'Ecole des Chartes,Paris,1887,p.23. Orderic,op.cit.,T.IV,pp.186-187.؛ Anna Comnena,op.cit.,XII,p.213 ؛ فوشيه الشارتري،المصدرالسابق، ص.134.

4 أنظر، Anna Comnena, op.cit.,XII,p.213.

5 أنظر، Orderic,op.cit.,T.,IV,p.187؛ اسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.143.

6 عاشور، الحركة الصليبية،ج.1، ص.ص.409-410.

7 أنظر، Yewdal(R.B),op.cit.,p.133.

وهنا تظهر أهمية الإتفاقية، إذ أنها بينت نية الإمبراطور في موافقته على قيام إمارة أنطاكية طالما بقيت برباط التبعية له[1]، استمر تانكريد في وصايته على أنطاكية مواصلا سياسته التوسعية العدائية، على حساب المسلمين والبيزنطيين على حد سواء، إلى أن وافاه أجلة في شهر ديسمبر سنة1112م. وبوصول ريموند بواتييه إلى عرش الإمارة، تكون هذه الأخيرة قد إكتسبت الصبغة الفرنسية[2].

وبحلول سنة1144م سقطت الرها في يد عماد الدين زنكي، فكانت بمثابة الفاجعة التي حلت بالفرنج عامة، إذ إنهارت إحدى لبناته وأحدثت قلقاً واستياءً لدى الغرب اللاتيني، حينها بدأ يفكر في إرسال حملة صليبية جديدة، وبهذا أصبحت إمارة أنطاكية وجها لوجه مع سلاجقة الشام والعراق، إذ نجد الأمير ريموند يبادر بترضية الإمبراطور البيزنطي مانويل لعله يساعده[3]. حينها أعد الغرب العدة لتسيير حملته الصليبية الثانية (1145م-1149م) بإتجاه المشرق، ولكن هذه المرة يقودها الملك لويس السابع والإمبراطور الألماني كونراد الثالث، ولذا رأى ريموند في الحملة خير عون لإمارته المهددة بالخطر، ولاسيما أن هذا الأمير تربطه علاقة عائلية بالبلاط الفرنسي، إذ نجد أن ابنة أخيه وليم كونت بواتو زوجة لملك فرنسا. وحقيقة أن الأمير ريموند كان قد فكر في طلب المساعدة من الملك قبل حملته هذه، حيث أرسل له كمية ضخمة من الهدايا والأشياء النفيسة، آملاً في كسب مودته ورضاه[4]، ولهذا السبب تخوف الإمبراطور البيزنطي من ذلك، وخاصة أن ريموند قد أعلن ولاءه وتبعيته له سنة 1145م[5].

وفي 19 مارس سنة1148م نزل الملك الفرنسي بميناء السويدية، فأستقبله الأمير بحفاوة كبيرة وسار معه بإتجاه أنطاكية، وما إن إستقر المقام بالضيوف راح الأمير يناقش معهم خطته للهجوم على مدينة حلب، كونها خصمه العنيد الذي طال ما شكل عقبة كؤود في وجه طموحاته، خاصة في الجهة الشرقية، لكن الملك لويس السابع لم يعده بشيء ما لم يصل إلى القدس[6]، في حين كان أمراء اللاتين هم أيضا يطمعون للإستفادة من قوة هذه الحملة[7]. وهكذا بعد أن كانت الحملة الصليبية تريد استرجاع الرها، أصبح الصليبيون بين سياستين،

---

[1] عاشور، المرجع السابق، ج.1، ص.410.

[2] ماير، المرجع السابق، ج.1،ص.127؛ حسين عطية، المرجع السابق، ص.142.

[3] رانسيمان، المرجع السابق،ج.2، ص.ص.272-276.

[4] وليم الصوري،المصدر السابق،ج.3،ص.288.

[5] عاشور،الحركة الصليبية،ج.2،ص.ص.622-623.

[6] زينب عبد المجيد عبد القوي،اليانور دوقة أكوتين1122م-1204م ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،2009، ص.87 ؛ رانسيمان،المرجع السابق،ج.2،ص.ص.323-324.

[7] أنظر، Setton,op.cit.,Vol.I,p.504.

إما مساعدة ريموند وإسترجاع الإقطاعات الشمالية، أو الوقوف إلى جانب بيت المقدس[1]، وبهذا تم عقد مجمع في القدس حضره الملك الفرنسي والإمبراطور الألماني والملك بولدوين الثالث، دون حضور ممثلي الإمارات الصليبية وكان ذلك في 24 جوان سنة 1148م، حيث تم الإتفاق على مهاجمة دمشق الحليف الوحيد للصليبيين آنذاك[2]، ورغم حصارهم للمدينة إلا أنهم فشلوا في إقتحامها، وبهذا خابت آمالهم وتم رفع الحصار[3]. ولم يلبث أن أبحر ملك الألمان كونراد عائدا إلى الغرب[4] في شهر سبتمبر 1148م، في حين تخلف الملك لويس السابع إلى ربيع السنة التالية(1149م)[5].

وعليه جاءت الحملة الصليبية الثانية لدعم ركائز البيت الصليبي، فإذا بها تزيد من همة المسلمين ورفع معنوياتهم، ولذلك تجددت هجمات نور الدين محمود، وتم له فتح ما تبقى من إمارة الرها[6]،كما حلت الهزيمة بريموند ولقي مصرعه. ويقول ابن واصل:"وإنهزم الفرنج أقبح هزيمة...وقُتِل البرنس صاحب أنطاكية، وكان عاتيا من عتاة الفرنج، وعظيما من عظمائهم" وكان ذلك سنة544هـ/ 1149م[7]،وأصبحت أنطاكية مرة أخرى وجها لوجه مع القوة الإسلامية بقيادة نور الدين محمود، وأصبح عرش الإمارة شاغرا، إذ أن كونستانس أرملة ريموند أصبحت مطمع الأمراء[8].وعلى إثر الهزيمة تولى البطريك مسؤولية الدفاع عن الإمارة،لكن الرأي العام العلماني لم تعجبه فكرة وصي من رجال الدين، وأصبح من الضروري زواج الأميرة، على أنه يكون الوصي إلى حين الأجل ملك بيت المقدس، بولدوين الثالث كونه قريبها وليس سيدها الأعلى[9]. وبحلول سنة 1153م أصبح الفارس رينالد دي شاتيلون زوجا للأميرة كونستانس، وبهذا اعتلى عرش الإمارة وباشر مهامه بها[10]، وفي احدى غاراته على منطقة أعالي الفرات سنة 1160م وقع أسيرا لدى نور الدين محمود[11].

---

[1] أنظر، Stevenson,op.cit.,p.159 .

[2] باركر، المرجع السابق،ص.76؛ عاشور،المرجع السابق،ج.2،ص.631.

[3] أنظر، Stevenson,op.cit.,p.160.

[4] ابن واصل، المصدر السابق، ج.1،ص.113؛ ابن الأثير،المصدر السابق، مج.9، ص.ص.353-354.

[5] باركر، المرجع السابق، ص.76.

[6] المرجع نفسه، ص.ص.76-77.

[7] ابن واصل،المصدر السابق،ج.1، ص.ص.120-121.

[8] باركر،المرجع السابق، ص.ص.77-78.

[9] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.ص.382-383.

[10] أنظر، Schlumberger,op.cit.,p.13.

[11] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.3، ص.440.أنظر أيضا، Schlumberger,op.cit.,pp.148-149

ومن جراء طموحات مانويل وحملته على سوريا سنة 1158-1159م، خضعت بلاد الشام اللاتينية مايزيد عن عشرين سنة لتأثير السياسة البيزنطية، وأصبحت سيادة هذه الأخيرة معترف بها في الإمارة، ورغم ذلك ظل المجتمع بأنطاكية أقرب لبيت المقدس منه لبيزنطة[1]. وفي سنة 1162م إعتلى عرش الإمارة بوهمند الثالث بن ريموند بواتييه، وبدأ نشاطه العدائي ضد المسلمين والولاء للبلاط البيزنطي، ومن خلال السفارة التي أوفدها مانويل وبوهمند إلى هنري الثاني ملك أنجلترا(1154م-1189م) سنة 1179م، تبين مدى الإرتباط الوثيق بين أنطاكية وبيزنطة، حيث أن الإمارة كانت تتمتع بحماية الإمبراطورية مقابل تبعيتها لهذه الأخيرة[2]. وكان أن حلت بأرض الشام الحملة الفلمنكية (الألزاس) سنة 1177م بقيادة فيليب كونت فلاندرز، الذي رفض الوصاية على مملكة بيت المقدس، حين عرضها عليه الملك بولدوين الرابع بسبب مرضه، كما أنه لم يشارك في الحملة اللاتينية البيزنطية على مصر، ولكنه قام بمهاجمة حماة وشيزر، بصحبة كونت طرابلس وقام بمساعدة بوهمند الثالث للإستيلاء على حارم، وأراد بوهمند من ذلك تأمين حدوده الشرقية، التي طالما شكلت لإمارته قلقا مستمرا[3]،غير أن المتحالفين لم يستطيعوا دخول حارم، لذا رحلوا مقابل مبلغ من المال، بعد أربعة أشهر من حصارها، وكان ذلك في سنة 1178م/573هـ ودخلها الملك الصالح[4]. ويقول ابن شداد :"ولما علم الإفرنج ذلك رحلوا عن حارم، طالبين بلادهم وكان ذلك في التاسع عشر من رمضان سنة 573هـ/العاشر من مارس 1178م"[5]، وبهذا تفرقوا وعاد بوهمند إلى أنطاكية، دون تحقيق ما ضاع لإمارته أيام نور الدين محمود[6]. ومن الواضح أن فشل الحملة الفلمنكية، أدى إلى تبدد آمال الصليبيين في إسترجاع سيطرتهم على حوض العاصي،كما كان إنعكاسها سلبيا على المملكة نفسها[7].

وهكذا كانت سياسة بوهمند الثالث مع كل الحملات الصليبية، إذ نجده يحاول توظيفها لصالحه دون مراعاة الصالح العام الصليبي[8]، وبعد معركة حطين سنة 1187م بدأ البنيان الصليبي يتهاوى، أمام ضربات القوات الإسلامية عامة بقيادة صلاح الدين وبصفة خاصة إمارة أنطاكية، التي بدأت مساحتها تتقلص ولم يبق لها سوى عاصمتها وميناء السويدية وحصن المرقب، وبهذا أصبحت بحاجة للمساعدة خاصة من الغرب الأوربي، وإدراكا

---

[1] أنظر، Cahen,op.cit.,p.402.

[2] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.155، 172-173.

[3] نفسه ، ص.ص.180-182.

[4] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.10،ص.ص.87-88؛ عاشور،المرجع السابق،ج.2،ص.ص.755-756.

[5] ابن شداد ، النوادر السلطانية،ص.97.

[6] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.187-188.

[7] عاشور، الحركة الصليبية،ج.2،ص.756.

[8] حسين عطية،المرجع السابق،ص.182.

من بوهمند للخطر الذي يتهدد الوجود الصليبي، قام بدوره مع البطريرك ايمري في مراسلة حكام الغرب الأوربي وحثهم على إنقاذ ما تبقى للصليبيين[1]. ومن حسن حظ الصليبيين بالشام، أن ظهر كونراد مونتفرت في صيف سنة1187م، الذي حمل لواء المقاومة إلى غاية أن تم خروج الحملة الصليبية الثالثة(1187م-1192م)، والتي تولى قيادتها الإمبراطور الروماني فردريك Frederick (1152-1190م) وملك فرنسا فيليب(1180-1232م) وملك انجلترا ريتشارد (1189-1199م)[2]. ونتيجة للخلاف بين أنجليزا وفرنسا تأخرت جيوشهما[3]،بينما نرى مبادرة الجيش الألماني بقيادة الأمبراطور، وأثناء سير القوات الألمانية بإقليم أرمينيا، غَرِق الإمبراطور بنهر السالف Salef[4]، فتولى ابنه فردريك السوابي Frederick of Swabia قيادة الحملة – بعد أن اختل نظامها وأصابها المرض وعاد الكثير من أفرادها إلى الغرب- ودخلت بلاد الشام من جهة أنطاكية، واستقبلها بوهمند الثالث استقبالا يليق بالقادة، وقدم لفردريك يمين الولاء، وبها تم دفن جثة الإمبراطور الراحل[5].

ويروي المؤرخ ابن شداد أن أمير أنطاكية لما أحس بضعف الأمير الألماني ومرضه، أسرع إليه لنقله إلى أنطاكية ليموت عنده ويأخذ ماله[6]، ويقول ابن واصل عن حملة الألمان بعد أن تفرقت وأصابها المرض"وصار مُعظمهم حَمَلَة عَصِي و رُكّابُ حَمِير"[7]، غير أن الأمير السوابي شفي من مرضه و قام بوهمند الثالث بإستغلال القوات الألمانية وصرف نظرها بإتجاه حلب، لكن فردريك قرر التوجه لحصار عكا مع القوات الصليبية في أوائل شهر أكتوبر سنة1190م[8]. ورغم الحشد الكبير للحملة الصليبية الثالثة، إلا أنها لم تستطع إسترجاع بيت المقدس، ولكنها قدمت الكثير للصليبيين بالشام، وهذا بإسترجاع الساحل القديم للمملكة، بما فيه موانئ صور وحيفا وقيسارية وأرسوف ويافا، فضلا عن مدينة عكا، والتي أصبحت قاعدة مملكة بيت المقدس قي عهدها الجديد[9].

---

[1] حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.211-212.

[2] أنظر، Jacques de Vitry,Histoire des Croisades,Traduction Guizot(M),dans, C.M.R.H.F.,Depuis la Fondation de la Monarchie Française Jusqu'au 13e siecle,Imp.,De Lebel,Paris,1825,I,pp.247-251.

[3] عاشور،المرجع السابق،ج.2،ص.ص.844-845؛ للمزيد أنظر،ماير، المرجع السابق،ج.1، ص.ص.196-197.

[4] أنظر، Jacques de Vitry,op.cit.,I,p.256 ؛ للمزيدأنظر، Ernoul,op.cit.,pp.248-249,Marge(5).

[5] سعيد عمران، المرجع السابق، ص.ص.148-150. للمزيد عن حملة الألمان أنظر، ماير، المرجع السابق،ج.1، ص.ص.191-192.

[6] ابن شداد، المصدر السابق،ص.197.

[7] ابن واصل، المصدر السابق،ج.2،ص.322.

[8] عاشور، الحركة الصليبية،ج.2،ص.851.

[9] المرجع نفسه، ج.2، ص.902.

وبعدم مشاركة بوهمند الثالث في الحملة الصليبية الثالثة، إلا أنه إستطاع ان يحصل من الملكين فيليب وريتشارد على بعض التعزيزات والمؤن سنتي 1189م و1190م[1]، وبعد وفاته سنة 1201م، أصبح بوهمند الرابع أميرا لأنطاكية—طرابلس[2]،وتظهر علاقاته مع ملوك وأباطرة الغرب من خلال ما حققته من نتائج التي أرادها، إذ نجده يشارك في الحملة التي شنها أندرو الثاني Andrew II ملك المجر وهيوج الأول Hugh I ملك قبرص وليوبولد السادس Leopold VI دوق النمسا سنة 1217م على قلعة جبل الطور[3]، وكادت القلعة أن تسقط لولا تراجع قوات بوهمند الرابع، مما دفعهم إلى رفع الحصار[4]. ويقول ابن واصل:" ثم قصد الفرنج الطور...وكادوا يملكونها"[5]، أما عن الحملة الصليبية الخامسة، التي شنها الملك حنا دي برين John de Brienne (1218م-1221م) على مصر، فقد كانت مشاركة بوهمند الرابع مقتصرة على إشراك هيئة الداوية ضد هجوم الملك المعظم حاكم دمشق عن قلعة عثليت، وكان هدفه من تلك المشاركة نيل رضا المندوب البابوي بيلاجيوس Pilagius(1210م-1225م)، الذي أصدر بحقه قرار الحرمان من قبل، ومن ثم يحصل على إعتراف البابوية به كأمير[6].

أما عن آخر الحملات الصليبية في عهده، كانت حملة فردريك الثاني Fredrick II (1228م-1229م)، إمبراطور ألمانيا (الإمبراطورية الرومانية المقدسة) ولقد كانت مشاركته كحليف، غير أن فردريك الثاني يرى بأنه مجرد تابع ويظهر ذلك من خلال طلبه للأمير، بأن يُقسم يمين الولاء والتبعية له حين إستقباله في جزيرة قبرص[7]، ولما رأى بوهمند أنه محروم من الكنيسة ومن المدد فتظاهر بالمرض وهرب إلى الشام[8]، ولكن رد فعل الإمبراطور كان قاسيا، إذ نجده يستثني أملاك بوهمند أثناء عقده معاهدة يافا مع الكامل الأيوبي سنة 1229م/627هـ، كما أنه أقصى أملاك الداوية والأسبتارية الموجودة في نطاق أملاك الأمير النورماني، وأوصى مرة أخرى نوابه في عكا بعدم تقديم أية مساعدة لبوهمند، إلا أن الأمير تودد للإمبراطور بأن منح لهيئة التيوتون منح في إمارة طرابلس ترضية لهذا الأخير[9].

---

[1] حسين عطية، المرجع السابق،ص.230.

[2] نهى فتحي، المرجع السابق،ص.62.

[3] بناها الملك العادل أبو بكر بن أيوب سنة 1212م/609هـ ، انظر،ابن الأثير، المصدر السابق،مج.10،ص.359.

[4] عاشور،المرجع السابق، ج.2،ص.ص.957-959 ؛حسين عطية،المرجع السابق، ص.ص.306-308؛نهى فتحي،المرجع السابق،ص.74.

[5] ابن واصل،المصدر السابق،ج.3،ص.257.

[6] حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.314-315؛نهى فتحي،المرجع السابق، ص.ص.74-75.

[7] نهى فتحي، المرجع نفسه،ص.75؛ أنظر أيضا، حسين عطية، المرجع السابق،ص.330.

[8] حسين عطية،المرجع نفسه،ص.330.

[9] رانسيمان،المرجع السابق، ج.3،ص.257؛نهى فتحي،المرجع السابق،ص.ص.75-76.

وبعد وفاة بوهمند الرابع سنة 1233م تولى العرش ابنه بوهمند الخامس[1]، ورغم ما تميزت به شخصيته من ضعف ورعونة، إلا أنه يعتبر ذا كفاءة ومن أقوى الأمراء الذين عرفهم الشام الصليبي، غير أن هذه الفترة كان الوجود الصليبي آخذا في الإنهيار، وأما علاقته بالملك لويس التاسع(1214م-1270م) فتظهر عند مجيء هذا الأخير إلى مصر، فبينما كان الملك راسيا بأسطوله في جزيرة قبرص، إذا ببوهمند الخامس وبطريرك أنطاكية يطلبان مساعدته ضد قبائل التركمان، ولهذا أرسل لويس ستمائة فارس إلى المدينة[2]، كما قام الملك مرة أخرى بوساطة لإحلال السلام بين بوهمند الخامس وملك أرمينيا قسطنطين، حيث تم عقد هدنة بينهما في شهر جوان سنة 1249م كان مداها سنتين[3]. وبوفاته سنة 1251م خلفه ابنه بوهمند السادس(1251م-1268م)،حينها كان لا يزال صغيراً، لذا تولت أمه لوسي الوصاية عليه والتي إنصرفت للإقامة في طرابلس، وكان لذلك أثر سلبي على إمارة أنطاكية[4]، وحقيقة أن أمراء أنطاكية كانوا منذ مطلع القر13م يفضلون الإقامة في طرابلس نتيجة موقعها[5].

وبوجود لويس التاسع في بلاد الشام، استغل بوهمند السادس هذه الفرصة مترجيا الملك ليرفع وصاية أمه عليه، ويطلب منه أن يأمرها بأن تمده بالمال والرجال لمواجهة ما تعاني منه أنطاكية[6]، وهكذا تخلص بوهمند من الوصايه، وحظيت إمارة أنطاكية بوجود أميرها يقوم برعاية شؤونها[7]، ولم ينس الأمير فضل الملك، إذ نراه يضم شعاره وسلاحه إلى شعار فرنسا وسلاحها[8]. ولقد كانت سياسة لويس التاسع في بلاد الشام، ليست فقط لتقوية الإمارات الصليبية فحسب، بل ومن الضروري إتخاذ خطوة ترمي إلى جمع كلمة الفرنج بالمنطقة ومنع أسباب الفُرقة[9].

---

[1] رانسيمان،المرجع السابق، ج.3، ص.ص.256-257.

[2] حسين عطية، المرجع السابق،ص.376.

[3] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.ص. 84، 79-80.

[4] جوزيف نسيم، المرجع السابق،ص.303.

[5] أنظر، Bouchier,op.cit,p.266 .

[6] أنظر، Joinville,op.cit,pp.219-220 .

[7] حسين عطية، المرجع السابق،ص.391.

[8] كان شعار فرنسا آنذاك هو علم دير القديس دنيس St.Denis، ولونه أحمر مشقوق من جانبه الطليق، أصبح شعار ملوك فرنسا منذ عهد فيليب أغسطس وابنه لويس الثامن بعد ضم مقاطعتي بنتواز ومنت إلى الأراضي الملكية،كما توجد قطع نقدية لأنطاكية علها الشعار الفرنسي، المسيح يقهر، المسيح يحكم، المسيح يهيمن،أنظر،جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص.309حاشية (2)؛ حسين عطية،المرجع السابق،ص.390حاشية(182).

[9] جوزيف نسيم،المرجع السابق، ص.300.

ونتيجة لاستمرار غارات قبائل التركمان على أنطاكية، وتدهور أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والتي لم تعد في المستوى المطلوب، قام أميرها بوهمند السادس بمراسلة هنري الثالث ملك أنجلترا في 14 ماي سنة1255م يطلب مساعدته[1]. وكل ذلك يبين مدى تأثر الإمارة منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري، بمشكلة أنطاكية ومادار حولها من صراع بين الصليبيين والأرمن، وتداخل أطراف الصراع فيها، إضافة إلى هجمات قبائل التركمان على إقطاعات الإمارة، والتي كانت سببا في هجرة السكان، فضلا عن تراخي الأمراء عن حكم أنطاكية واستقرارهم في طرابلس.

2-علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالبابوية :

إن إنطلاق الحملة الصليبية باتجاه المشرق كان بتوجيه بابوي، إذ أن البابا أوربان الثاني لعب دورا رياديا في إثارة الحماس الديني، لدى الغرب اللاتيني خاصة الأمراء والفرسان، لذا نراه يعقد آماله عليهم لتحقيق النصر المؤزر على المسلمين، واسترجاع الأراضي المقدسة في بلاد الشام، وبهذا تكون للبابوية اليد العليا في أوربا، بل حتى على العالم المسيحي بشقيه الغربي والشرقي.

وعليه فإن هذه الفكرة لقيت استحسانا وإقبالا كبيرين، لمن كان يريد تحقيق طموحاته هناك، ونخص بالذكر القائد النورماني بوهمند بن جويسكارد، الذي كان يطمح لتأسيس مُلك في الشرق، الذي طالما حلم به. وهكذا وإن اختلفت النوايا، إلا أن الحملة لا زالت ترتبط بتوجيه البابوية، فعند وفاة المندوب البابوي أدهيمار عقد القادة اجتماعا، وتم إرسال موفديْن إلى روما يخبرون البابا أوربان الثاني بوفاة مندوبه، ويطالبونه بالحضور إلى أنطاكية[2]، وما هذا إلا دليل على أن الحملة لازالت تدين بالولاء للبابوية في روما، والطمع في المزيد من المساعدة،كما أن الرسالة تتحدث عن الصعوبات التي تعرضوا لها، من قِبل الهراطقة واليونانيين والنساطرة واليعاقبة، وكل ذلك يزيد من حدة الإنشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية[3].

وعند قدوم المندوب البابوي الجديد دايمبرت بأسطوله من بيزا إلى المشرق، نرى القائد النورماني بوهمند يسعى لتحقيق أطماعه، وكسب تأييد البابوية من جديد، إذ نراه يطلب المساندة من دايمبرت وقام بحصار اللاذقية البيزنطية، غير أنه لم يحقق هدفه[4]،كما أن أنطاكية ستُحظى بالتأييد في ما بعد جراء مساعدة بوهمند لدايمبرت

---

[1] للإطلاع على رسالة بوهمند السادس إلى ملك أنجلترا هنري الثالث. أنظر الملحق (11)،ص.214.

[2] أنظر، Runciman,opp.cit,Vol.I,p.256.

[3] أنظر، Runciman,The Eastern Schism, pp.86-87.

[4] فوشيه الشارتري، المصدر السابق،ص.81 حاشية(213)؛ عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.344؛حسين عطية،المرجع السابق، ص.125، حاشية (94).

في اعتلاء كرسي البطريركية ببيت المقدس(1099م-1103م)[1]،بمعنى أن إمارة أنطاكية أصبحت تحظى بتأييد البابوية في الغرب، وهذا من خلال إعتراف دايمبرت بإمارة بوهمند في أنطاكية.

ومن خلال إستراتيجية الفرنج في شمال الشام، وتعرضهم للهزيمة في مدينة حران سنة 1104م، وما نتج عنها من خسائر في الممتلكات الصليبية خاصة أنطاكية، التي أصبحت في أسوأ حال وليس بإماكان بوهمند مواجهة الأتراك واليونايين، لهذا ترك تانكريد وصيا على الإمارة وغادر بإتجاه الغرب، متوعدا بالرجوع وهذا بإثارة الحماس البابوي مرة أخرى وإعداد حملة جديدة[2]. ولكسب التأييد البابوي نراه يهدي كنيسة القديس نيقولاسSaint Nicolas في مدينة باري Bari، خيمة الأمير التركي كربوغا التي استولى عليها[3]، إضافة أنه أهدى كل ما يحمل من آثار مقدسة إلى الدوائر الكنسية والعلمانية، المرموقة صاحبة الكلمة في الغرب اللاتيني[4].

ويقول صاحب كتاب Historia Belli Sacri بأن الجماهير توافدت لتنظر في وجه بوهمند "وكأنهم ينظرون إلى المسيح نفسه"[5]، وفي سبتمبر من سنة 1105م قام بوهمند وصديقه دايمبرت بزيارة البابا الجديد باسكال الثاني، وكان هذا الأخير من المتحمسين للحركة الصليبية. وبهذا نستطيع القول بأن بوهمند سيجد عضدا يستند إليه في صليبيته، ولهذا قام البابا بإرسال الكاردينال برونو Bruno أسقف سيجني Signi الذي كان من أتباع البابا اوربان الثاني مندوبا بابويا بصحبة بوهمند للتبشير بالصليبية، حتى يكون لتلك الحملة طابعا دينيا واقبالا جماهيريا مثل صليبية أوربان الثاني. وبذلك مضى بوهمند في السير قدما بالتبشير لحملته ومن المرجح أنه وصل إلى الفلاندرز Flanders وحل في سانت أومير Sait-Omer في 30 من شهر مارس، ومن خلال حماسة البابوية يكون المندوب برونو قد رافقه في رحلته إلى مونزMons. وفي شهر أفريل تقابل مع أنسلم Anselme رئيس أساقفة كانتربري Canterbury و وليم William رئيس أساقفة روين Roan، حيث تم مناقشة المشروع الصليبي هذا[6].

وفي 26 من شهر جوان سنة 1106م قام المندوب البابوي بعقد مجمع في بواتييه، وتم مناقشة بعض المسائل المحلية، كما طُرحت قضية بوهمند والتي أثارت حماس الكثيرين[7]. ويقول سوجر أسقف سيجني :" Astitit

---

[1] أنظر،Yewdal,op,cit.,p.91؛ ماير، المرجع السابق،ج.1،ص.96.

[2] أنظر، Yewdale,op.cit.,p.102.

[3] أنظر، Ibid,p.106.

[4] اسحاق عبيد،المرجع السابق،ص.138.

[5] أنظر، Historia Belli Sacri في Yewdale,op.cit.,p.106.

[6] اسحاق عبيد، المرجع السابق، ص.ص.138، 141- 142.

[7] أنظر، Richard(Alfred),Histoire Des Comtes De Poitou,778-1204,Ed., Alphonse Picard et Fils,Paris,1903,T.,I, p. 449.

Astitit etiam ibidem romane sedis apostolice legatus,dominus brunoo,signinus episcopus,domino paschali papa,ad invitandam et confortandam sancti sepulchri viam dominum boamundum comitatus"[1]،

ومعنى ذلك (هناك وقف برونو مندوب البابا باسكال، ودعا لتخليص القبر المقدس برفقة الكونت بوهمند)،كما أن البابا باسكال الثاني عقد مجمعا في إيطاليا أثناء ذلك لإستنفار الشعب في صليبية الأمير النورماني[2]، إضافة إلى أن الأساقفة قد أيدوا بوهمند في فكرته للصليبية، حيث كان قد قابل في روما بطرس الثاني Peter II أسقف بواتييه Poitiers الذي وضع كافة إماكانات أسقفيته في خدمته[3].

وبعد الدعم الذي لقيه في بواتييه قصد بوهمند مقاطعة أنجو Anjou لجمع المزيد من المنخرطين، ويكون قد اتصل بالدوق جودفري مارتل Godfrey Martel الذي كان ذا نفوذ في تلك المنطقة، لكن على ما يبدو أن الأوضاع قد تغيرت بعد حدوث خلاف في الكونتية[4]. وطبقا لرواية إيكهارد Ekkehard فإن بوهمند قد واصل رحلته حتى إسبانيا[5]، وإن تم ذلك فعلا فإن بوهمند كان يدرك مدى حماسة الفرسان الإسبان في حروبهم ضد المسلمين هناك وبذلك ستجد فكرته آذان صاغية،كما قام بزيارة جنوة Genoa ثم إنتقل إلى أبوليا لإتمام بناء أسطوله. ولقد قُدرت قوات بوهمند بحوالي34000 رجل وفي شهر سبتمبر1107م حضر الأمير بوهمند صلاة القداس في كنيسة القديس نيقولاسSaint-Nicolas في مدينة باريBari، ثم توجه صوب الشرق في التاسع من شهر أكتوبر سنة1107م. ولقد كانت البابوية هي الموجه الأول للصليبية، حيث أرادت أن تجعل من نفسها رائدة العالم المسيحي غربا وشرقا، وسيدة القرار فيه معتبرة كل ما يتنافى مع تعاليمها خارج عن الدين ولاسيما بيزنطة، ويظهر ذلك في مبادرة باسكال الثاني في دعمه لصليبية بوهمند ضد الإمبراطورية خاصة[6].

وبوصول ريموند بواتييه إلى عرش الإمارة، والذي تم ترسيمه من طرف البطريرك رالف Ralf، حيث أقسم الأمير يمين الولاء والطاعة له غير أن ريموند سرعان ما انقلب عليه، وحاول ريموند توطيد علاقته بالكنيسة الغربية، إذ نجده يرسل خصوم البطريرك إلى روما والمتمثلين في لامبرت Lambert أحد شمامسة كنيسة أنطاكية وبصحبته أرنولف Arnulf ليلقيا تأييدا من البابا، كما أنه أجبر البطريرك رالف Ralf على الإنتقال هو أيضا

---

[1] أنظر، Suger,op.cit.,p.23 .

[2] اسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.ص.143-144.

[3] أنظر، Richard,op.cit.,T.I,p.449 .

[4] أنظر، Ibid.,T.I,pp.449-450.

[5] ايكهارد أف أورا Ekkehard of Aura في اسحاق عبيد، المرجع السابق،ص.144.

[6] اسحاق عبيد،المرجع نفسه،ص.144.

إلى روما[1]، ولكن بعودة رالف إلى المشرق تم تسوية مشكلته مع الأمير، فإذا ببطرس Peter رئيس أساقفة ليون Leon مبعوث البابا إينوسنتInnocent يصل إلى المشرق لتسوية ذلك الخلاف، غير أنه توفي دون تحقيق هدفه. ولما إستمرت المشكلة بعد موت المبعوث البابوي، إنتقل أرنولف إلى الغرب وألح على البابا بأن يسوي ذلك، وبهذا أرسل البابا مندوبه إلى المشرق وتم عقد عدة اجتماعات بأنطاكية حضرها الأساقفة ورؤساء الأساقفة، وكان المجمع يلقى تأييدا من الأمير ريموند، وانتهى الأمر إلى خلع البطريرك رالف من منصبه، في حين تم انتخاب ايمري أف ليموج بطريرك لأنطاكية[2].

من خلال ذلك نرى بأن البابوية في روما، كانت دوما تريد فرض طقوس الكنيسة الغربية على الكنيسة الشرقية، ويظهر ذلك من خلال تعيين بطاركة لاتين وجعل الكنيسة الشرقية ترتبط معها برباط التواصل. ونتيجة للصراع حول مشكلة أنطاكية ومعاقبة بوهمند لأعدائه من الهيئات الدينية، ساءت علاقته بالكنيسة كونها الراعي الأول لهذه الهيئات، وبهذا أصدر البابا إنوسنت الثالث Innocent III(1198م-1216م) قرار الحرمان ضد الأمير، كما قام بتحريض الهيئة ضده ومقاومته، بل إنتزاع أنطاكية منه لعدم إعترافه ببوهمند كأمير حينذاك[3].

وفي عهد ريموند روبين Raymond Rupen تحسنت العلاقة مع البابوية، إذ نجد البابا هونوريوس الثالثHonorius III (1216م-1227م) يضعه تحت حمايته ويوصى به خيراً كل القيادات الصليبية بالشام[4]. وعليه فإن تبعات الصراع بين أنطاكية وأرمينيا الصغرى، كانت نتائجه سلبية على المسيحيين في المشرق، ولذا قام البابا هونوريوس الثالث بإعلان الحرمان الكنسي ضد بوهمند الرابع، ردا على إنتقامه تجاه هيئة الأسبتارية، ولما شعر الأخير بذنبه وموقف الكنيسة المعادي له بادر بالتقرب إلى البابوية، إذ نجده يتصالح مع هيئة الأسبتارية في 26 اكتوبر 1231م، ولذلك قام البابا جريجوري التاسع Gregory IX (1227م-1241م) برفع الحرمان الكنسي عنه والإعتراف به أميرا على أنطاكية في 10افريل 1233م، غير أن اعترافه جاء متأخراً فلقد فارق بوهمند الحياة قبل أيام قليلة من هذا الإعتراف.

وبمجيء بوهمند الخامس إلى حكم الإمارتين، سلك سياسة مغايرة لسياسة أبيه مع البابوية، إذ نجده يسعى لترضيتها وكسب ودها، حيث انفصل عن زوجته الأولى آليس Alice أخت ملك قبرص بناءً على أوامر الكنيسة الغربية، لأن هذه الأخيرة اعتبرت زواجهما غير شرعي، خاصة وأنهما تربطهما قرابة من الدرجة الرابعة،كما استمر

---

[1] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.3،ص.186.

[2] نفسه، ص.ص.192-199.

[3] نهى فتحي،المرجع السابق،ص.70.

[4] حسين عطية، المرجع السابق،ص.301.

في إرضائه للكنيسة بأن تزوج من لوسي أف سيجني Lucy of Segni ابنة شقيق البابا إنوسنت الثالث[1]. وبهذا احتفظ بعلاقات طيبة مع روما[2]، واستطاع سنة 1244م أن يحصل من البابوية على تعهد يضمن له عدم إصدار قرار الحرمان ضده إلا من البابا نفسه[3].

وبوصول بوهمند السادس إلى عرش الإمارة، وتولي أمه لوسي الوصاية عليه وتعرض إمارة أنطاكية إلى غزوات الأتراك، طلب هذا الأمير من الملك لويس التاسع مساعدته والحصول من البابا إنوسنت الرابع (1243م-1254م) على قرار رفع وصاية أمه، ليباشر مهامه بنفسه في إمارته[4]، وفي سنة 1252 صادق البابا على قرار تولية الأمير حكم الإمارة[5]. وبوصول القوة الجديدة المتمثلة في المغول إلى بلاد الشام، قام بوهمند السادس بمحالفتهم مع صهره ملك أرمينيا الصغرى هيثوم الأول، إلا أن صليبي الشام لم يرضوا بذلك، وأبدوا تخوفهم من المغول نتيجة أعمالهم التخريبية واعتبروا تصرف بوهمند خيانة لهم وللمسيحية، ولهذا أصدرت الكنيسة قرار الحرمان ضده[6].

3-علاقة إمارة انطاكية الصليبية بالمدن التجارية الإيطالية :

كانت الحروب الصليبية مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي(نهاية القرن الخامس الهجري) مشجعا على إنتعاش التجارة، بعدما أصابها الركود طيلة القرن العاشر الميلادي(القرن الرابع الهجري)، وبهذا ظهرت أمالفي Amalfi وجنوة Genoa وبيزا Pisa ومرسيليا Marseille وناربون Narbuna وبرشلونة Barcelona لتنافس البندقية Venise في هذا النشاط[7]، خاصة وأن تجار إيطاليا قد إستفادوا في نهاية القرن العاشر من خدمات الإمبراطورية البيزنطية، وبهذا أسسوا علاقات تجارية مع مصر والشام[8]. وعليه فإن دعوة الكنيسة إلى الحروب الصليبية قد إنتزعت الغرب الأوربي من عزلته، وبهذا وجدت التجارة فرصتها في مواكبة الحملات الصليبية من ناحية ومرافقة الحجاج من ناحية أخرى[9]. وعند نجاح الحملة الصليبية الأولى أقدمت المدن الإيطالية على

---

[1] نهى فتحي،المرجع السابق،ص.ص.70- 71 ، 78-79؛ للمزيد أنظر، حسين عطية،المرجع السابق،ص.338.

[2] أنظر، Setton,op.cit.,Vol.,II,p.565.

[3] رانسيمان،المرجع السابق،ج.3،ص.257.

[4] أنظر، Joinville,op.cit.,pp.219-2220.؛ نهى فتحي،المرجع السابق،ص.85.

[5] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.390-391.

[6] نهى فتحي، المرجع السابق، ص.ص.90-91.

[7] عاشور، أوربا العصور الوسطى، النظم والحضارة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1959، ج.2، ص. 96.

[8] الحويري محمود، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام القرنين12و13م، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص. 112.

[9] نفسه.

المساعدة مقابل إمتيازات[1]، خاصة جنوة وبيزا والبندقية أتيحت لها فرصة المشاركة في ذلك المشروع لتحقيق أهدافها التجارية، فلولا أساطيلها لما استطاع الفرسان القيام بأي عمل في سواحل الشام[2]. ففي سنة 1097م تحرك أسطول جنوي نحو أنطاكية بعدته وعتاده لمساعدة الصليبيين هناك[3]، وفي السنة التالية منحهم بوهمند فندق وبعض الإمتيازات التجارية[4]، وكان ذلك في14جويلية سنة1098م مقابل خدمته[5] ضد غريمه ريموند وغيره من المنافسين[6].

وفي سنة1099م قامت بيزا هي الأخرى، بأمر من البابا بتقديم المساعدة للصليبيين للإستيلاء على بيت المقدس[7]، وهكذا فتح حوض المتوسط أو بالأحرى إعادة فتح منافذه للتجارة الغربية[8]، ولذلك قام بوهمند مرة أخرى بمد يد العون للبيازنة ويظهر ذلك في دعمه للمندوب البابوي دايمبرت أسقف بيزا الذي وصل إلى المشرق، والذي أصبح بطريركا لبيت المقدس[9]، لأن بوهمند كان يدرك مدى فعالية القوى البحرية الإيطالية خصوصا في هذا هذا الظرف. ولقد استمرت أنطاكية تدعم المدن الإيطالية وذلك بمنحها إمتيازات جديدة، وهذا أدى إلى استمرار دورها في المشرق الصليبي[10]. كما أن أمراء أنطاكية حافظوا على المنح السابقة، إذ نجد تانكريد الوصي على الإمارة يؤكد المنحة للجنوية سنة 1101م، التي كانت أيام بوهمند بل أنه يزيد عنها[11]، إضافة إلى أنه وهب للبيازنة بعض الإمتيازات مقابل إنتزاع اللاذقية من البيزنطيين، بحيث يمنحهم حيا في كل من اللاذقية وأنطاكية ومنحهم حق حرية التجارة والإعفاء من المكوس في كل أراضيه، وكان لهم ذلك حينما سقطت المدينة سنة 1108م[12].

---

1 ماير، المرجع السابق، ج.1، ص. 96. للمزيد عن أ هم المنح والامتيازات أنظر. الملحق (12)، ص.ص.215-217.

2 هايد وليم، المرجع السابق،ج.1،ص.ص.145-146.

3 أنظر، Pirenne Henri,Economic And Social History of Medieval Europe,New York,U.S.A., 1937,p.29.

4 أنظر، Pirenne Henri,op.cit.,p.29.

5 هايد،المرجع السابق، ج.1،ص.ص.147-148؛LA Monte,op.cit,p.266.

6 أنظر، Cahen,op.cit,p.490.

7 أنظر، Pirenne Henry,Medieval Cities-Their Origines And The Revival of Trade,Princeton University Press,Princeton ,U.S.A.,4Ed.,1946,p.90.

8 أنظر، Ibidem ؛Pirenne Henry, Economic And Social History,p.30.

9 أنظر، Yewdale,op.ci.t,pp.87-89.

10 حسين عطية، المرجع السابق،ص.162.

11 أنظر، LAMonte,op.cit.,p.266.

12 الحويري، المرجع السابق،ص.114.

وعليه لقد قامت المدن الثلاث بدور فعال في ربط بلاد الشام الصليبية بالغرب اللاتيني، وإذا كانت هذه المدن قد بذلت ما في وسعها من مساعدة، فإن ذلك يقابله إمتيازات تجارية مغرية حصلت عليها، وفي الوقت الذي سيطر فيه الصليبيون على سواحل الشام، كانت المدن الإيطالية هي صاحبة السيادة في نقل المحاصيل الشرقية بين موانيء الشرق والغرب. إن الإمتيازات التي حصلت عليها المدن الإيطالية، كانت سخية ومعفاة من تكاليف النظام الإقطاعي الفرنجي في المشرق، ومن بين الإمتيازات منحة الحي Quarter وهذا بمثابة مقاطعة مستقلة، كما أن لكل مدينة وكيل Bailiff لرعاية مصالحها، ولها إستقلالها في موازينها ومقاييسها الموجودة في الوطن الأم[1]، إذ أنه في إتفاقية 1123م نال البنادقة حي بأكمله في كل مدن المملكة، كما كان لديهم قناصل في صور وجبيل وأنطاكية ولهم حق ملكية فندق وكنيسة وبعض المنازل[2]. بمعنى أن المدن الإيطالية التجارية تتمتع بسلطان ونفوذ كبيرين، نتيجة خدماتها الجليلة هناك، لأن صليبي المشرق لايمكنهم الإستغناء عن خدماتهم، وبهذا يبقوا على اتصال بالغرب الداعم الرئيسي لإستيطانهم بالمنطقة.

ولقد كانت أنطاكية الداعم الرئيسي للمدن الإيطالية، وكل ما من شأنه تقوية الوجود الصليبي بالشام[3]، ففي سنة 1126م قام بوهمند الثاني بتجديد المنحة للجنوية، وأيضا بوهمند الثالث للبيازنة سنة 1170م، لقد تعددت منح الأمراء النورمان للمدن التجارية، حيث كان للبنادقة الكثير من المنح في عهد بوهمند الأول وتانكريد وبوهمند الثاني،كما قام بتجديدها ريموند بواتييه ورينالد دي شاتيلون وبوهمند الثالث. في حين تظهر أولى الإمتيازات للأمالفيين في اللاذقية سنة 1163م[4]، إضافة إلى ذلك تمتعت المدن التجارية الإيطالية بالحقوق القانونية التي تتجاوز الحدود الإقليمية في المدن الساحلية، كما لهم محاكمهم الخاصة[5]. ومن الملاحظ أن الإمتيازات التي حصلت عليها جماعات التجار عن طريق المعاهدة أو الهبة لم تؤد بهم إلى العبودية الإقطاعية أوتفرض عليهم ضرائب إلزامية. وكانت مشاركة الجمهوريات الإيطالية في الحروب الصليبية، كونها حليفة وعلى قدم المساواة، وبذلك نالت نصيبها من الغنائم معفاة من كل إلتزام، ومع ذلك تنص المعاهدات على مساهمتهم في الدفاع عن المدن التي استوطنوها[6].

---

1 الحويري، المرجع السابق، ص.ص.116- 117.

2 أنظر، Rey(E),Les Colonies Franques de Syrie au 12-13 Siecle,Libraire des Archives National,Paris,1883,p.70

3 حسين عطية، المرجع السابق،ص.161.

4 نفسه، ص.ص.162- 163.

5 أنظر، LAMonte,op.cit.,p.235 .

6 هايد، المرجع السابق،ج.1، ص.ص.168-169.

لقد قامت إمارة انطاكية بمساعدة بعض الإيطاليين على الإستقرار في شمال الشام، مثل أسرة أمبرياكو Amberico المستقرة في جبيل، كما كان هناك آخرون من بيزا مثل بليبانوس البيزاوي Plebanus of Pisa، الذي أصبح سيدا لقطاع البترون في كونتية طرابلس، وقد ارتبطت هذه الأسرة بأسرة بوهمند الثالث، حيث تزوج أحد أبناء الأمير بابنة بليبانوس وبهذا أصبح الإقطاع ملكا لأنطاكية. وعليه إذا كانت إمارة أنطاكية قد بسطت نفوذها على الواجهة البحرية، التي تصلها بالغرب بمساعدة أساطيل هذه المدن، إضافة إلى حصولها على أدوات الحصار والبناء والقوات من هذه الأساطيل، والنشاط التجاري الذي أوجدوه في الإمارة وإنعكاس ذلك إيجابيا على إقتصادها، فإنها بدورها كإمارة صليبية ساعدت على استقرار وضع هذه الجاليات في شمال الشام، وذلك بما قدمته من منح وإمتيازات[1]، إذ نجد كل أمراء أنطاكية قدموا الكثير لهذه المدن، ففي سنة 1216م قام ريموند روبين بمنح الجنوية محكمة خاصة في أنطاكية، كما أكد كل المنح للبيزاوية التي كانت في عهد بوهمند الثالث[2]. وبحدوث الصراع بين بوهمند الرابع وتابعه رينوار، قام الأمير بمنح إمتيازات للجنوية في إمارتيه، مقابل حصوله على العدة والعتاد والمبالغ المالية[3].

وبمجيء بوهمند الخامس أكد للبيزاوية المنح السابقة ليستفيد من المداخيل،كما أنه ساعد تجار مونبيلييه Montpellier على إنشاء مستوطنتهم وأعطى لقنصلهم حق الفصل في قضاياهم أو مع جنوة وبيزا، وخفض الرسوم على المبيعات والمشتريات والمرور إلى ثلث القيمة المعتادة[4]. وطبعا ساهم ذلك إلى حدما في إنعاش إنعاش الحركة التجارية بالإمارة، لكن مع مطلع القرن الثالث عشر الميلادي قل مجيء السفن الإيطالية إلى ميناء السويدية، نتيجة عدم الإستقرار بأنطاكية وتراجع إمتيازات الأمراء لهذه المدن[5].

---

[1] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.163-164.

[2] نفسه، ص.301.

[3] نفسه، ص.268.

[4] هايد، المرجع السابق، ج.1،ص.ص.329-330.

[5] حسين عطية ، المرجع السابق، ص. 378.

الفصل الثالث: علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى الإسلامية في المشرق

1- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة الدانشمند السلجوقية في الأناضول.

2- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة حلب.

3- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة شيزر .

4- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالزنكيين.

5- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالأيوبيين .

6- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالمماليك

7- تفاعل الإمارة مع المحيط الإسلامي.

8- سقوط إمارة أنطاكية الصليبية .

إن الحملة الصليبية الأولى وما حققته من نتائج في بلاد الشام، من قيام مملكة وإمارات صليبية لدليل على ضعف وتشرذم القوى الإسلامية بالمنطقة، في حين بينت وحدة الصف الصليبي ومدى قدرته على البقاء والاستمرار بهذه الأرض، إذ أن الصليبيين اتبعوا سياسة الهجوم وتعزيز وجودهم، مستغلين في ذلك الظروف التي تعيشها بلاد الشام. ولذلك نرى أن أمراء أنطاكية خاصة الأوائل انتهجوا إستراتيجية التوسع لتثبيت أركان الإمارة، على حساب جيرانهم من صليبيين ومسلمين[1]، ولكن لا يقتصر ذلك دائما على الجانب العدائي، بل أنه كان هناك اتصالا حضاريا[2]، فلا عجب عندما نلحظ مدى قوة الروابط الاجتماعية، التي كانت تنشأ من حين لآخر بين الصليبيين والمسلمين، بل أنها وصلت حد الصداقة والألفة[3].

1-علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة بني دانشمند السلجوقية في الأناضول :

إن الإستراتيجية التي اتبعها الأمير النورماني بوهمند في شمال الشام، قد أودت به للوقوع في الأسر، حيث أراد هذا الأخير تأمين حدوده الشمالية والشرقية، وبهذا وقع أسيراً في يد أمير سيواس الدانشمندي، إذ أن هذا الأمير كانت له أطماع في المنطقة، وكان ذلك سنة 1100م /493هـ[4]، ولقد قدر ابن الأثير قوة الفرنج آنذاك بخمسة الآف مقاتل[5]. ويقول ابن القلانسي:" نصر الله تعالى المسلمين عليه، وقتلوا من حزبه خلقا كثيرا وحصل في قبضة الأسر مع نفر من أصحابه"[6]، بينما يقول فوشيه الشارتري:" ولم يجرؤ رجالنا على القتال لقلة عددهم"[7]، وعليه تقدم الأمير النورماني بفرقته المؤلفة من ثلاثمائة فارس، ولكن محاولته فشلت ووقع في قبضة الدانشمنديين[8]، ويقول متى الرهاوي:" أن بوهمند تقدم بدون حذر ولا احتياط، كما أن فرسانه تركوا سلاحهم ودروعهم، وتزينوا مثل النساء اللواتي يتبعن الجنازة"[9]، وتُعزى خسارة بوهمند إلى أن الأرمن تواطؤا مع جبريل حاكم ملطية، إذ أنه كاتب الدانشمند يخبره بقدوم بوهمند[10].

---

[1] عاشور، الحركة الصليبية، ج.1،ص.417-423.

[2] الحويري محمود، المرجع السابق، ص.104؛ عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص.81.

[3] عاشور سعيد، المرجع نفسه، ص.81.

[4] علي بن صالح المحيميد، المرجع السابق، ص.177.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.29.

[6] ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.138.

[7] فوشيه الشارتري،المصدر السابق،ص.85.

[8] أنظر، Stevenson ,op.cit.,p.73.

[9] أنظر، Matthieu ,op.cit.,pp.230-231.

[10] علي بن صالح المحيميد، المرجع السابق،ص.180.

وعليه فأسْرُ الأمير النورماني كان فاتحة خير للمسلمين، وشؤم على الصليبيين ويقول رؤول دو كاين:"تلقى المسلمون نبأ أسر بوهمند بفرح عظيم، بينما المسيحيون تلقوه ببؤس وحداد"[1]، وهكذا غدا الأمير بوهمند أسيراً لدى الدانشمند في قلعة نيكسار(قيصرية الجديدة)، في أقصى الشمال الشرقي من شبه جزيرة الأناضول[2]. وبذلك أثير حماس المسلمين حيث بادر حكام الشام، خصوصا رضوان ملك حلب الذي خرج ونهب الغلال التي جمعها الفرنج، كما أغار على سَرْمين، لكنه تلقى رد فعل من جناح الدولة صاحب حمص، الذي تغلب عليه ونهب عسكره[3]، في حين قام سكمان الأرتقي وبتواطؤ مع السكان بإعادة مدينة سروج إلى حكمه[4]، وبهذا أتيحت الفرصة للإمبراطور البيزنطي الكسيوس، حتى وإن كان رد فعله من قبل تجاه سيطرة النورمان على بعض المناطق في قليقية، لذا قام بإرسال حملة عسكرية (1099م أو1100م) لانتزاعها من الصليبيين[5].

وعند مجيء الحملة اللومباردية حاول زعماؤها فك أسرِ بوهمند، ولكن ذلك كان حلما لم يتحقق، ويقول ابن الأثير:" وصل من البحر سبعة قمامصة من الفرنج، وأرادوا تخليص بيمند"، لكنهم تلقوا رد فعل عنيف كسر شوكتهم، وقَتلوا منهم خلقا كثيرا، كما تقدم اسماعيل بن الدانشمند نحو ملطية وملكها، وانتصر على قوات أنطاكية التي خرجت لملاقاته[6]. لقد كانت هزيمة الحملة اللومباردية ذات نتائج بالغة، إذ أن الصليبيين أخفقوا في إطلاق سراح بوهمند، إضافة إلى أن هوّة الخلاف اتسعت بين البيزنطيين والصليبيين، إذ اعتبر هؤلاء أن الإمبراطور الكسيوس هو المسؤول عن تلك الكارثة[7]. وأما في ما يخص الدانشمنديين فقد كان نصرهم عظيما، فقد واصل الملك غازي الدانشمندي غزواته في أعلى الفرات، بل وصل إلى مشارف كونتية الرها[8]، وتلقى الصليبيون انهزاما آخر في الجيش الثاني والثالث لحملة 1101م[9]، وبخصوص رد فعل أنطاكية والمملكة، إذ أن كل من تانكريد وبولدوين كانا حريصين على بقاء بوهمند أسيرا لفترة أطول، ولم يبذلا جهدا للتفاوض مع الدانشمند، وهذا نتيجة

---

[1] أنظر، Raoul de Caen, op.cit.,p.263.

[2] أنظر، Grousset, op.cit.,p.58.

[3] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2، ص.145.

[4] أنظر، Cahen, op.cit.,p.230.

[5] أنظر، Ibidem.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.29.

[7] علي بن صالح المحيميد،المرجع السابق،ص.187.

[8] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.54.

[9] علي بن صالح المحيميد، المرجع السابق،ص.188-189.

تحقيق لمصالحهما الإقطاعية[1].

وإستراتيجية من الإمبراطور الكسيوس راح يسعى لمفاوضة الأمير الدانشمندي، على تسليم بوهمند مقابل فدية، ولكن ذلك لم يتم[2]، في حين نجد ملك غازي الدانشمندي يستجيب لعرض الصليبيين، وهذا دليل على أنه كان سياسيا يدرك مدى خطورة تسليم بوهمند للإمبراطور، إذ به يستطيع مساومة الصليبيين وانتزاع أنطاكية وقليقية، وبالتالي أصبحت الإمارة الدانشمندية بين فكي رحى الإمبراطورية، وسياستها الرامية إلى طرد الأتراك من الأناضول نهائيا[3]. وعلى إثر إطلاق سراح الأمير النورماني عاد إلى سياسته العدائية تجاه المسلمين خصوصا حلب[4]، وبمجيء بوهمند الثاني إلى الحكم، حاول هو الآخر مد نفوذ إمارته، ففي شهر فيفري سنة 1130م سار باتجاه أرمينية لاسترداد عين زربا، فإذا بليون الأرميني يستنجد بالأمير غازي بن الدانشمند، فإذا بالكارثة تحل بجيشه، وفيها قُتِل الأمير النورماني[5]، وبموته حدثت اضطرابات في إمارة أنطاكية، إذ حاولت أرملته آليس أخذ الوصاية لنفسها على ابنتها الصغيرة كونستانس[6].

2-علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة حلب :

إن قيام إمارة أنطاكية بالشمال الغربي من بلاد الشام، وطموح النورمان في المنطقة جعل العلاقات تتوتر منذ بدايتها بين حلب والنورمان، فمنذ أن دانت أنطاكية لبوهمند وأصبح سيدا لها، بدأ يرسي دعائم إمارته على حساب الأعمال الحلبية ذات المواقع الهامة، التي تُشرف على أهم الطرق والممرات في المنطقة[7]، ودخلت حلب مع أنطاكية في مواجهات دامية انعكست سلبا على الجيش الحلبي[8]، إذ بلغ القتلى والأسرى عددا كبيرا[9]. وبتوسع إفرنج أنطاكية أصبحت المناطق الغربية من إمارة حلب ملكا للنورمان[10]، بل أن طموح الأمير النورماني بوهمند ازداد وأصبح يهدد حلب نفسها[11]. وبمجيء تانكريد ليتولى الوصاية على الإمارة واصل سياسة سلفه، إذ كان هو

---

1 رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.ص.63-64.

2 أنظر، Vasiliev, op.cit.,Vol.,II,p.410.

3 علي بن صالح المحيميد، المرجع السابق، ص.190.

4 ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9، ص.56.

5 رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.213.

6 أنظر، Cahen ,op.cit., p.350.

7 أنظر، Ibid.,pp.227-228.

8 ابن العديم، المصدر السابق، ج.2، ص.ص.143-144

9 أنظر، Stevenson. Op.cit.,p.72.

10 ابن العديم، المصدر السابق، ج.2، ص.144.

11 أنظر، Stevenson, op.cit.,pp.72-73؛ حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص.127.

الآخر طموحا لمد رقعة إمارته[1]، وبعودة بوهمند من الأسر واصل سياسته العدائية، كما فرض الأتاوى على بعض المناطق الخاضعة له من قبل[2]، بل نراه مرة أخرى يستولي على مدينة المسلّمية ويقرر عليها الجزية[3].

وفي الكارثة التي حلت بالصليبيين في معركة حرّان سنة 1104م/497هـ، وأسر جوسلين وبولدوين كونت الرها ونجاة بوهمند وتانكريد بصعوبة[4]، انعكس ذلك سلبا على إمارة أنطاكية، إذ أصبحت في أسوأ حال وتراجعت حدودها، بل أصبحت عرضة لتهديد قوات رضوان ملك حلب[5]. ويقول ابن العديم:"وعرف بيمند ضعفه عن حفظ البلد...فصار إلى بلاده في البحر، يستنجد بمن يخرج بهم إلى البلاد، واستخلف ابن أخته طنكريد يدبر أمر أنطاكية والرها"[6]، فبدأ هذا الأخير نشاطه العسكري ليمد حدود إمارته ويقوي قواعدها الأمامية على حساب حلب، وبهذا اضطر الملك رضوان إلى عقد هدنة معه في سنة 1105م/498هـ[7]،كما نرى أمير أنطاكية مرة أخرى يؤسس حلفا مع رضوان ضد التحالف الإسلامي الصليبي، الذي قاده كل من بولدوين كونت الرها وجوسلين صاحب تل باشر وجاولي حاكم الموصل، وكانت نتيجة ذلك انتصار تانكريد وحليفه رضوان[8].

وعند هزيمة القوات الصليبية في منطقة الفرات، اغتنم الملك رضوان تلك الفرصة وأغار على بعض الأعمال الحلبية التي فقدتها إمارته وإعادتها، بل هاجم عمل أنطاكية، وبهذا عاد تانكريد ونزل على الأثارب وملكها، وكان ذلك في جمادى الثانية سنة 503هـ/1110م[9]. وعليه فإن استيلاء الأمير الأنطاكي على المدينة يشكل تحولا خطيرا في تاريخ حلب وأعمالها، إذ أصبحت هذه المدينة في موقف لا تحسد عليه، فغدت عرضة لتهديدات تانكريد العسكرية والاقتصادية، مما اضطر رضوان إلى المصالحة وسلم بموجبه حصن زردنا جنوب الأثارب، ودفع مبلغ من المال وإطلاق الأسرى الصليبيين والأرمن[10]. ويقول ابن القلانسي بشأن ذلك :"واستقرت الموادعة بعد

---

[1] رنسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.ص.35-36.

[2] علي بن صالح المحيميد، المرجع السابق،ص.190-191.

[3] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.147-148.

[4] أنظر، Matthieu d'Edesse, op.cit.,pp.254-255.

[5] أنظر،Stevenson, op.cit.,p.78؛حسين عطية،المرجع السابق،ص.131.

[6] ابن العديم، المصدر السابق، ج.2، ص.149.

[7] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.133.

[8] نفسه،ص.134.

[9] ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.170.

[10] تومي رشيد، المرجع السابق، ص.271.

ذلك بين الملك فخر الملوك رضوان وبين طنكري، على أن يحمل إليه الملك من مال حلب في كل سنة عشرين ألف دينار مقاطعة، وعشرة رؤوس خيلا وفكاك الأسرى"[1]. وبظهور الحلف الإسلامي بقيادة مودود حاكم الموصل ضد تانكريد كان رضوان محايدا، بل أنه أغلق أبواب حلب في وجهه خوفا من نوايا السلطان السلجوقي[2]، ويقول ابن الأثير:"ووصلوا إلى حلب فأغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم"[3]، هنا يتبين عدم النية الصادقة في مواجهة الفرنج، رغم أن حلب هي المتضرر الأول من نورمان أنطاكية.

وبعد موت تانكريد سنة1112م تقلد عرش الإمارة روجر السالرني، الذي لا يقل كفاءة وجرأة عن سلفه[4]، واصل هذا الأخير ضغطه على حلب مما أدى إليه رضوان ما كان يأخذه منه تانكريد من أموال[5]. وعليه فإن الاتصال اللاتيني الإسلامي بسبب هذه العلاقة صنع جوا من التكافل والتبادل، وربما كان أكثر تعبيرا عن التعاون العسكري بين أنطاكية وحلب في سنوات 1108-1109م، وكان أساس ذلك التعاون هو النزاع بين النورمان واللوريين على حيازة الرها[6]، كما نجد مرة أخرى أن أتابك حلب يمد روجر بمعلومات، تخص مسير برسق بن برسق حاكم الموصل نحو الشام لقتال الفرنج، وبهذا استعد الأمير روجر وأوقع الهزيمة بالقوات الإسلامية في تل دانيث في 14سبتمبر سنة 1115م/23ربيع الثاني سنة509هـ[7]، وعقب ذلك الانتصار تم تعزيز منطقة السُّمَّاق[8]، وتحصين كفرطاب وإعادة تعمير معرة النعمان[9]، ويعتبر الانتصار في تل دانيث أهم انتصار منذ الحملة الصليبية الأولى خاصة لنورمان أنطاكية[10].

ويقول المؤرخ ستيفنسن :" فالأربع سنوات التي تلت وفاة تانكريد (1113م-1116م)، لم تكن هناك

---

1 ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.171.

2 حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.ص.135-136حاشية (158)-(159).

3 ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9،ص.144.

4 حسين عطية، المرجع السابق،ص.137.

5 ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.163.

6 أنظر، Asbridge Thomas,The Crusader Community at AntiochM: The Impact of Interaction Withe Byzantium and Islam, Transaction of The Royal Historical Society,U.K., Sixth Series,Vol.,9,1999,pp.319-320.

7 حسين عطية، المرجع السابق، ص.138.

8 جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشمل مدن كثيرة وقرى وقلاع، عامتها للإسماعيلية وأكثرهم في طاعة صاحب حلب. أنظر، الحموي، المصدر السابق،ج.2،ص.102.

9 أنظر، Asbridge Thomas, The Creation of The Principality of Antioch, pp.72-73.

10 أنظر، Cahen, op.cit.,p.274.

عدائية بين أنطاكية وحلب، حتى وإن كان النصر في دانيث، لم يُسفر ذلك عن تغيير في السياسة"[1]، وبذلك تنازل ياروقتاش أتابك حلب لروجر عن حصن القبة على طريق حلب دمشق، كما أعطاه حق فرض الضرائب على القوافل المتجهة نحو الجنوب، وبهذا أصبح للأمير الأنطاكي سيطرة كاملة على الطرق من حلب إلى دمشق. كما مد نفوذه إلى أقصاه جنوبا وشرقا، مستغلا الصراع بين حكام المسلمين حول حلب، وأهم ما استولى عليه روجر هو حصن المرقب[2].

وفي سنة 1117م خضعت حلب لحماية روجر، وحتى العلاقات الودية بينهما لم تزل حتى السنة التالية[3] كما أن طموحه لم يتوقف، إذ قام بالاستيلاء على مدينة عزاز سنة 511هـ/1118م، ويقول ابن العديم:"وانقطعت قلوب أهل حلب، إذ لم يكن بقي لحلب معونة إلا من عزاز وبلدها، وبقية بلد حلب في أيدي الفرنج"[4]، خاصة بعد استيلاء روجر على البزاعة في الشمال الشرقي من حلب في أوائل 1119م/513هـ. وبذلك طوق حلب من كل جهة[5]، ويقول ابن الأثير:"في هذه السنة (513هـ) سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب، فملكوا بزاعة وغيرها...ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا"[6]، ولهذا أرسل أهل حلب يطلبون المساعدة من ايلغازي صاحب ماردين، فدخلها وتسلم قلعتها وبدأ يجمع العساكر وأنضم إليه طغتكين أتابك دمشق، وبادر بالخروج لمواجهة الفرنج، وهكذا لم يشعر الصليبيون"إلا ورايات المسلمين قد أقبلت، وأحاطوا بهم من كل جانب"[7]، "ضربا بالسيوف ورشقا بالسهام" ومنح الله النصر للمسلمين، وكان من بين قتلاهم مقدّمهم روجير، وكان هذا يوم السبت السابع من شهر ربيع الأول سنة 513هـ/1119م، في المكان المعروف بشرمدا(سرمدا)، وقيل في دانيث البقل بين حلب وأنطاكية[8]، ويروي ابن الأثير خبر ذلك": وأما سيرجال صاحب أنطاكية فإنه قُتِل وحُمِل رأسه، وكان ذلك في منتصف شهر ربيع الأول سنة 513هـ/25جوان1119م"[9]، بينما يقول أسامة بن منقذ:"وأن نجم الدين ايلغازي لقي روجار بدانيث يوم

---

1 أنظر، Stevenson, op.cit.,p.101.

2 حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.139.

3 أنظر، Stevenson, op.cit.,p.101.

4 ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.182.

5 حسين عطية، المرجع السابق،ص.140.

6 ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9، ص.185.

7 ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.185-188.

8 ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.200-201.

9 ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9، ص.186.

الخميس الخامس من جمادى الأولى سنة 513هـ/13أوت1119م فقتله وجميع عسكره"[1]، ويقول فوشيه الشارتري:"وفي سنة 1119م قُتِل روجر، ومعه سبعة الآف من رجال أنطاكية قرب بلدة أرتاح، "وما قُتِل من الأتراك سوى عشرين"، ويُرجِع فوشيه ذلك إلى كثرة خطايا روجر ورجاله[2]، في حين يقول وليم الصوري:" وهكذا ترتب على كل ما ارتكبتاه من الخطأ، إن لم تقدر النجاة لأحد من الألوف الذين تبعوا مولاهم،...ولم يبق منهم أحد في الحياة ليروي خبر ما جرى"[3].

ويعلق المؤرخ توماس اسبريدج عن تغيُّر سياسة حلب تجاه أنطاكية، بقوله:" وبمجيء ايلغازي أدى إلى تغيير في سياسة الحلبيين من المهادنة إلى العدوان، وليس من المعروف ما إذا كان ايلغازي نفسه غيّر هذه السياسة، أوما إذا كان ببساطة تقدم بجيشه، لتنفيذ مطالب سكان حلب"[4]. ولقد كانت بحق أكبر كارثة تتعرض لها قوات أنطاكية، إذ قُتِل في المعركة ما يقارب خمسة عشر ألفا من الفرنج، من بينهم الأمير سيرجال (روجر) السالرني، وكان دخول الملك بولدوين في الوقت المناسب "ولو سبقه إيلغازي إلى أنطاكية لما امتنعت عليه"[5]، فوصوله أنقذها من تلك الفاجعة التي كادت أن تعصف بالوجود النورماني في أنطاكية، حيث شكل حاجزا لمنع دخول نجم الدين ايلغازي[6]، إذ نجده تولى شؤون الإمارة و جهز الحصون وأمدها بالرجال والذخيرة وزوج الأرامل وقام بكل ما يلزم[7].

وبعد تجمع القوات الصليبية بقيادة ملك بيت المقدس، وكونت طرابلس وكونت الرها ارتدت على أعقاب جيش التحالف الإسلامي، فوقعت المعركة في تل دانيث، في ما وراء نهر العاصي وكان ذلك في 14أوت[8]، لقد كانت هذه المعركة بعد كارثة ساحة الدم، إذ أنها ارتبطت بمصيرهم في الشمال ومع هذا لم يكن انتصارهم حاسما، بل نجد ايلغازي يُغير مرة أخرى على الممتلكات الصليبية في أطراف الرها وأعمال أنطاكية[9]. ويقول فوشيه

---

[1] أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.119.

[2] فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص.186.

[3] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.2، ص.352.

[4] أنظر، Asbridge, op.cit.,pp. 74-75.

[5] ابن العديم، المصدر السابق، ج.2،ص.189 ،191.

[6] أسامة بن منقذ، المصدر السابق،ص.119-120.

[7] وليم الصوري، المصدر السابق، ج.2،ص.357. للمزيد حول ذلك أنظر، تومي رشيد، المرجع السابق، ص.ص.283-288.

[8] أنظر، Grousset ,op.cit.,p.93.

[9] صفاء عثمان محمد،المرجع السابق،ص.88.

الشارتري:" نشب قتال عنيف ولم يُحسم النصر لأحد لفترة طويلة، ...إذ بالأتراك يفرّون من ساحة المعركة "، وكان ذلك في 14 أوت سنة1119م[1]، بينما يبين ابن العديم أن النصر كان حليفا للمسلمين[2]. وعليه وإن اختلفت المصادر بشأن النتائج، فإنها بينت تلاحم القوى الصليبية وإنقاذ أنطاكية من كارثة محققة، وامتدت وصاية الملك على الإمارة سبع سنين من 1119م إلى غاية مجيء بوهمند الثاني سنة 1126م[3]. وكانت وصاية الملك في الوقت المناسب، إذ أنه حافظ على ممتلكات الإمارة ولم يستول المسلمون على أملاك أنطاكية، سوى زردنا والأثارب وكل ما اكتسبوه هو تخفيف الضغط النورماني على حلب[4].

وعليه كانت نتائج معركة ساحة الدم بعيدة الأثر، إذ أنها أشارت إلى نهاية الدور الهام الذي لعبه نورمان جنوب ايطاليا في تطور الإمارات الصليبية، ومنذ ذلك الحين تفوق الفرنجة عليهم[5]، أي علا شأن البوفنساليين والفرنسيين القادمين من وسط فرنسا وشرقيها[6]. بعد ذلك تصالحت حلب وأنطاكية، بأن قام نجم الدين ايلغازي بإعطائهم المعرة وكفرطاب والجبل وغيرها من الضياع[7]، ويقول ابن القلانسي:" وفيها وقعت المهادنة بين نجم الدين ايلغازي صاحب حلب، وبين الفرنج وتقررت الموادعة والمسالمة، وكف كل جهة من الفريقين الأذيّة عن الآخر"[8]، وعليه فبقدر ما قامت به حلب من ضربات موجعة للإمارة في مهدها الأول، بقدر ما أعطت لها أمانا مكنها من استرجاع أنفاسها، وأيقظت ضمير الفرنج تجاه ما يعانيه إخوانهم من ضغط في شمال الشام، ولذلك نرى قوات المملكة وغيرها تهُب على جناح السرعة، لتقديم الدعم محبة تجاه إخوانهم وخوفا على أنفسهم.

ولما تجددت غارات ايلغازي سنة 1120م و1122م على أعمال أنطاكية، طلب سكانها مساعدة الملك للدفاع عن الإمارة[9]، ورغم النجاحات التي حققها ايلغازي في الشمال لم تجعل إمارة حلب سيدة ذلك الإقليم، وربما ذلك يعود إلى عدم تمكين هذا الأمير لنفسه في تلك المواقع، إذ يقول ابن الأثير:"وكان إيلغازي لا يطيل المقام

---

[1] فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص.187،حاشية(19).

[2] ابن العديم، المصدر السابق، ج.2،ص.192.

[3] أنظر، LA Monte ,op.cit.,p.192.

[4] حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص.141، رنسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.187.

[5] ماير، المرجع السابق،ج.1،ص.113.

[6] صفاء عثمان ،المرجع السابق،ص.85.

[7] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.196-197.

[8] ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.202.

[9] أنظر، Grousset ,op.cit.,p.94.

في بلد الإفرنج، لأنه كان يجمع التركمان للطمع، فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود، فإذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الأموال ما يفرقها فيهم"[1]. وبعد تعرض قوات ايلغازي للهزيمة أمام قوات الكُرْج[2]، واستقلال ابنه بحلب تكون بذلك الفرصة قد تهيأت لأنطاكية، فقام الملك بولدوين بهجومه على حلب، فما كان من سليمان بن ايلغازي إلاّ عقد هدنة معه وتنازل بموجبها عن حصني زردنا والأثارب، وبذلك ضيّع كل ما حققه والده[3]. ولما علم ايلغازي خبر ذلك انتقل إلى حلب وأجبر ولده على الاستسلام، وولى أمر حلب ابن أخيه سليمان بن عبد الجبار وتصالح مع الفرنج مدة سنة، وأبقى ما كان في أيديهم من الحصون كالأثارب و زردنا وكان ذلك سنة1122م/ 516هـ[4]، وبهذا استطاع نجم الدين إيلغازي أن يحد من نشاط الفرنج في الشمال، خاصة نورمان أنطاكية الذين تلقوا ضربة قاسية في معركة ساحة الدم، وأن يعيد لإمارة حلب مكانتها كقوة فاعلة وأن تحفظ توازن القُوى بين المسلمين والصليبيين في شمال الشام، إلى غاية مجيء قيادات أكثر فعاليّة وأقدر على تحمل مسؤولية الدفاع عن المعاقل الإسلامية، وهكذا إلى أن وافاه أجله في شهر رمضان سنة 516هـ /1122م[5].

وبفضل سياسة بولدوين الثاني استطاع المحافظة على إمارة أنطاكية، كقوة في الشمال واسترجاع هيبتها بفضل سعيه الحثيث في توحيد القُوى الصليبية، ولذلك نراه يكرس جهوده لتحسين أوضاعها، لأن ذلك بالضرورة يعود بالفائدة على المملكة نفسها[6]. ولاشك أن وفاة ايلغازي كانت فرصه للفرنج في شمال الشام، إذ أن حلب كانت بيد سليمان بن عبد الجبار" ولم يكن له بالفرنج قوة"، لذا تعددت غارات الفرنج على أعمال حلب، إلى أن هادنهم وسلم إليه حصن الأثارب، ولم تزل لهم إلى أن استرجعها عماد الدين زنكي[7]، ويقول ابن العديم:"ولما سمع صاحب أنطاكية بوفاته، حشد عسكره وجماعة من الأرمن، ونزل وادي بزاعا"، كما كانت له غارات على بعض الحصون والمعاقل "وفي العاشر من شهر صفر سنة 517هـ/1123م، استقر الصلح بين بدر الدولة

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9، ص.ص.194-195.

[2] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.204-205. والكُرْج قوم من النصارى يسكنون جبال القبْق، ازدادت قوتهم وبهذا ملكوا مدينة تفليس.أنظر، الحموي،المصدر السابق،ج.4،ص.446.

[3] صفاء عثمان، المرجع السابق،ص.92.

[4] ابن العديم، المصدر السابق، ج.2،ص.201-203.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.217؛ ابن القلانسي،المصدر السابق،ص.208.

[6] صفاء عثمان، المرجع السابق،ص.93.

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9،ص.221.

صاحب حلب، وبين بغدوين صاحب أنطاكية على أن يسلم بدر الدولة إليه قلعة الأثارب"[1]، وحصلت في أيديهم واستمرت الموادعة، على هذا واستقامت أحوال الأعمال بين الجانبين[2]. وبذلك نجح الملك بولدوين الثاني، وفي أقل من أربع سنوات في إعادة حدود إمارة أنطاكية إلى ما كانت علية سنة 1118م[3]، وفي شهر سبتمبر سنة 1122م تم أسْرُ جوسلين أف كورتيناي كونت الرها، فتحمل الملك الوصاية عليها، وفي احدي جولاته في أعلى الفرات للدفاع عن الإمارة وقع هو نفسه أسيرا لدى بلك بن بهرام صاحب حصن خَرْتَبِرْت[4]، في 18 من شهر أفريل سنة 1123م، إذ أصبحت بلاد الشام الصليبية في موقف حرج، حيث حُرِمت الإمارات من قادتها، في حين بقي بونز كونت طرابلس الوحيد على رأس إمارته، وعلى ما يبدو أن الوجود الصليبي قد اعتاد على مثل هذه النكبات، فسرعان ما يجد حلولا لتلك الكوارث[5].

ويقول ابن الأثير أن سبب خروج الملك هو الحد من نفوذ بلك بن بهرام، في كَرْكَر[6]، قرب خرتبرت"خوفا أن يَقْوى بملكها"، وكان ذلك سنة517هـ/1123م[7]، ويقول ابن العديم :"وفي التاسع عشر من صفر سنة517هـ/17أفريل1123م، سار بغدوين صاحب أنطاكية ليقاتل نور الدولة بلك بن بهرام، وكان محاصِراً قلعةكركر"[8]، في حين يقول متى الرهاوي :"أن الملك بولدوين جاء بقواته لينتقم للأميرين جوسلين وفاليران"[9]، وبهذا علا شأن بلك بن بهرام، وقام بمهاجمة حلب وانتزعها من ابن عمه بدر الدولة سليمان، وكان ذلك في 26جوان سنة 1123م[10]، وكان سبب ذلك أن صاحبها يهادن إفرنج أنطاكية وينصاع لأوامرهم"بَلَغه أن صاحبها بدر الدولة، قد سلم قلعة الأثارب إلى الفرنج فعظُم ذلك عليه، وعلم عجزه من حفظ البلد، فقوي طمعه في ملكها"[11]. وبذلك تبدأ سياسة بلك بن بهرام بالهجوم على المعاقل الدفاعية للإمارة، حيث استولى على البارة وحاصر كفرطاب، حينها دبر الأرمن مؤامرة لإطلاق أسر بولدوين وجوسلين، ولكن الأمير بلك عاد إلى

---

[1] ابن العديم، المصدر السابق، ج.2،ص.ص.209-210.

[2] ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.209.

[3] عاشور سعيد، الحركة الصليبية، ج.1،ص.512.

[4] يعرف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم، ليس بعيدا عن ملطية، أنظر،الحموي،المصدر السابق،ج.2،ص.ص.355-356.

[5] أنظر، Grousset ,op.cit.,p.94.

[6] من حصون أعلى الفرات قرب ملطية، أنظر،الحموي،المصر السابق،ج.4، ص.ص.452-453.

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9،ص.223.للمزيد أنظر، ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.210-211.

[8] ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.210-211.

[9] أنظر، Matthieu, op.cit.,p.307.

[10] عاشور سعيد، المرجع السابق،ج.1،ص.513-514.

[11] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9،ص.221.

هناك حيث وجد جوسلين قد فرّ، بينما تم القبض ثانية على الملك بولدوين، وكان ذلك في شهر سبتمبر سنة 1123م[1]. وبعد مقتله خلفه ابن عمه تمرتاش بن ايلغازي على حكم حلب، فدخلها في العشرين من ربيع الأول سنة 518هـ/ 6ماي1124م[2]، وكان رجلا يحب "الدعة والرفاهة" ولذلك فضل الإقامة في ماردين، لأن الشام كثيرة الحرب مع الفرنج[3]، وحتما ذلك له أثره السلبي في ظل ظروف تتميز بحماسة الصليبيين، في توطين أنفسهم في الشمال. وأثناء ذلك كان الملك بولدوين لا يزال أسيرا في حلب، وبإمكان تمرتاش بن ايلغازي أن يضغط به على أنطاكية كونه وصيا عليها، ولذلك وافق على إطلاق سراح الملك بوساطة أمير شيزر أبو العساكر سلطان بن منقذ، مقابل مائة ألف بيزنت (ثمانون ألف دينار)، وإعادة أهم الحصون ومنها عزاز والأثارب وزردنا والجزر وكفرطاب إلى إمارة حلب، إضافة إلى مساعدتها في حربها ضد دبيس بن صدقة الشيعي[4]، ويقول أسامة ابن منقذ:"ولما أصبحت حلب لتمرتاش صار بغدوين له، فحمله إلينا إلى شيزر ليتوسط أبي وعمي رحمهما الله بيعه"[5].

ولقد كانت الشروط التي وضعها أمير حلب على أنطاكية بتسليم قلاعها قاسية، إذ أنها حرمتها من أهم المعاقل الأمامية في مواجهة المد الإسلامي، وعليه فإن خروج الملك من الأسر قد لقي ترحيبا صليبيا، غير أن الإدارة الصليبية في أنطاكية وعلى رأسها البطريرك برنارد، لم تقبل شروطا كالتي تم الاتفاق عليها[6]، ولذلك أنفذ الملك بولدوين إلى صاحب حلب يقول:" البطريرك الذي لا يمكن خلافه، سألني عما بذلت وما الذي استقر، فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها مِنّي أبى وأمرني بالدفع عنها، وقال أن خطيئتك تلزمني ولا أقدر على خلافه"[7]، هنا يتضح أن نفوذ البطريرك في الإمارة كان فاعلا، رغم أن الملك يتولى الوصاية. وبما أن هناك رهائن – من بينهم ابنة الملك وجوسلين الثاني ابن كونت الرها– صليبيين في حلب، لذلك ظل الملك يناور من أجل إطلاق سراحهم، فلم يجد بداً إلا الاستعانة بالأمير العربي دبيس بن صدقة الشيعي للضغط على حلب[8]، أي

---

[1] عاشور، الحركة الصليبية، ج.1،ص.514.

[2] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.220.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9،ص.227.

[4] عاشور، المرجع السابق،ج.1، ص.ص.522-523.

[5] أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.120.

[6] سعيد عمران، القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين 493-531هـ/1100-1137م،دار النهضة العربية، بيروت، 1986،ص.69.

[7] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.222.

[8] عاشور، المرجع السابق،ج.1،ص.523-524.

أن بولدوين الثاني تعامل بالأسلوب الدبلوماسي ثم العسكري في ما بعد من أجل تحقيق أهدافه[1].

وبعد أن تملك الصليبيون مدينة صور قويت نفوسهم، وطمعوا في مُلك الشام والإستعانة بدبيس بن صدقة، ويروي ابن الأثير:" وقال لهم دبيس أن أهلها شيعة، وهم يميلون إليّ لأجل المذهب فمتى رأوني سلموا البلد إليّ، وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة"[2]، وهذا إستراتيجية من الإفرنج، إذ أنهم حاولوا ضرب العرب بالأتراك والشيعة بالسنة، لتمزيق الشام وتنفيذ مشروعهم التوسعي، حيث أنهم في شهر أكتوبر سنة 1124م، حاول بولدوين الثاني تكوين جبهة يشترك فيها المسلمون الناقمون على حكم تمرتاش بن ايلغازي في حلب[3]. ونتيجة لهذا الظرف الصعب الذي تمر به حلب، قام سكانها بطلب المساعدة من أقسنقر البرسقي حاكم الموصل"اجتمع الفرنج من أعمالهم ونزلوا على حلب، وشرعوا في قتال من بها والمضايقة...فلما ضاق بهم الأمر وعدم الصبر راسلوا الأمير سيف الدين أق سنقر البرسقي"، فوصل إليهم في شهر ذي الحجة سنة 518هـ/جانفي 1125م[4]، بحلف إسلامي يضم قواته وقوات طغتكين أتابك دمشق وصمصام الدين خير خان بن قراجا صاحب حمص، وكان ظهور تلك القوات كافيا لإفشال مشروع الملك بولدوين الثاني في الاستيلاء على حلب[5]، وبهذا تم صد الإفرنج وحفظ المدينة[6] ونزل البرسقي بها"فلقوه أهلها وفرحوا به"،حينها قام برعاية شؤونها وإصلاح أمرها[7].

في ظل ذلك لم يكن الملك بولدوين الثاني والوصي على الإمارة في وضع مريح، إذ أن البرسقي لقي التأييد من السلطان السلجوقي محمود، واعترف له بالزعامة أتابك دمشق وصاحب حمص، كما كان له اتصال بأمير شيزر سلطان بن منقذ الذي سلمه رهائن الصليبيين، وبذلك ظهر البرسقي في صورة زعيم القوة الإسلامية الموحدة، وبهذا بدأ نشاطه بالهجوم على إمارة أنطاكية، فاستولى منها على كفرطاب في شهر ماي سنة1125م كما حاصر زردنا[8]. ويعلق المؤرخ توماس أسبريدج على ذلك:" أن مجيء أقسنقر إلى حلب ليس فقط لحفظ

---

1 صفاء عثمان، المرجع السابق،ص.117.

2 ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.229-230.

3 عاشور،الحركة الصليبية،ج.1،ص.524.

4 ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.211-212؛ للمزيد أنظر، ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.227-230.

5 عاشور، المرجع السابق،ج.1،ص.225.

6 أنظر، Matthieu, op.cit.,p.315.

7 ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9،ص.229-230.

8 عاشور،المرجع السابق،ج.1،ص.526.

المدينة من السقوط فحسب، بل صنعت رد فعل جديد ضد إمارة أنطاكية"[1]، ولذلك قام أهل أنطاكية بطلب مساعدة الملك بولدوين الثاني الذي لم يدخر جهدا، إذ أنه أعد العدة وتهيأ للرحيل باتجاه أنطاكية، حينها كان البرسقي بدأ حصار بلدة عزاز، فإذا بالملك يصل بقواته مدعوما بكل من قوات طرابلس والرها، ودارت المعركة وكان النصر حليفا للصليبيين، وتم التفاوض بإطلاق سراح ابنة الملك ومن معها، فتم ذلك بعد أن دفع الملك فديته[2]. ويروي ابن العديم خبر ذلك فيقول:"فالتقوا سادس عشر ربيع الآخر وكُسِر البرسقي كسرة عظيمة"، وكان ذلك في 9 ربيع الثاني 519هـ/21 ماي سنة 1125م[3]، ونزل حلب وتمت الهدنة على أن يناصفهم جبل السّماق وغيره مما كان بأيدي الإفرنج[4]، بعدها غادر البرسقي إلى مقر إمارته بالموصل[5].

وفي 26 من شهر مارس حاصر بونز كونت طرابلس رفنية، وقد شاركه الملك بولدين في حصاره إلى أن سقطت المدينة[6]، وبهذا أمّن الصليبيون الطريق بين أنطاكية وبيت المقدس، بل أمّنوا إمارة طرابلس نفسها[7]. حينها قفل البرسقي راجعا بقواته اتجاه بلاد الشام، وبدأ بحصار الأثارب كما أغارت قواته على بعض المواقع الحصينة من الإمارة، لذا أعد بولدوين الثاني والكونت جوسلين العدة وتوجها لملاقاة البرسقي[8]، ويبدو أن موقف الملك حينها كان حرجا في وقت هجوم البرسقي على أنطاكية، إذ كانت موانئ المملكة تعاني من الهجوم الفاطمي[9]، ولهذا نراه يلجأ إلى سياسة التفاوض لعله يحافظ على ما اكتسبته الإمارة و يأمن شر هجوم البرسقي، حيث راسل الأخير يبين له ما يريده، ويروي ذلك ابن العديم بقوله :" ترحل عن هذا الموضع، ونتفق على ما كنا عليه في العام الخالي، ونعيد رفنية عليك"[10]، لذا لم يُقْدِم البرسقي واقتنع بعدم المجازفة والدخول في معركة قد تكلّفة الكثير[11]، إذ أنه كان يخشى أن يقع للمسلمين ما حدث لهم عند مدينة عزاز.

---

[1] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.87.

[2] وليم الصوري،المصدر السابق، ج.3،ص.46-49.للمزيد أنظر،Matthieu, op.cit.,pp.315-318؛ابن الأثير،المصدر السابق، مج.9،ص.233-234.

[3] ابن العديم، المصدر السابق، ج.2،ص.231.

[4] المصدر نفسه، ج.2،ص.231.

[5] أنظر، Matthieu, op.cit.,p.318.

[6] انظر، Stevenson, op.cit.,p.118.

[7] عاشور، الحركة الصليبية، ج.1،ص.528.

[8] أنظر، Stevenson, op.cit.,p.118;Asbridge,op.cit.,p.88.

[9] عاشور،المرجع السابق، ج.1،ص.528-529.

[10] ابن العديم، المصدر السابق، ج.2،ص.233.

[11] أنظر، Stevenson. op.cit.,p.118.

ولم تلبث أن تجددت الهدنة بينهم، وقام البرسقي ببعض الغارات المحلية، وغادر باتجاه الموصل ونزل به في 26 من نوفمبر سنة1126م/3 من ذي القعدة سنة520هـ، حيث قُتِل في اليوم نفسه على يد أحد الباطنية[1]، وبهذا خسر المسلمون أحد أبطالهم، إذ أنه أنقذ حلب من خطر أعظم[2].

3- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة شيزر :

إن سياسة أمراء أنطاكية ظهرت منذ الوهلة الأولى، إذ كان أسلوبهم هجوميا وهذا من أجل الاستيلاء على الأرض وتوطين أنفسهم في بلاد الشام، فعندما أصبح تانكريد وصيا على الإمارة قام بغاراته على الجوار الإسلامي والبيزنطي على حد سواء، حيث هاجم شيزر في سنة1110م/503هـ، وكان ذلك إستراتيجية منه للسيطرة على المنافذ والممرات والمواقع ذات الأهمية، وبهذا اضطر بنو منقذ إلى الاستجابة لما قرره عليهم، إذ يدفعون له عشرة ألآف دينار مقاطعة[3]. وقد شكلت تلك الضريبة رافدا ماليا يخدم رجال أنطاكية، لاسيما ذلك في فترة تكوينها[4]، وبعدها قام تانكريد بمهاجمة شيزر مرة أخرى، ولذا قام أميرها سلطان بن علي بن منقذ بإنفاذ رسله إلى أمراء المشرق، يطلب مساعدتهم وكان ذلك في شهر محرم سنة 505هـ/1111م[5]، كما كان سلطان بن منقذ خير عون لمودود وطغتكين أثناء حملتهما على أنطاكية، إذ أنه " هوّن عليهما أمر الفرنج وحرضهما على الجهاد"، فكانت شيزر خير ملاذ لهم، وارتدوا أعقاب الفرنج ونالوا منهم وكان ذلك في ربيع الأول من نفس السنة[6]. وتظهر أهمية شيزر كإمارة عربية في بلاد الشام، إذ أن أميرها وقف إلى جانب قوات السلطان محمد السلجوقي، الذي بعث بقواته بقيادة برسق بن برسق لمحاربة الصليبيين سنة 1115م/509هـ، لأن شيزر كانت تخشى من تهديدات نورمان أنطاكية لأفامية وكفرطاب[7].

وفي سنة 1119م/513هـ استغل سلطان بن منقذ هزيمة النورمان في ساحة الدم(1119م)، وحاول استعادة أفامية غير أن الهزيمة حلت ببني منقذ فعادوا إلى شيزر دون تحقيق الهدف، ولكن الصليبيين في السنة التالية استغلوا رحيل نجم الدين ايلغازي إلى حلب، وحاصروا شيزر وأرغموا أميرها على دفع مبلغ من المال مقابل رفع

---

[1] عاشور، الحركة الصليبية، ج.1، ص.529.

[2] أنظر، Stevenson, op.cit.,p.118.

[3] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.167.

[4] أنظر، Asbridge, The Crusader Community at Antioch, p.322.

[5] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.174.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9، ص.144.

[7] عاشور، المرجع السابق، ج.1، ص.427-429.

حصارهم[1]. لم تنته سياسة نورمان أنطاكية التوسعية على حساب المسلمين في شيزر، بل حاولوا مرة أخرى الاستيلاء على هذه المواقع الحصينة، إذ أنهم قاموا بتدبير مكيدة للاستيلاء على المدينة، ولكنهم فشلوا وكان ذلك سنة 1122م/516هـ[2]، إضافة كان لبني منقذ رد فعل تجاه المعاقل الشرقية لإمارة أنطاكية، حيث قاموا بغارة على أفامية وكان ذلك سنة 1124م/518هـ[3].

وعليه فإن علاقة أنطاكية ببني منقذ قد بدأت تتحسن سنة518هـ/1124م بعد أن تم إطلاق سراح بولدوين الثاني ملك بيت المقدس من قبضة حسام الدين تمرتاش حاكم حلب، إذ كان لبني منقذ دور الوسيط في إطلاق سراح الملك الصليبي، ولما كانت لبولدوين الثاني الوصاية على أنطاكية فقد اتبع سياسة طيبة تجاههم في شيزر، فأعفاهم من دفع الأموال التي كانوا يدفعونها لأمراء أنطاكية[4]، ويبين ذلك أسامه بقوله:" فلمّا ملك كانت لصاحب أنطاكية علينا قطيعة سامحنا بها"[5]، ومما يؤكد تحسن العلاقات واستمرارها بين النورمان في أنطاكية وبني منقذ في شيزر، هو أنه أصبح لبني منقذ رأياً نافذً في الإمارة" وصار أمرنا في أنطاكية نافذاً"[6].

وهكذا استمرت العلاقات الطيبية حتى سنة 1126م، أي إلى مجيء بوهمند الثاني إلى المشرق ، وبهذا تغيرت سياسة أنطاكية إلى العدوانية، إذ نجده يهاجم شيزر[7]، حيث يقول أسامة:" وخرج على الناس من ذلك الشيطان ابن ميمون بليّة عظيمة، فنزل علينا يوما من الأيام بعسكره"[8]. وبمواصلة الإمبراطورية البيزنطية سياستها تجاه بلاد الشام وخاصة أنطاكية، نجد خروج الإمبراطور حنا الثاني كومنين في سنة 1137م وحصاره لأنطاكية، لذا استجاب الأمير ريموند بواتييه لمطالب حنا الثاني والاعتراف بسيادته مقابل الاحتفاظ بإمارته، وبهذا تألف الحلف البيزنطي الصليبي الذي سيعمل معا من إيجاد إمارة تتكون من حلب وشيزر وحماة وحمص تُعطى للأمير الأنطاكي ويعيد أنطاكية للإمبراطورية[9]. وفي العام التالي من شهر فيفري سنة 1138م قام الإمبراطور وأمراء اللاتين بالشام بمهاجمة شيزر، وشددوا الحصار عليها واحتل الإمبراطور الجزء الأسفل من المدينة، ولكن بتراخي قوة

---

[1] مسفر بن عريج، المرجع السابق،ص.96.

[2] أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.56 حاشية(84).

[3] المصدر نفسه، ص.57 حاشية(87).

[4] مسفر بن عريج، المرجع السابق،ص.97.

[5] أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.121.

[6] المصدر نفسه، ص.121.

[7] انظر، Asbridge, op.cit.,p.89.

[8] أسامة بن منقذ، المصدر السابق،ص.121.

[9] رانسيمان، المرجع السابق،ج.2،ص.248.

أميري أنطاكية والرها وعدم نيتهما في القتال، رأى حنا الثاني أن الحصار لا يجدي نفعا، وأثناء ذلك أرسل إليه أمير شيزر يُعرض عليه الصلح، وقدم له تعويض ضخم وأهداه أجود الخيول وفي 21 من شهر ماي سنة 1138م غادر الإمبراطور باتجاه أنطاكية[1].

4- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالزنكيين :

في سنة 1126م قدِم بوهمند إلى الشرق ليتولى شؤون الإمارة، حيث استقبله سكانها بالفرح والغبطة، وسلمه الملك بولدوين الثاني كل ما كان بيده من الإمارة[2]، وخلال مدة حكمه تجدد العدوان على حلب، إذ أنه حاول إزاحة القوات الحلبية خارج منطقة جبل السّماق[3]، واستهل ذلك الأمير مشروعه باسترجاع كفرطاب[4]، فبعد مقتل البرسقي حلت الفوضى السياسية بحلب، وتقاسمتها الأهواء وأصبحت عرضة لأطماع صليبي شمال الشام، والتي بلغت حداً من الضعف لم تستطع معه دفع الصليبيين[5]، ويقول ابن الأثير:"وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره إلى المدينة، فصُونِع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب أنطاكية في جمع من الفرنج... وأشرف الناس على الخطر العظيم"[6].

وعلى إثر الخلاف الذي حدث بين الأميرين بوهمند وجوسلين حول الاستيلاء على حلب، قام عماد الدين زنكي بالاستيلاء عليها، وبهذا أقلع بوهمند وخصمه عن حصارها[7]، وكان ذلك في أول محرم سنة 522هـ/ الخامس من جانفي سنة 1128م[8] ويقول ابن واصل:" ثم سار الأمير عماد الدين إلى الشام...وخرج أهل حلب إليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه"[9]، وبهذا أصبحت حلب قاعدة إسلامية في مواجهة الصليبيين خاصة النورمان، إذ وجدوا فيه خصما خطيرا شديد المراس[10]. ولم يتوان بوهمند في تحقيق طموحه، إذ نراه يسرع

---

[1] رنسيمان،المرجع السابق، ج.2، صص.250-251.

[2] فوشيه الشارتري، المصدر السابق،ص.241-242. ويقول أسامة بن منقذ:"فسلّم أنطاكية إليه، وضرب خيمه في ظاهرها". أنظر، أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.121.

[3] أنظر، Asbridge, op.cit.,p.89.

[4] أنظر، Stevenson, op.cit.,p.119.

[5] مسفر بن سالم عريج ، المرجع السابق، ص.188.

[6] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9، ص.246. للمزيد حول ذلك أنظر، ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص.238؛ابن واصل، المصدر السابق،ج.1،ص.38-39.

[7] حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص.143.

[8] ابن الأثير، المصدر السابق، ج.9، ص.246.

[9] ابن واصل، المصدر السابق،ج.1،ص.39.للمزيد انظر،ابن العديم،المصدر السابق،ج.2،ص241-244؛ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.246-247.

[10] ماير، المرجع السابق، ص.120.

جنوبا لانتزاع حصن القدموس من الباطنية[1]، ولكن طموحه المفرط قاده إلى حتفه سنة 1130م في قليقية، وبهذا استفادت حلب من الارتباك الذي حدث في أنطاكية، وهاجمت معرة مصرين والأثارب. ولقد كانت محاولة زنكي تأكيداً لسيادة حلب على المعاقل الشرقية، وكل هذه الهجمات تشير إلى أن حلب تنتهج سياسة عدوانية ضد إمارة أنطاكية[2].

وبمقتل الأمير النورماني اغتنمت زوجته آليس الفرصة، وحاولت أن تجعل من نفسها وريثة عرش أنطاكية، حيث راسلت عماد الدين زنكي تعرض عليه فكرة حمايتها لتبقى على عرش الإمارة، لكن والدها أحبط تلك المؤامرة، إذ أنه أسرع إلى أنطاكية وأخذ الوصاية على الصغيرة كونستانس[3]. وما إن توفي الملك بولدوين الثاني حتى بادرت أليس مرة أخرى بتدبير المؤامرة من جديد، واستعانت بأنصارها من طرابلس والرها لتنفيذ مشروعها، لكن الملك الجديد فولك بادر بالخروج إلى الشمال، وإرغام الأميرة بالتخلي عن فكرتها، وتولى الوصاية على الإمارة ورتب شؤونها، وقبل رحيله عهد بشؤون أنطاكية إلى أحد الأشراف وهو رينالد مازوار Rainald Masoar[4]، صاحب حصن المرقب[5]. وبهذا يكون فولك قد قام بالدور الذي قام به سلفه و تصدى للمؤامرة، كما واجه هجمات الأتراك المتتابعة على أنطاكية[6]، ولم يتوقف رد فعل حلب إذ قام عماد الدين بمهاجمة المعاقل الشرقية لأنطاكية، ومنها الأثارب وزردنا ومعرة النعمان وكان ذلك سنة1136م/530هـ، واستولى عليها واكتسب لحلب مواقع إستراتيجية[7].

لقد كان وصول ريموند بواتييه إلى عرش الإمارة في ظرف صعب، إذ أن الأتابك عماد الدين زنكي والإمبراطور حنا كومنين ،كانت أطماعهما قد ازدادت في شمال الشام[8]، وكان كل ما تحتاجه الإمارة من ريموند هو حسن إدارتها، وعليه أن يحافظ على ما بقي لها من معاقل في أشد الأوقات حرجا، إذ أن في لحظة وصول هذا الأمير إلى عرشها، كان سيف الدين سوار نائب عماد الدين في حلب، قد أغار على أراضيها في شهر أفريل سنة

---

[1] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.143.القدموس قلعة شمال طرابلس. أنظر،القلقشندي،المصدر السابق،ج.4،ص.147.

[2] أنظر، Asbridge ,op.cit.,p.90.

[3] وليم الصوري، المصدر السابق،ج.3، ص.ص.73-75.

[4] المصدر نفسه،ج.3، ص ص.96-99.

[5] تومي رشيد، المرجع السابق،ص.293.

[6] حسين عطية، المرجع السابق،ص.145.

[7] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.259.

[8] أنظر، Cahen, op.cit.,p.357.

1136م/رجب530هـ حتى بلغ اللاذقية[1]. ويقول ابن العديم:" وامتلأت حلب من الأسارى والدواب، واستغنى المسلمون بما حصل لهم من الغنائم"[2]، وفي ظل الظروف التي تمر بها أنطاكية و تقدم الإمبراطور يوحنا باتجاهها، وانتصارات زنكي في بلاد الشام وحصاره للملك فولك في حصن بعرين، حاول ريموند أن يرجح كفة الصراع الصليبي الإسلامي فلبى نداء فولك، ولما علم زنكي بتجمع الفرنج لنصرة إخوانهم عقد صلحا مع المحاصرين في الحصن[3].

لقد كان زحف الإمبراطور على بلاد الشام، إستراتيجيةً منه للتوسع وإقامة إمارة بها واستمالة ريموند إلى طموحه، حيث أراد أن يجعل من حلب وشيزر وحماة وحمص قاعدة صليبية في حين الاستيلاء عليها، ولكن لم يكن ذلك سوى مشروعا بيزنطيا صليبيا ضد مسلمي الشام. لم ينتج عنه سوى استرداد بعض المعاقل الشرقية للإمارة وحصار زنكي في شيزر[4]، ويرجع سبب عدم تمكنهم من مواصلة مشروعهم هو عدم توفر حسن النية لكل من ريموند وجوسلين[5]، حاول ريموند الحفاظ على معاقل إمارته رغم ازدياد خطر عماد الدين زنكي،كما ساهم مع الصليبيين في الاستيلاء على بانياس في شهر ماي1140م/رمضان534هـ، وتمكن من صد عماد الدين أثناء محاولته ضم دمشق[6]، وأثناء تلك الفترة اقتصرت العلاقات بين أنطاكية وحلب على غارات مفاجئة، لم تغير في الحدود بين البلدين[7]. وبموت الإمبراطور يوحنا اغتنم ريموند الفرصة وأغار على مدن قليقية، مما أدى إلى توتر العلاقات بين بيزنطة وأنطاكية، إضافة إلى توترها بين ريموند وجوسلين، حينذاك اغتنم زنكي الفرصة واسترد الرها في ديسمبر1144م/ جمادي الثانية539هـ[8]، وهكذا فبقدر ما ساهم ريموند في نجاح الصليبيين في بانياس، بقدر ما كان سببا في سقوط أول إمارة لاتينية بالمشرق[9].

إن إمارة حلب لعبت دورا رياديا، في كبح جماح صليبي الشام خاصة نورمان أنطاكية، لاسيما بعد ما تقلد عرشها قادة عظام، تحملوا مسؤولية الدفاع عن الحمى الإسلامية. وبعد موت الأتابك عماد الدين زنكي في

---

[1] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.146.

[2] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.261.

[3] ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.259.

[4] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.146-147.

[5] رانسيمان، المرجع السابق،ج.2،ص ص.250-251.

[6] حسين عطية، المرجع السابق،ص ص.147-148.

[7] نفسه،ص.148.

[8] نفسه، ص.148.

[9] براور يوشع، عالم الصليبيين،ص.55؛ حسين عطية، المرجع السابق، ص.148.

الخامس من ربيع الثاني سنة 541هـ/13سبتمبر1146م[1]، ملك ابنه نور الدين محمود حلب وشرع في جهاد الفرنج، وبذلك تسنى له فتح بعض معاقل إمارة أنطاكية، من بينها أرتاح وبسرفوت وهاب وكان ذلك سنة 542هـ/1147م[2]، وحاول ريموند بواتييه استغلال الحملة الصليبية الثانية للحد من قوة حلب، إلا أنه فشل في مسعاه[3]. ولقد كان فشل هذه الحملة ميزة ايجابية لصالح المسلمين، إذ أن دمشق أصبحت تحت حكم نور الدين سنة1154م، الذي دعم مركزه من العراق عبر الشام إلى الحدود الشمالية لمملكة بيت المقدس[4]، وبهذا بدأ يضغط على الصليبيين عامة وأنطاكية خاصة، لذا قام ريموند بمهاجمة حلب بمساعدة الباطنية[5]، بل أنه ارتمى في أحضان بيزنطة وقبل بسيادتها لعله يحقق مآربه[6].

ولقد كانت سياسة نور الدين محمود تتوجه بصفة خاصة نحو هذه الإمارة، ومن حسن حظها أنها كانت تلقى مساعدة من الدولة البيزنطية ومملكة بيت المقدس[7]، ومن المؤكد أن إمارة أنطاكية كانت تخشى بسطة وسطوة نور الدين، إذا ما تمت له السيطرة على المواقع الإستراتيجية، التي تتمتع بها الإمارة والتي تعتبر بمثابة دفاعات واستحكامات أمامية،كما أنها منافذ نحو العالم الخارجي، لذا حتم عليها الدخول في المواجهة المباشرة مع حلب، مستغلة في ذلك مجيء الحملة الصليبية الثانية وتوجيهها لضربها، ولكن فشلُ الحملة أمام أسوار دمشق كان خسارة كبيرة للصليبيين[8]، وازدادت المواجهة بين أنطاكية وحلب مما أدى إلى حدوث معركة يَغْرى[9]، وكان ذلك في شهر رجب من سنة 543هـ/نوفمبر1148م[10]. وعن خسائر تلك المعركة يقول ابن العديم:"واقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم الفرنج وأُسِر منهم جماعة، وقُتِل خلق ولم ينج إلا القليل"[11]، وأما ابن الأثير فيقول:"فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالا شديدا، أَجْلت المعركة عن انهزام الفرنج...ولم ينج من ذلك الجمع إلا القليل"[12]، وأما ابن واصل

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.9،ص ص.339-340.

[2] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص ص.289، 291.

[3] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.150.

[4] براور يوشع، المرجع السابق،ص.ص.56-57؛ حسين عطية، المرجع السابق،ص.150.

[5] حسين عطية، المرجع السابق، ص ص.150-151.

[6] براور يوشع، المرجع السابق، ص.57.

[7] محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص.161.

[8] أنظر، Grousset, op.cit.,p.132-133.

[9] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.292.

[10] ابن القلانسي، المصدر السابق،ص.302.

[11] ابن العديم، المصدر السابق،ج.2،ص.292.

[12] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.356.

فيقول:"فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا، فكُسِر الفرنج كسرة قبيحة...ولم ينج منهم إلا القليل"[1]، ومن خلال الغنائم التي غنمها نور الدين لدليل على أن النصر كان حليفه[2]، وبدوره استغل انتصاره بأن استولى على حصني حارم وأرتاح[3]، وهكذا أصبحت أنطاكية وجها لوجه مع حلب، إلى أن حدثت معركة"إنّب" التي قُتِل فيها الأمير الأنطاكي ريموند بواتييه وكان ذلك سنة 544هـ /1149م[4].

ومن خلال حدوث معركتين هامتين يغرى وأنّب في شمال الشام، لدليل على الصراع كان حاداً بين حلب وأنطاكية، وسَعْي نور الدين محمود لإضعاف مقدرات الإمارة، التي شكلت تهديدا مباشرا لشمال المنطقة، ودليل أيضا على كفاءة جيشه[5]، كما أنه دل على مدى حماسة الصليبيين النورمان في تعزيز وجودهم بشمال الشام، وتقويض سلطان حلب. ولقد انعكست الهزيمة على أنطاكية سلبا، إذ أصبحت مدن وقرى الإمارة أهدافا سائغة لقوات نور الدين محمود[6]، ومنها حارم وأفامية ولم ينقذ أنطاكية من محنتها إلا تدخل البطريك ايمري دي ليموج ومجيء الملك الشاب بولدوين الثالث[7]، وبهذا يكون نور الدين محمود قد قضى على المراكز المتقدمة للإمارة من جهة حلب، بل أصبحت أنطاكية نفسها محاصرة[8]، ولقد كان مصرع الأمير الأنطاكي ريموند بواتييه كارثة كبرى، أصيب بها مرة أخرى أهل أنطاكية[9]. وبما أن ريموند بواتييه خلّف ابنا صغيرا(بوهمند الثالث)، فتزوجت أمه من فارس صليبي(رينالد دي شاتيلون) يدبر شؤون الإمارة إلى حين أن يكبر الوريث[10]، حيث اتخذ هذا الأمير سياسة هجومية ليعيد للإمارة ما فقدته،كما أن جشعه كان أكثر من طموحه وهذا أوقعه أسيرا لدى المسلمين في حلب، أثناء قيامه بغارة على أعالي الفرات[11]، ويقول أبو شامة :"ثم إن نور الدين غزا بلد الفرنج غزوة أخرى وهزمهم

---

[1] ابن واصل،المصدر السابق،ج.1،ص.114.

[2] ابن الأثير،المصدر السابق،مج.9،ص.356.

[3] محمد مؤنس، المرجع السابق،ص.171.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.362؛ ابن واصل، المصدر السابق،ج.1،ص.120-121.

[5] محمد مؤنس، المرجع السابق،ص.172.

[6] تيسير بن موسى، نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين،الدار العربية للكتاب،د.ط.،ص.147.

[7] أنظر، Grousset, op.cit.,p.133.

[8] محمد مؤنس عوض، المرجع السابق،ص.172.

[9] تومي رشيد، المرجع السابق، ص.299.

[10] أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن)،كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،تحقيق،محمد حلمي محمد أحمد،ط.2 ،1998، دار الكتب المصرية،القاهرة،ج.1،ق.1،ص.152حاشية(2).

[11] وليم الصوري، المصدر السابق ، ج.3، ص.ص.439- 440 ؛ Grousset,op.cit., p.145؛للمزيد أنظر Schlumberger, op.cit.,p.149؛ محمد مؤنس عوض، المرجع السابق،ص.ص.173-174.

...وكان في الأسرى البرنس الثاني زوج أم بيمند"[1]. وحقيقة أن هذا الأمير الفارس كان في مستوى المسؤولية، التي أُلْقِيت على كاهله، وقد كان رينالد في عنفوان شبابه، ذاع صيته في ميدان الحرب والطعان، غير أنه كان مغامراً غلبت عليه صفة التهور[2].

وبوصول بوهمند الثالث إلى الحكم يكون قد أصبح تحت حماية بيزنطة، بموجب الاتفاقية مع رينالد دي شاتيلون(1159م)، وفي سنة 1164م قام نور الدين محمود بأسر قادة الفرنج في معركة حارم، بما فيهم بوهمند الثالث ولم يشأ أن يستولي على أنطاكية وكان بمقدوره، إلا اعتبارا لكونها تحت الحماية البيزنطية[3]، ولما أشار عليه أصحابه بدخول أنطاكية ليملكها قال:"أما المدينة فأمرها سهل وأما القلعة فهي منيعة...،وإذا ضيقنا عليهم أرسلوا إلى صاحب القسطنطينية ليسلموها إليه، ومجاورة بيمند أحب إلينا من مجاورة ملك الروم"[4]، بل أنه قام بإطلاق سراح بوهمند ترضية للإمبراطور مانويل[5]. وربما كان دافعه إلى ذلك محدودية قوة الدولة النورية، كما أنه كان يدرك قلة كفاءة الأمير بوهمند الثالث وخشية أن يظهر أمير آخر أكثر تمرساً يدير شؤون الإمارة، إضافة إلى تجنبه حدوث ضغط بيزنطي صليبي لإطلاق سراح بوهمند، وهذا يجعله في موقف حرج أمام أقرانه[6].

ولاشك أن معركة حارم قد أثرت على نطاق واسع على العلاقات بين الدولة النورية وإمارة أنطاكية، إذ أنها أكسبت نور الدين محمود نصراً في شمال الشام، بينما كانت خسارة لكثير من فرسان أنطاكية، بل فقدت الإمارة قيادات فعالة[7]، ويقول المؤرخ كلود كاهن أن المعركة كانت بحق كارثة على أنطاكية[8]. ولقد كانت آخر أعمال نور الدين محمود ضد أنطاكية عندما أغار على أعمال الإمارة سنة1171م/567هـ، وذلك بسبب ما قام به الفرنج بنهب سفينتين إسلاميتين في ميناء اللاذقية[9]، حيث يقول ابن الأثير:"وفي هذه السنة(567هـ) خرج مركبان من مصر إلى الشام، فأرستا في مدينة اللاذقية فأخذهما الفرنج وهما مملوءتان من الأمتعة والتجارة"، وكان

[1] أبو شامة، المصدر السابق، ج.1،ق.1،ص.152؛ ابن الأثير، المصدر السابق،مج.9،ص.362-363.

[2] تومي رشيد، المرجع السابق، ص.300.

[3] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.170، للمزيد أنظر، محمد مؤنس عوض، المرجع السابق،ص.ص.175-177.

[4] ابن واصل، المصدر السابق،ج.1،ص.145. وأكثر تفاصيل عن التحالف الصليبي البيزنطي الأرميني، ضد نور الدين محمود في معركة حارم، أنظر، سعيد عمران، معركة حارم، المؤرخ العربي، ع.8 (1978)، ص.ص.89-99.

[5] حسين عطية، المرجع السابق،ص.170.

[6] محمد مؤنس عوض، المرجع السابق،ص.ص.177-178.

[7] المرجع نفسه،ص.177.

[8] أنظر، Cahen, op.cit.,p.515.

[9] حسين عطية، المرجع السابق،ص.157.

بينهم وبين نور الدين هدنة فنكثوها، فأغار على أنطاكية وطرابلس، وأرغمهم على رد ما أخذوه وجددوا الهدنة معه[1]، وبعد دخول مصر في أملاك نور الدين محمود، اتجه نظره صوب قليقية والأناضول إلى أن وافاه أجله في سنة1174م/ 569هـ[2].

5-علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالأيوبيين :

بعد وفاة الأتابك نور الدين محمود أصبحت أملاكه محل تنافس بين الأمراء، ومن يتولى الوصاية على ابنه الصالح الذي لا يزال صغيرا، حينها تمكن صلاح الدين الأيوبي من السير بخطى حثيثة لتثبيت أقدامه في الشام، وأن يوحد الجبهة الإسلامية من جديد، ورغم عدم الاستقرار في المنطقة لم يستغل بوهمند الثالث تلك الفرصة، وظل في سباته حتى تمكن السلطان من امتلاك دمشق وبعض القلاع جنوبي أنطاكية، ويعزل حلب عن الموصل ويتصالح مع الزنكيين في الشام دون خطر يعترضه[3]. ولم يلبث أن أُتيحت الفرصة لبوهمند الثالث بعد رحيل صلاح الدين إلى مصر، وإستراتيجية من أمير أنطاكية قام باستمالة مقدم عسكر حلب سعد الدين كمتشكين وأغراه بالمال مقابل تسليم حصن حارم له[4]، لأن الفرصة كانت مواتية آنذاك "فالملك الصلح صبي قليل العسكر وصلاح الدين بمصر"، تجمعت القوات الصليبية وحاصرت حارم، وطال مقامهم بها فبذل لهم الملك الصالح مالاً وخوّفهم بقدوم صلاح الدين، فرحلوا عنها فسيّر لها جيشه فملكها وكان ذلك سنة 1177م/573هـ[5]. وقد استفاد بوهمند الثالث بمبلغ من المال ونصف دخل إقليم العمق من المسلمين[6]، ولقد كانت فكرة بوهمند التخلي عن المشاركة في الحملة البيزنطية الصليبية ضد مصر والتوجه إلى حصار حارم، سلبية على الوجود الصليبي خاصة أنطاكية، إذ كان بإمكان هذا التحالف أن يحد من نشاط صلاح الدين وأن يقوض مركزه في مصر، وبسياسة بوهمند هذه خسروا حليفا في الشام المتمثل في حلب، كما أن ذلك جذب نظر صلاح الدين إلى شمال الشام[7].

وفي ظل عدم الاستقرار بالمنطقة استغل بوهمند الثالث الفرصة وهاجم شيزر، ويقول ابن الأثير:"أغار البرنس صاحب أنطاكية واللاذقية على حشير المسلمين بشيزر وأخذه"، وكان ذلك سنة 1178م/574هـ[8]، ونتيجة

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.10،ص.37.

[2] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.171.

[3] نفسه، ص.ص.175-177.

[4] نفسه، ص.ص.177، 183.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.10،ص.ص.87-88، بينما يقول ابن شداد:"ولما رأى أهل القلعة خطرها من جانب الإفرنج سلموها إلى الملك الصالح...ولما علم الإفرنج ذلك رحلوا عن حارم"، أنظر، ابن شداد، المصدر السابق،ص.97.

[6] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.187-188.

[7] نفسه، ص.ص.188-189

[8] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.10،ص.93.

لعدم أمن شر إفرنج أنطاكية، قام صلاح الدين بتكليف ابن أخيه تقي الدين عمر في حماة ، وابن عمه ناصر الدين محمد في حمص وأوكل إليهما أمر حماية البلاد من الأعداء[1].

وبغارة صلاح الدين على عكا في 14 أكتوبر1179م/11جمادى الاولى575هـ، قام ملك بيت المقدس بعقد هدنة مع صلاح الدين مدتها عامين تبدأ من شهر ماي سنة 1180م/ذوالحجة575هـ، ولكنها تخص بيت المقدس وحدها[2]، ومثل هذه الهدنة يدل على أن سياسة ملوك بيت المقدس التي انتهجوها حتى عهد الملك فولك تجاه الإمارات الصليبية قد انتهت، ولم يعودوا يولون إمارة أنطاكية بالذات نفس الاهتمام، عندما كان الخطر يأتيهم من العراق والشام، وبذلك تم إطلاق يد صلاح الدين في المنطقة[3]. وبمواصلة السلطان مشروعه في توحيد الجبهة الإسلامية تم له ضم حلب التي طالما كانت عقبة كؤود في وجه الصليبيين خاصة نورمان أنطاكية، وكان ذلك في 10من جوان1183م/17من صفر579هـ، كما أنه استولى على قلعة حارم[4]، وبهذا أدرك بوهمند الثالث أمير أنطاكية الخطر الذي يتهدده فأسرع إلى طلب المساعدة من ملك بيت المقدس، ولم يكن بمقدوره أن يساعده في أي شيء سوى إمداده ببعض الفرسان سرعان ما عادوا إلى المملكة[5]، إذ أن أنطاكية أصبحت وجها لوجه مع صلاح الدين الذي لا يقل كفاءة عن سلفه نور الدين محمود، الذي كبّد الإمارة خسائر وكاد أن يُسقطها، فأضطر صاحبها بوهمند الثالث لطلب الأمان وعقد هدنة مع صلاح الدين"وخاف أهل أنطاكية من السلطان، فأرسل صاحبها جماعة من أسرى المسلمين وأنقاد وسارع إلى اللّياذ بعفو السلطان وأمانه فقبله السلطان"[6].

ونتيجة لذلك قام أمير أنطاكية بتقليل منطقة نفوذه، بأن قام بالتنازل لروبين الثالث الأرميني عن مدينة طرسوس مقابل مبلغ من المال، لعله بذلك يُخلي مسؤوليته في الدفاع عن مدينة بعيدة بالمقابل يحصل على المال الذي يحتاجه[7]، لم تنته سياسة صلاح الدين التوسعية في بلاد الشام، إذ نجده يتنقل من محطة إلى أخرى، وهذه إستراتيجية منه لتثبيت أقدامه في المنطقة، ويصبح في مركز بإمكانه تحقيق النصر على الصليبيين، إلى أن وصل إلى

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، مج.10،ص.93.

[2] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.ص.193-194.

[3] نفسه، ص.194.

[4] ابن شداد، المصدر السابق،ص.ص.104-106 ابن واصل،المصدر السابق،ج.2،ص.142، 146،ابن الأثير،المصدر السابق،مج.10، ص.ص.121-123.

[5] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.201-202.

[6] ابن واصل، المصدر السابق،ج.2،ص.147.

[7] حسين عطية، المرجع السابق،ص.202.

حصن الكرك، ولذلك تجمعت القوات الصليبية وخرجت لصده فعاد إلى دمشق، وكان ذلك في شهر نوفمبر سنة1183م/رجب579هـ[1]. ومرة أخرى بدأ السلطان يعد العدة ويستنفر العساكر، وسار إلى الكرك ثانية "ولما بلغ الإفرنج ذلك خرجوا براجلهم وفارسهم للذبِّ عن الكرك "، لقيهم السلطان صلاح الدين فاقتتلوا، ولما رأى صلاح الدين تصميم الفرنج انسحب باتجاه نابلس وما جاورها وقام بنهبها، ثم اتجه إلى دمشق فدخلها يوم السبت في 14 من سبتمبر 1184م/7 من جمادى الثانية 580هـ[2]، كما خرج مرة أخرى لغزو حصن الكرك.

ولقد كانت سياسة بوهمند الثالث غير المدروسة، وبال على الصليبيين ورجحت الكفة للمسلمين، إذ نجده مع ريموند كونت طرابلس يعتقلان الكسيوس انجلوس، أخ الإمبراطور أثناء عودته إلى القسطنطينية بعد أن أقام عند صلاح الدين، مما جعل البيزنطيين يتقربون من السلطان[3]. وبتقارب بوهمند من الأرمن وتوطيد ذلك بعلاقة المصاهرة، أثار هذا العمل قلق السلطان صلاح الدين، مما جعله يسعى لمراقبة ذلك التحالف وبهذا أصبح إفرنج أنطاكية تحت الرقابة المستمرة وانعكس ذلك سلبا على المملكة نفسها، إذ أنها حُرمت من مساعدة قوات أنطاكية والأرمن[4]. وبعد وفاة الملك بولدوين الرابع في أوت 1186م، أدى إلى اندلاع مشكلة وراثة العرش في المملكة، إذ انقسم الصليبيون على أنفسهم فهناك من يؤيد جاي لوزنجنان وزوجته سيبيلا شقيقة بولدوين الرابع، وهناك من يؤيد ريموند كونت طرابلس ومعه أمير أنطاكية بوهمند الثالث، أثناء ذلك كان ريموند الثالث كونت طرابلس مهادِناً لصلاح الدين منذ سنة (581/1185هـ)[5]، كما قام بوهمند الثالث بمهادنة السلطان على غرار كونت طرابلس، وكان ذلك في أوائل جوان1187م/ أواخر ربيع الاول583هـ، وكل ذلك يسير عكس الصالح الصليبي العام[6].

وعليه فإن سياسة صلاح الدين قبل معركة حطين تجاه أنطاكية، هي مجرد المراقبة والمهادنة حين يتفرغ لتوحيد القوى الإسلامية للقضاء على مملكة بيت المقدس، بل على أنطاكية نفسها[7]. وبعد أن توّج صلاح نصره

---

[1] ابن واصل ،المصدر السابق،ج.2،ص.ص.148-151؛ابن شداد، المصدر السابق،ص.ص.110-111.

[2] ابن شداد، المصدر السابق،ص.ص.113-115.

[3] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.205.

[4] نفسه،ص.206.

[5] فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة، د.ط. ص.ص. 119-120.

[6] حسين عطية، المرجع السابق،ص.207.

[7] نفسه.

في حطين[1]، سهُل عليه فتح كل القلاع والحصون، بل أنه دخل بيت المقدس وكان ذلك يوم الجمعة الثاني من أكتوبر1187م /27 من رجب 583هـ[2]، وبنصره هذا تكون نهاية الصليبيين في الشام تقترب شيئا فشيئا خاصة إمارة أنطاكية، إذ نجد صلاح الدين يضغط بقواته على معاقل الإمارة، لعله يحد من سطوتها في شمال الشام، وبهذا تهاوت قلاعها وحصونها تحت رحمة جيشه، ومن بينها جبلة واللاذقية وحصن بكسرائيل وصهيون، وغيرها من الحصون المهمة ذات المواقع الإستراتيجية، والتي طالما احتمت بها وكانت قواعد انطلاق ضد المسلمين[3].

وهكذا فتح السلطان الحصون والمعاقل، التي تقع من الجنوب إلى الشمال بين نهر العاصي وساحل البحر[4]، بل أنه واصل فتوحاته شمالا وصولا إلى حصني درْبَساك وبغراس، وبهذا أصبحت أنطاكية في أسوأ وضع بفقدها هذين الحصنين"وكان لأنطاكية جناحين ولطاغية الكفر سلاحين"[5]. ولذلك اضطر أمير أنطاكية بوهمند الثالث إلى طلب الهدنة مع السلطان صلاح الدين، حيث أرسل أخى زوجته يسأل طلب الأمان فأجابه السلطان وتقرر عقد الهدنة، ومدتها ثمانية أشهر بدءا من شهر أكتوبر1188م/شعبان584هـ إلى آخر ماي1189م/ربيع الأول 585هـ[6]، ورغم طلب بوهمند الثالث للهدنة إلا أنها تنتهي قبل انتهاء جمع الغلة أي أنها في غير صالحهم، إلا أن السلطان قبل طلبه نظرا للملل الذي أصاب العساكر الإسلامية، كما اشترط عليه إطلاق سراح أسرى المسلمين[7]، وبهذا أصبحت أنطاكية معزولة"ترتجف مثل ساق نبات جافة في مهب الريح"، ورغم ذلك استطاعت الإمارة أن تحفظ لنفسها، ولو الجزء القليل من مجد طالما سعى أمراؤها لتحقيقه[8].

حاول بوهمند الثالث استغلال الحملة الصليبية الثالثة، التي قادها مَلِكان وإمبراطور وخاصة الألمان الذين

---

[1] ابن واصل ،المصدر السابق،ج.2،ص.ص.191-192؛ابن شداد ،المصدر السابق،ص.ص.129-131.

[2] ابن شداد المصدر نفسه، ص.135؛ رانسيمان، المرجع السابق ،ج.2، ص.523؛ حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص.208 ؛ ماير، المرجع السابق،ج.1،ص.183.

[3] ابن واصل، المصدر السابق،ج. 2، 258-266، للمزيد حول سقوط هذه المدن والحصون،أنظر،ابن الأثير، المصدر السابق، مج.10، ص.ص.167-174؛ العيني(بدر الدين محمود)، عِقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان،تحقيق محمود رزق محمود،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط.2، 2010 ،ج.2،ص.ص.96-104.

[4] حسين عطية، المرجع السابق،ص.217.

[5] ابن واصل، المصدر السابق،ج.2،ص.ص.267-269.

[6] العماد الأصفهاني(أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد)، الفتح القسي في الفتح القدسي،دار المنار،2004،ص.141؛ العيني،المصدر السابق،ج.2،ص.104؛ حسين عطية،المرجع السابق،ص.218.

[7] العماد الأصفهاني،المصدر السابق،ص.141، للمزيد أنظر، فايد حماد، المرجع السابق،ص.ص.167-168.

[8] حسين عطية، المرجع السابق،ص.220.

دخلوا أنطاكية، لمهاجمة حلب متحيناً فرصة صراع صلاح الدين مع الملك جي لوزنجان وكونراد مونتفرت حول عكا، ولكنه فشل في ذلك كما استغل فرصة رحيل الظاهر صاحب حلب إلى الجنوب لمساعدة والده صلاح الدين، وقام بالغارة على أملاك حلب لكن مني بالهزيمة، مما أدى به إلى الاستكانة إلى العام الموالي وأغار مرة أخرى على جبلة واللاذقية، لعله يحصل على أهم المنافذ التي ضاعت له بعد توسعات السلطان عقب انتصاره في معركة حطين، إلا أن ذلك لم يحقق له شيئا وعاد مهزوما إلى أنطاكية[1]. وبعد صراع طويل تمكن الصليبيون من إسقاط عكا ودخلت بحوزتهم وذلك يوم الجمعة 11من جويلية1191م/17 من جمادى الثانية 587هـ، وبهذا ستصبح قاعدة للصليبيين تضاهي بيت المقدس وقاعدتهم الجديدة في الشام[2].

وإستراتيجية من صلاح الدين قام بتخريب بعض المدن والحصون التي يصعب الدفاع عنها، وربما يستخدمها الصليبيون كقواعد انطلاق ضد المسلمين، من بينها مدينة عسقلان وحصن بغراس وبهذا سارع رجال أنطاكية إلى القلعة لأخذ ما يمكن أخذه من غلة هم في أمس الحاجة إليها، وهكذا حاول بوهمند استغلال الحملة الصليبية الثالثة فمرة استمال الألمان للإغارة على حلب، ومرة أخرى تحين الصراع بين الصليبيين وصلاح وحاول استرجاع بعض المدن والقلاع، لكن محاولاته باءت بالفشل الذريع[3]. وبعد عقد صلح يافا بين صلاح الدين والصليبيين يكون ذلك بمثابة أمن وأمان لكلا الطرفين، وكان مدتها ثلاث سنين وثمانية أشهر وكان ذلك في 01 من سبتمبر1192م/ 21 من شعبان 588هـ[4]. ولقد أكد الملك ريتشارد على دخول أنطاكية وطرابلس في الصلح[5]، ويقول ابن الأثير:" فلما كان في بيروت أتاه بيمند صاحب أنطاكية وأعمالها واجتمع به وخدمه، فخلع عليه صلاح الدين وعاد إلى بلده"[6]، ويقول ابن شداد:"ولما وصل السلطان إلى بيروت، وصل إلى خدمته البرنس صاحب أنطاكية مسترفدا فبالغ في إكرامه واحترامه ومباسطته، وانعم عليه بالعَمْق وأرزغان ومزارع تغل خمسة عشر ألف دينار[7]، بينما يقول العماد الأصفهاني:" وأذن للإبرانس في الدخول وشرّفه في حضرته بالمثول

---

[1] حسين عطية، إمارة انطاكية ،ص.ص.229، 331.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.10،ض.205، للمزيد عن كيفية سقوط مدينة عكا أنظر، العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص.ص. 273-269.

[3] حسين عطية، المرجع السابق،ص.232.

[4] العماد الأصفهاني،المصدر السابق،ص.317؛ للمزيد حول صلح يافا، أنظر، ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص.ص.218-219؛ ابن شداد،المصدر السابق،347-348. وأنظر أيضا، Ernoul, op.cit.,pp.291-294

[5] حسين عطية، المرجع السابق،ص.233.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق،مج.10،ص.219.

[7] ابن شداد، المصدر السابق،ص.355.

وقربه وآنسه ورفع مجلسه...وكتب له مناصفات أنطاكية معيشة بمبلغ عشرين ألف دينار"، وبهذا يكون بوهمند قد ضمن لإمارته أمنا تستقيم به أحوالها على الأقل طيلة مدة الهدنة[1].

وبموت صلاح الدين في صباح يوم الأربعاء 03 من مارس 1193م/27من صفر589هـ[2]، تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات السياسية، بين إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمين في شمال الشام، حيث اتسمت بعدم الصراع المباشر مع المسلمين، إلا من خلال صراعها مع الأرمن في قليقية، فحتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري كانت علاقة أنطاكية السياسية بالمسلمين، هي نتيجة لعلاقاتها السياسية بالأرمن[3]. ولقد قلبت فتوحات صلاح الدين في شمال الشام، ميزان القُوى بين أنطاكية وقليقية، التي صارت بالنسبة للفرنج في الشمال مثل جزيرة قبرص بالنسبة للساحل السوري، وصارت تمثل موقعا استراتيجيا للصليبيين عامة[4].

وعليه فإن وفاة السلطان بعد أن وحد مصر والشام وبسط نفوذه وقوض أركان أملاك الفرنج، انقسمت دولته بين أبنائه وهذا له وقعه وتأثيره على السياسة العامة في المنطقة، وساعد الصليبيين إلى حد ما من جمع شملهم[5]، وبمجيء الحملة الألمانية إلى الشام وامتلاكها بيروت في 22من أكتوبر1197م/09من ذي الحجة593هـ[6]، حاول بوهمند الثالث استرجاع مدينتي جبلة واللاذقية، لكن الظاهر صاحب حلب أمر بتقويض قلاع المدينتين، وبهذا بقيت أنطاكية معزولة مثل ما كانت بعد معركة حطين، مما أدى إلى إضعاف مواردها الاقتصادية وقلت الخدمات الإقطاعية العسكرية، التي كان يؤديها النبلاء اللاّتين حكام هذه المدن والقلاع. ولقد كانت محاولة بوهمند استرجاع هذه الأملاك هي آخر علاقاته بالمسلمين[7]، إلى أن توفي سنة 1201م واعتلى عرش الإمارة ابنه بوهمند الرابع[8].

وإذا ما نظرنا للحملات الصليبية التي توافدت لإنقاذ صليبي الشام، لم تحقق شيئا مقارنة بحجم ما تم لها من إعدادات، وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري وانحراف الحملة الصليبية الرابعة(1204م) باتجاه

---

1 العماد الأصفهاني، المصدر السابق،ص.ص.321-322.

2 ابن شداد، المصدر السابق،ص.363-364؛العماد الأصفهاني،المصدر السابق،ص.ص.326-327؛ابن الأثير،المصدر السابق،مج.10،ص.224؛العيني،المصدر السابق، ج.2،ص.274.

3 حسين عطية، ، إمارة انطاكية،ص.234.

4 نفسه،ص.236.

5 نفسه،ص.ص.235-236.

6 ابن الأثير،المصدر السابق،مج.10،ص.ص.245-246.

7 حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.241-242.

8 نهى فتحي،المرجع السابق،ص.62، أكثر تفاصيل عن مشكلة وراثة العرش بالإمارة أنظر،حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.255-256.

القسطنطينية قد زاد صليبي الشام ضعفا، إذ أنهم حُرِموا من قوة بإمكانها أن تزيد للصليبين قوة في ظل انقسام المسلمين على أنفسهم، بل أن هذه الحملة كانت نذير شؤم على الحركة الصليبية بأكملها، فمن المفروض أنها تدعم الوجود الصليبي بالشام، إذا بها تضعف مركزهم إما مباشرة أو بشكل غير مباشر، وأصبح الاستقرار بالقسطنطينية ذا تأثير على فرسان الشام الذين رأوا بأن في ذلك المقام أحسن ملاذا[1]، وبفقد الصليبيين لهذه القوة تجنبوا القتال ضد المسلمين إلى حين وصول المدد من غرب أوربا، إذ أنهم جددوا اتفاق يافا المنعقد مسبقا مع صلاح الدين(588/1192هـ)[2]، فيُمكن أن نعتبر الفترة التي اعتلى فيها خلفاء صلاح الدين الحكم في بلاد الشام، فترة هدوء واستقرار مقارنة بما جرى في عهد السلطان[3].

ولاشك أن صراع أنطاكية مع الأرمن كان له وقعه في تاريخ الوجود الصليبي بالشام، إذ أن الصليبيين بالمنطقة قد انقسموا على أنفسهم بين مؤيد ومعارض حول وراثة عرش إمارة أنطاكية، وبهذا نرى تقرب بوهمند الرابع من المسلمين خاصة حلب لتحقيق مآربه والانتصار على الأرمن[4]، وأصبح نصر بوهمند مرهون بمساعدة الملك الظاهر صاحب حلب[5]، والذي كان هو الآخر يخشى تغلغل الأرمن في شمال الشام[6]، وهنا يظهر وكأن بوهمند الرابع والظاهر ملك حلب حليفين طبيعيين، فمنذ تولية الظاهر بحلب وحتى سنة 1216م/613هـ لم يظهر بين أنطاكية وحلب ما يُعكر صفو العلاقات بينهما[7]. كما نجد مرة أخرى أن صاحب حلب، طلب من أمير أنطاكية المساعدة عندما نزل ليون الأول على حارم وعاث فيها فسادا"فطلب الظاهر جماعة من أنطاكية واتفق معهم على أن يستخدم عشرة ألاف من الفرنج ضد بلاد ابن لاون(ليون)"، وكان ذلك سنة1206م/602هـ[8].

وعليه فبوهمند الرابع استمد شرعية حكمه لأنطاكية، بمساعدة نبلائها والبيازنة وهيئتي الداوية والأسبتارية وصاحب حلب الملك الظاهر[9]، وإستراتيجية من ليون الأول قام بمهاجمة التركمان النازلين في إقليم العمق[1]،

---

[1] إسمت غنيم، دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1991،ص.125.

[2] حسين عطية، ، إمارة انطاكية، ص.251.

[3] انظر، Cahen,op.cit.,p.579.

[4] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.251-252، 254-256.

[5] انظر، Cahen,op.cit.,p.593.

[6] حسين عطية، المرجع السابق، ص.257.

[7] نفسه.

[8] ابن واصل، المصدر السابق،ج.3، ص.ص.170-171.

[9] حسين عطية، المرجع السابق،ص.259.

ويقول ابن واصل:" وفي هذه السنة 602هـ/1206م أغار ابن لاون على التركمان وهم نازلون بالنهر الأسود، فأخذ منهم علما لا يحصى واستاق نعمهم ومواشيهم، وسار إلى دربساك فخرب ربضها وعاد إلى بلاده"[2]. وهذا لجعل الملك الظاهر يتخلى عن مساعدة بوهمند الرابع، وعرض عليه أن يرد كل ما أخذه[3]، وبيّن صاحب حلب رغبته في قبول العرض حين قدوم ليون لحصار أنطاكية التي عانت من تلك الشدة، إلا أن الملك الظاهر استمر في مساعدة بوهمند بالمؤن حتى زالت شدتها[4]. ويُبين موقف الظاهر تجاه أنطاكية، ربما أنه يريد ترجيح كفة الصراع بينه وبين أقرانه من المسلمين في حالة حدوثه، حيث يقول ابن واصل:"ترددت رسلٌ بين الملك الظاهر وعمه الملك العادل ومكاتبات ومعاتبات استشعر منها الملك الظاهر، وتحدث الناس بأن العادل عازم على قصد حلب" وكان ذلك سنة1207م/603هـ[5].

وباعتداءات الأسبتارية على حمص خرج الملك العادل من مصر للانتقام منهم، ووصلت الإمدادات إليه من حلب وحمص وحماة وبعلبك والجزيرة، حتى بلغت قواته عشرة آلاف فارس، عسكر بهم على بحيرة قدس وفي شهر ماي 1207م/شوال 603هـ هاجم حصن الأكراد واستولى على برج أعناز بالقرب منه[6]، ونزل السلطان العادل على طرابلس ووقعت الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس[7]. ويقول ابن واصل:"فبعث إليه صاحب أطرابلس يخضع له وبعث له مالا وهدايا وثلاثمائة أسير ورغب في الصلح فصالحه"، وكان ذلك في شهر جويلية1207م/آخر ذي الحجة603هـ[8].

ونتيجة لاستمرار مشكلة أنطاكية وتداخل عدة أطراف فيها، نرى الملك العادل يدلي بدلوه في ذلك الصراع وطبعا أن لكلٍ هدفه الخاص، فالسلاجقة يريدون الحد من نشاط الملك الأرميني، في حين يرى العادل أن ليون يشغل الملك الظاهر عن مناوئته، ولذلك راسل العادل الأطراف الفاعلة في شمال الشام لعقد الصلح مع الملك ليون الأول، وهكذا أصبح الصراع بين بوهمند وليون حول مشكلة أنطاكية، مجالا أوسع يضم كل القوى السياسية

[1] حسين عطية، ، إمارة انطاكية،ص.273.

[2] ابن واصل، المصدر السابق،ج.3،ص.170.

[3] حسين عطية، المرجع السابق،ص.273.

[4] نفسه.

[5] ابن واصل، المصدر السابق،ج.3،ص.ص.172، 174.

[6] حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.279-280.

[7] العيني، المصدر السابق،ج.3،ص.201.

[8] ابن واصل، المصدر السابق،ج.3،ص.173.

في المنطقة وفرصة للجميع لتحقيق أهدافهم الخاصة[1]. وفي نهاية 1213م اغتال الحشاشون ريموند الابن الأكبر لبوهمند الرابع في كاتدرائية طرطوس، ولذلك خرج الأمير للانتقام من قتلة ابنه وحاصرهم في حصن الخوابي، فطلب هؤلاء المساعدة من الملك الظاهر فلبى نداءهم فتراجع بوهمند وطلب الصفح من صاحب حلب، وكان ذلك في سنة1214م[2] ويعني هذا أن الحشاشين أصبحوا من أتباع الملك الظاهر ويلقون تأييداً منه، ولذا اتسعت الهوة بين صاحب حلب وأمير أنطاكية، في حين كان هناك تقارب بين الظاهر وعمه العادل نتيجة زواج الملك الظاهر من ابنة عمه، إضافة إلى ما يوحد الصفوف أكثر وهو نبأ وصول حملة صليبية جديدة[3].

وعليه ما يمكن استخلاصه أن تخلي المسلمين، وخاصة حلب عن وقوفهم وتأييدهم لبوهمند الرابع كانت نتيجته سلبية على الأمير، إذ أنه فقد إمارته بأنطاكية لصالح خصمه ليون الأول، الذي طالما يدبر المكائد للإطاحة به وتنصيب ريموند روبين عليها وضمان اعتراف البطريرك والنبلاء به. وأما عن السياسه الخارجية لريموند روبن خاصة السياسية تجاه المسلمين، فلم يكن هناك أي إجراء ضدهم، رغم توفر الفرص لديه بعد موت الملك الظاهر، وكذلك انشغال الحلبيين بالتصدي لهجمات سلاجقة الروم على حلب، وانشغال المسلمين في مصر والشام بمواجهة قدوم الحملة الصليبية الخامسة[4]. ولقد استطاع بوهمند الرابع أن يدخل أنطاكية ويتربع على عرشها[5]، وإستراتيجية منه قبل أن يدخل أنطاكية، استغل حملة الملوك والأمراء التي قادها كل من أندرو الثاني Andrew II ملك المجر وهيوج الأول Hugh I ملك قبرص وليوبولد السادس Leopold VI دوق النمسا سنة 1217م على قلعة جبل الطور، وكادت القلعة أن تسقط لولا تراجع قوات بوهمند الرابع[6]، وبالتالي خابت محاولتهم فعادوا عن القلعة وتركوها[7]، وربما يعود سبب تخليهم عن ذلك الحصار هو ما يذكره ابن واصل"فاتفق أن بعض ملوكهم قُتِل"[8]. وأما في ما يخص الحملة الصليبية السادسة التي قادها فردريك الثاني

---

[1] حسين عطية، ، إمارة انطاكية،283.

[2] أنظر، Cahen,op.cit.,pp.620-621.

[3] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.297-298.

[4] نفسه،ص.ص.301-302؛ للمزيد حول كيفية إعداد الغرب اللاتيني للحملة الخامسة.أنظر،سعيد عمران،الحملة الصليبية الخامسة،حملة جان دي برين على مصر،1218-1221م/615-618هـ،دار المعارف،الإسكندرية،1985،الفصل الثالث،ص.ص137-178.

[5] أنظر،.Cahen,op.cit.,p.631؛ للمزيد حول كيفية دخول بوهمند الرابع أنطاكية أنظر،حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.203-204.

[6] عاشور،الحركة الصليبية،ج.2،ص.957-959 ؛حسين عطية،المرجع السابق، ص.ص.306-308؛نهى فتحي،المرجع السابق،ص.74.

[7] ابن واصل ، المصدر السابق،ج.3،ص.257.

[8] نفسه.

إمبراطور ألمانيا(1225م-1250م)، فقد كان بوهمند الرابع يريد أن يشارك فيها كحليف، لكن ذلك لم يحدث إذ أن الإمبراطور كان ينظر إليه مجرد تابع، وهذا ما لم يرضه بوهمند. ولذلك لابد أن يتحمل الأمير تبعات ذلك، حيث أن فردريك أقصى إمارتي أنطاكية-طرابلس كما أقصى أملاك الداوية والأسبتارية الموجودة في نطاق بوهمند من اتفاقية يافا(1229م/627هـ) مع الكامل الأيوبي، مما جعلها عرضة لهجمات المسلمين[1].

وما يمكن قوله أن صراع بوهمند الرابع مع الأرمن حول مشكلة العرش بأنطاكية، جعله ينشغل عن المسلمين في شمال الشام طوال تلك المدة، بل نجده يتحالف معهم إلى جانب سلاجقة الأناضول ضد الأرمن، دون أن يتفرغ لتحقيق أي مكاسب على حساب المسلمين، أو حتى يسترجع لإمارته ما ضاع منها بعد انتصار صلاح في معركة حطين، مما جعل فترة حكمه تتسم بالهدوء النسبي في علاقاته مع المسلمين. ولم يكن الصراع مع الأرمن هو الوحيد في تحديد نوعية العلاقات، بل أن انقسام البيت الأيوبي وفشل الحملتين الصليبيتين الثالثة والرابعة في تحقيق مكاسب في الشام، لذلك انتهج سياسة سلمية تجاه جيرانه المسلمين، ولولا مشاركة بوهمند الرابع خارج حدود إمارته في سياسة الأطراف الفاعلة بالمنطقة، لكان من الصعب أن تجد لإمارة أنطاكية ذكراً في سجل التاريخ في تلك الفترة[2]. وبموته سنة 1233م، يكون قد مات أخر أمراء أنطاكية، الذي يعتبر بلا شك أنه من أعظم الأمراء اللاتين في الشام، حتى وإن كان من بعده ثلاث أمراء من نسله، إلا أنها لم تكن أنطاكية التي عرفتها بلاد الشام في أوج عهدها، إذ أنهكتها الحروب الداخلية وهجمات الأتراك، إضافة إلى تدهور نشاطها التجاري بسبب فقدها ميناء اللاذقية، الذي طالما شكل لها منفذا على الغرب اللاتيني[3]. وإلى جانب ما دار من أحداث في موانئ لبنان وقبرص، في ما يخص التاريخ الصليبي الداخلي أصبح يتطلب اهتماما أكثر مما يتطلبه شمال الشام، إذ أصبحت مصر مركز الاهتمام، في حين خرج شمال الشام طيلة ثلاث عقود من التاريخ العام للمنطقة[4].

وباعتلاء بوهمند الخامس عرش أبيه في إمارتي أنطاكية طرابلس، يكون قد سار على نفس سياسة أبيه التي انتهجها مع جيرانه المسلمين، والتي اتسمت بالمهادنة خاصة مع الملك العزيز، الذي خلف والده الظاهر بحلب في 20جمادى الثانية613هـ/1216م[5]. ومهما يكن فإن ظروفه لم تكن لتسمح بأن يضع لنفسه سياسة خارجية تعيد لإمارته هيبتها التي كانت في زمنها السابق[6]، فلم يكن نفسه أميرا قويا وظهر بصورة أقرب للبابوية ضعيفا

---

[1] نهى فتحي، المرجع السابق،ص.75؛ للمزيد حول اتفاقية يافا.أنظر،ابن الأثير،المصدر السابق،مج.10،ص.481.

[2] حسين عطية، ، إمارة انطاكية،ص.ص.338-339.

[3] أنظر، Cahen,op.cit.,p.644.

[4] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.339-340.

[5] عبد العزيز سالم،المرجع السابق،ص.169.

[6] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.343-344.

يميل للمهادنة والمسالمة[1]، وبإقامته في طرابلس أصبحت أنطاكية بمنأى عنه وسلطته غير نافذة فيها، وبدأ الأمير يكتسب تأييد الإيطاليين حتى يزيد من موارد خزانته في طرابلس، بعد أن ضعفت الموارد الاقتصادية لأنطاكية[2]. وإستراتيجية منه لتحقيق أهدافه قام بمشاركة الأسبتارية ضد حماة، والتي كانت تحت حكم المظفر تقي الدين الثاني، وهذا لإجبارها على الاستمرار في دفع الجزية، التي فُرِضت عليها من قبل، إذ أنهم شنوا هجوما على بعرين وما حولها واستمر القتال إلى أن تدخل الملك الكامل لوضع حد لذلك الصراع، وبهذا استجابت حماة لمطالب بوهمند والأسبتارية[3]، ورغم أن الكامل الأيوبي تتوفر له القوة الكاملة التي تجمعت من أعضاء البيت الأيوبي، إلا أنه أقنع المظفر تقي الدين بدفع الجزية، لأنه كان يرغب في التفرغ لحرب سلاجقة الروم[4].

لقد كانت سياسة بوهمند الخامس مع جيرانه المسلمين ذات طابع سلمي، نتيجة الظروف السياسية آنذاك خاصة مع الملك العزيز صاحب حلب[5]، إذ أنه لم يجازف أبدا بحسن هذه العلاقات مع مسلمي حلب الأقربين، بل أنه عمل على بقائها حسنة – والتي استمرت طيلة خمسة عشر عاما بين والده والملك الظاهر من قبل- مع الملك العزيز، كما نجده أيضا يعمل من أجل أن لا يكون لاتفاقية يافا(1229م/626هـ) بين فردريك الثاني والكامل أي تأثير في فترة كانت موارد أنطاكية مرهقة، علاوة على أنه لم يكن يتمتع بقوة الشخصية، لذا آثر البقاء في طرابلس ولم يستغل ظروف البيت الأيوبي أثناء صراعهم، والتي لم تنته إلا بسقوط دولتهم في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي/ منتصف القرن السابع الهجري[6]، ويظهر مرة أخرى بوهمند على مسرح الأحداث عندما قام بالتوسط للداوية، أثناء حصار الملك العزيز صاحب حلب لهم في قلعة بغراس سنة 1236م/634هـ، ولهذا قبل العزيز وساطة بوهمند ورحل عن القلعة[7]. إن وجود حصن بغراس في أيدي الداوية هو بمثابة قلعة متقدمة لأنطاكية وأكثر أمنا لها، ونتيجة لعلاقاته قام بالوساطة ولم يتدخل عسكريا، كما أن ذلك الصلح كان خيرا للحلبيين في ظل خلافاتهم مع الملك الكامل صاحب مصر[8].

---

[1] نهى فتحي، المرجع السابق،ص.78.

[2] حسين عطية، ، إمارة انطاكية،344. للمزيد من التفاصيل حول الامتيازات التي نالتها المدن التجارية، أنظر، هايد وليم، المرجع السابق،ص.ص.329-330.

[3] نهى فتحي، المرجع السابق،ص.ص.80-81. حول ذلك الصراع والاتفاق أنظر،حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.345-348.

[4] عاشور، الحركة الصليبية،ج.2،ص.1025.

[5] نهى فتحي،المرجع السابق،ص.81.

[6] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.351-352.

[7] عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ص.169.

[8] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.353-354.

لقد استمرت العلاقات مع المسلمين مثل ما كانت عليه، إلى أن شارك بوهمند الخامس في التحالف الصليبي الإسلامي ضد التحالف الإسلامي المصري الخوارزمي في معركة غزة، حيث لقي الصليبيون وحلفائهم هزيمة نكراء في 17 اكتوبر1244م/14جمادى الأولى642هـ[1]، ورغم أن مساهمة بوهمند الخامس كانت ضئيلة، إلا أنه ظهر بمظهر المتحالف مع أقرانه الصليبيين وحلفاؤه مسلمي الشام، و كما كانت خسارة للصليبيين عامة فإنها كانت كارثة لفرسان أنطاكية، إذ أنه سقط حنا ووليم أبناء عم بوهمند في حين تم أسر كونستابل طرابلس[2]، لقد كانت نتائج معركة غزة كارثية بالنسبة لفرسان أنطاكية طرابلس، في ظرف هم في أمس الحاجة للرجال[3]. وعليه فإن بوهمند الخامس لم تعد تهمه المشاريع الصليبية، ما لم تكن فيها مصلحة لإمارتيه. ولهذا نجده يحسن جوار مسلمي حلب، ففي فترة حكمه قد اختلفت عن سابقتها، إذ لم تكن وحدة إسلامية تهدد أنطاكية،كما أنه لا توجد حرب أهلية في المملكة تشد نظره، إضافة أنه لم تكن له القوة الكافية، ولهذا سادت سياسته السلمية[4].

وفي آخر أيامه شهدت أنطاكية اجتياح القبائل التركية، والتي كانت من حين لآخر تقوم بغاراتها للنهب والسلب، مما أدى إلى هجرة المزارعين وسكان المدينة وكان لهذا تأثيره السلبي على الإنتاج الزراعي، مما كان سببا في اضمحلال الإمارة التي طالما عاش سكانها الرخاء طيلة عقود، لذا هجرها أهلها بعد أن ساءت أحوالهم أمام مد القبائل التركية المغيرة، وترقبا للخطر المحدق بالمنطقة من جانب المغول، كما أن أميرها انسحب واكتفى بالإقامة في طرابلس إلى أن مات سنة 1251م[5]، واعتلى العرش من بعده ابنه بوهمند السادس في أمارتي أنطاكية طرابلس(1251م-1268م)، وتولت أمه لوسي الوصاية عليه كونه لم يبلغ سن الرشد، في حين لم تقم بواجبها وانصرفت للإقامة في طرابلس[6]، وهكذا أضحت أنطاكية مكانا للنزاعات بين اليونانيين واللاّتين[7]، حينها كانت تتنامى قوة المماليك في مصر لتصبح قوة بإمكانها تحديد مصير الشام الفرنجي[8]. ولقد تزامن حكم الأميرة لوسي قيام القبائل التركية بهجمات على إمارتي أنطاكية طرابلس، حيث بلغت شدة هجماتهم على إمارة أنطاكية أن

---

[1] نهى فتحي، المرجع السابق،ص.82؛ .Stevenson ,op.cit.,p.323؛ للمزيد من التفاصيل أنظر، حسين عطية، ، إمارة انطاكية، ص.ص.364-365؛ رانسيمان،المرجع السابق،ج.3،ص.ص.275-277.

[2] حسين عطية، المرجع السابق،ص.ص.366-367.

[3] أنظر، Cahen, op.cit.,p.651.

[4] حسين عطية،المرجع السابق،ص.ص.367-369.

[5] المرجع نفسه، 379.في حين يبين كلود كاهن أن وفاته كانت في جانفي1252م،أنظر، Cahen ,op.cit., p.702.

[6] جوزيف نسيم ، المرجع السابق،ص.303.

[7] انظر، Bouchier, op.cit.,p.268.

[8] أنظر، Ibidem.

خربوا إقليم أنطاكية بأكمله باستثناء المدينة، وكان لذلك أسوأ الأثر عليها[1]، ولم يكن باستطاعة الفرنج متابعة نشاطهم خارج أسوار أنطاكية، وبهذا أصبح كل الإقليم قفرا، وواصل سكانها هجرتهم منها بعد أن كانت قبلة لهم[2].

وأثناء وجود لويس التاسع في المشرق انتهز بوهمند السادس تلك الفرصة، لتحقيق ولو القليل من الاستقرار لإمارته في ظل الوضع المتردي التي تعيشه نتيجة غارات التركمان، إضافة إلى الصراع بداخلها من تنافس بين مختلف التيارات السياسية والدينية[3]، وبفضل بسياسة الملك النشطة في المشرق تجاه المماليك والأيوبيين، جعلت من ذلك تنافس بينهما في نيل ود الملك، وبهذا حُق لأنطاكية أن تنعم بالسلام مادام لويس التاسع بالمشرق[4]. ولقد تواصلت هجمات قبائل التركمان حتى بلغت كونتية طرابلس، حينها لم يجد بوهمند السادس من يمد له يد العون لمواجهة تلك الغارات خاصة صليبي الشام، فإذا به يبعث إلى البلاط الأنجليزي مستنجدا بالملك هنري الثالث(1216-1272م)، لكن ذلك لم يجد له نفعا[5]. وإذا ما نظرنا بصفة عامة فإن سياسة وهمند السادس لم تحيد عن سياسة والده السلمية تجاه جيران أنطاكية المسلمين، ومن حسن حظه أن كان الخلاف بين الناصر الأيوبي في حلب ودمشق والمماليك في مصر[6].

6-علاقة إمارة أنطاكية بالمماليك :

إن السياسة التي اتبعها بوهمند السادس مع صهره هيثوم الأول ملك أرمينيا الصغرى، وتحالفهما مع المغول ضد المسلمين، قد زادت من سخط المماليك عليهما[7]. فبعد هزيمة المغول في عين جالوت سنة1260م/658هـ[8]، حانت فرصة تقويض أركان البيت الصليبي، خاصة أنطاكية وأرمينية، لاسيما أن أملاكهما كانت بمحاذاة مغول فارس، وهذا له أثره على دولة المماليك، لذا رأى الملك الظاهر بيبرس أن يضع لذلك حدا[9]، وبهذا أصبح التوتر قائما بين أنطاكية والمماليك، إذ نجد غارات المماليك على أملاك أنطاكية والتي وصلت إلى ميناء السويدية وأحدثت به دمارا وكان ذلك سنة1261م/659هـ، كما أنهم في السنة التالية أغاروا

---

[1] نهى فتحي، المرجع السابق،ص.84.

[2] حسين عطية، ، إمارة انطاكية،ص.ص. 380-381.

[3] نفسه،ص.ص.382-384.

[4] نفسه، ص.389.

[5] نفسه، ص.381.

[6] نفسه،ص.389، 393.

[7] نهى فتحي الجوهري، المرجع السابق، ص.ص.91-92.

[8] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج.7، ص.73.

[9] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.451-452.

مرة أخرى ونهبوا وأسروا[1]، ولم تتوقف طموحات الأرمن والصليبيين خاصة بوهمند السادس، إذ أنه في شهر جويلية سنة1264م/ذو القعدة 662هـ، قام مع صهره هيثوم بالذهاب إلى معسكر هولاكو في مدينة تبريز طلبا لمساعدته، حيث كانت وساطته بأن يعقد هيثوم صلحا مع سلطان سلاجقة الروم قلج أرسلان، أي أصبح في مأمن من جهة السلاجقة بالأناضول، ولهذا جمع الملك الأرميني قواته في سرفنتكار المتكونة من الأرمن والمغول وفرسان أنطاكية (مائة وخمسون فارسا) وأغاروا على شمال الشام[2].

ويقول اليونيني:" جمع تكفور صاحب بلاد سيس جماعة كبيرة خيلا ورجلا، وخرج من سيس وأغار على بلد الجومة إلى بلد العمق وجبل ليلون ومعرة مصرين وسرمين والفوعة" وكان ذلك سنة 1263م/661هـ[3]. ولقد اتبع الظاهر بيبرس أسلوب المناوشة نفسها تجاه صليبي فلسطين، إلا أنه بموت هولاكو في 8فيفري 1265م/20ربيعالثاني663هـ زال خطر المغول، وبالتالي سيتبع بيبرس سياسة الثأر تجاه الصليبيين في الشام[4]، وكان خط سيره من الجنوب إلى الشمال وتم له فتح قيسارية في28 فيفري 1265م/9جمادى الأولى663هـ، كما تم فتح حيفا وتدمير قلعة عثليت إضافة إلى فتح أرسوف في 26أفريل1265م/8رجب663هـ[5].

وبعد أن تأكد الظاهر بيبرس من إحكام سيطرته من مصر إلى الشام، بدأ يوجه ضرباته إلى أنطاكية وقليقية، ورغم ذلك لم تتوقف قوات أنطاكية من إحداث المناورات لعلها تفك الضغط المضروب عنها، إذ أنه في 19 من نوفمبر1265م/8صفر664م، قام بوهمند السادس وبمساعدة الداوية والأسبتارية من طرابلس بالهجوم على حمص، ولكنه مني بالهزيمة فارتد على عقبيه[6]، واصل بيبرس سياسته الهجومية لتقويض البنيان الصليبي، ففي منتصف سنة 1266م/664هـ، استولى على حلبا وعرقة والقليعات[7]، وبهذا أمن الطريق بين حمص وطرابلس[8]، وهكذا تواصلت فتوحات الظاهر بيبرس من الجنوب إلى الشمال، حتى وصلت مملكة أرمينيا الصغرى التي وطأتها أقدام الجيش الإسلامي، وكانت بمثابة بداية النهاية لهذه المملكة[9]. ويقول ابن تغري بردي:"

---

[1] حسين عطية، ، إمارة انطاكية، ص.453.

[2] نفسه، ص.454.

[3] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند،1954، ج.1، ص.531.

[4] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.454-455.

[5] عزمي أبو عليان، مسيرة الجهاد ضد الصليبيين في عهد المماليك1250-1517م، دار النفائس-الأردن،1995، ص.ص.34-37.

[6] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.455-456.

[7] عزمي أبو عليان، المرجع السابق، ص.ص. 38-39.

[8] حسين عطية، المرجع السابق، ص.458.

[9] عزمي أبو عليان، المرجع السابق، ص.ص.39-45.

ودخلوا بلاد سيس، فنهبوا وأَسَروا وقَتلوا وكان فيمن أُسِر ابن صاحب سيس وابن أخته وجماعة من أكابرهم"، وكان ذلك سنة 1266م/665هـ[1]، وبكل الانتصارات التي حققها المماليك، زيادة على استيلائهم على دربساك الواقعة في الشمال سنة1266م/665م، أصبحت أنطاكية معزولة تماما حتى عن حلفائها الأرمن[2].

7-تفاعل الإمارة مع المحيط الإسلامي :

إذا ما نظرنا إلى الحروب فإنها خراب ودمار، خاصة إذا كان هناك ما يغذيها من اختلاف في العقيدة والفكر، وحقيقة فالاختلاف في العقائد ليس بالضرورة أن تحمل فكرة التعصب والكراهية ضد الآخر. والحروب الصليبية في المشرق الإسلامي حلقة من حلقات الصراع بين الإسلام والمسيحية، والتي دامت ما يقارب القرنين من الزمان فيه تقابل الشرق والغرب وجها لوجه، في بيئة تفاعلت فيها العناصر البشرية بمختلف انتماءاتها وعقائدها. فاستقرار الصليبيين في بلاد الشام وتكوينهم لإمارات فيه، يعتبر استيطانا لاتينيا مستغلين في ذلك موارده، ولكن ليس ذلك بمنأى عن أصحاب الأرض. وهذا أدى إلى الاحتكاك الحضاري بين الصليبيين والمسلمين، والذي من خلاله انتقلت بعض التأثيرات الحضارية إلى الغرب اللاتيني[3]، إذ نجد قيام العلاقات الاقتصادية بين الطرفين منها ما يتعلق بالمسلمين أو الفرنج ومنها ما يتعلق بطبيعة العلاقة التي نشأت أو ما يتعلق ببلاد الشام ومدنها، فمثلا مدينة بيروت أصبحت تحت حكم الفرنج سنة(1109م/503هـ)، كانت تمتاز بوجود معدن الحديد[4]، كما يوجد في شمال بلاد الشام أنطاكية التي اشتهرت بما تنتجه مصانعها من الملابس الحريرية والسجاد والزجاج والفخار والصابون، وكانت القوافل الآتية من حلب ومابين النهرين تتجاهل الحروب بين المسلمين والصليبيين وتعبر بوابات المدينة في اتجاه البحر[5].

ولقد كانت المناطق التي استولى عليها الصليبيون ذات مواقع هامة، بل أنها ذات موارد مثلا كالأشجار التي كانت تشكل في ذلك العصر -ولا تزال- مادة أولية هامة، حيث كانت إمارة أنطاكية كثيرة الغابات فالجبل الأسود وجبال النصيرية تكسوها غابات متنوعة الأشجار. وبما أن إستراتيجية الإمارات الصليبية خاصة أنطاكية في بداية عهدها قد سيطرت على الطرق والممرات، وبذلك أصبح بإمكانها التحكم في حركة التجارة في بلاد الشام وصولا إلى الأقاليم الأخرى، فبالاستيلاء على أنطاكية(1098م) أصبحت الطرق التي ترتبط بها تحت سيطرة النورمان، مثلا الطريقان القادمان من مرعش وحلب وعندها ينتهي الطريق القادم من اللاذقية وساحل لبنان، كما

---

1 ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج.7، ص.126.

2 حسين عطية، إمارة انطاكية، ص.466.

3 الحويري محمد حمود، المرجع السابق، ص.217.

4 علي السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1996،ص.11.

5 رانسيمان، المرجع السابق، ج.2،ص.35.

تبدأ منها الطرق المؤدية إلى الاسكندرونة وميناء السويدية[1]، إضافة إلى أن الاستيلاء على المراكز الهامة جعل الإمارة تتحكم في الطرق والمنافذ التجارية، مثلا كقلعة حارم التي تشرف على حلب من جهة الغرب[2]، ولاشك في أن هذه القلعة المتقدمة عندما استردها المسلمون كانت بمثابة الفاجعة على النورمان، ولذلك طلبوا الأمان لأنهم يعرفون مدى فعاليتها في وصول السلع إليهم. ولا غلو في أن المعاهدات السلمية تصحبها إقامة العلاقات الاقتصادية، حيث أن معظم الاتفاقيات تنص على حرية التجارة، وانتقال التجار بمتاجرهم وحمايتهم، وكفل الحماية والحرية للقوافل التجارية بالتنقل والمرور في بلاد المسلمين والصليبيين على حد سواء.

ولقد كان المسلمون في حاجة ماسة لإقامة العلاقات الاقتصادية، لتصريف منتجاتهم أو منتجات الشرق الأقصى، وهذا بعد استيلاء الصليبيين على الساحل الشامي، لأن حظ الصليبيين قد ازداد خاصة مع تجار الغرب، ولذلك رحب الفرنج هم أيضا بذلك لأنهم في حاجة لمنتجات الشرق[3]. ومما يظهر أن المناطق التي كانت دائما متنازع عنها أصبحت مقاسمة بين المسلمين والصليبيين، والتي تسمى"بلاد المناصفات"[4]، فبعد أن ملك عماد الدين بعض حصون وقلاع الإمارة في الجهة الشرقية، مثل الأثارب والتي تعتبر قلعة متقدمة لأنطاكية من جهة حلب، أصبح المسلمون أكثر قربا للصليبيين[5]. ولقد كان من به من الصليبيين يقاسمون أهل حلب جميع أعمالها، "حتى على رحى لأهل حلب بظاهر باب الجنان"، وفي حصاره لقلعة حارم بذل النورمان نصف دخلها وهادنوه[6].وبتوسع نور الدين محمود على حساب قلاع أنطاكية وقتله لأميرها[7]، أصبحت أنطاكية تحت رحمة نور الدين إلى أن تم الاتفاق" اقتضت الحال مهادنة من في أنطاكية، وموادعتهم وتقرير أن يكون ما قَرُب من الأعمال الحلبية له وما قَرُب من أنطاكية لهم"[8]، وعند منازلة نور الدين محمود مرة أخرى لحصن حارم سنة 1156م/551هـ خافوا من ملاقاته، "فبذلوا له نصف أعمالها" فأجابهم لذلك ورحل عنها[9].

وعليه فإن بلاد المناصفات كانت معروفة منذ قبل الحملة الصليبية الثالثة، بمعنى أن تكون الأرض للمسلمين

---

[1] علي السيد علي، المرجع السابق،ص.ص.13-14.

[2] القلقشندي، المصدر السابق، ج.4، ص.124.

[3] علي السيد علي، المرجع السابق، ص.ص.15، 24-25.

[4] نفسه،ص.43.

[5] أنظر، Grousset, op.cit.,p.114.

[6] علي السيد علي، المرجع السابق، ص.44.

[7] أبو شامة، الروضتين،ج.1،ق.1،ص.ص.9-10.

[8] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.305.

[9] ابن واصل، المصدر السابق،ج.1، ص.ص.127-128.

وتنازلوا عن بعضها للفرنج أوالعكس، وبمرور الوقت تطور ذلك النظام وأصبح يخضع لإدارة إسلامية إفرنجية، يرأسها نائبان أحدهما يمثل سلطان المسلمين والآخر يمثل الحاكم أو الأمير الفرنجي[1]. ويقول القلقشندي:" وعلى التجار والسُّفار والمترددين من جميع هذه الجهات المذكورة يكونون آمنين من الجهتين: الجهة الإسلامية والجهة الفرنجية النصرانية في البلاد التي وقعت هذه الهدنة عليها"[2]، وفي ما يخص الرسوم والضرائب فقد كانت مناصفة في هذه البلاد، وامتدت لتشمل كل الموارد والمرافق الاقتصادية المعروفة، سواء كان في الأراضي الزراعية بما فيها البساتين والمحاصيل الصيفية والشتوية والطواحين والثروة الحيوانية، وكذلك ما يُفرض من رسوم على ما يمر بالبلاد وموانئها من سلع تجارية[3]. ومن خلال ما يبينه الرحالة ابن جبير أن التواصل بين الفرنج والمسلمين غير منقطع، حيث يقول:"واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكة كذلك، وتجار النصارى أيضا لا يُمنَع أحد منهم ولا يُعتَرض"[4]، وللنصارى على المسلمين ضريبة مقابل أمنهم، وكذلك للمسلمين على النصارى ضريبة على سلعهم، وهكذا الحال وأهل الحرب مشتغلون بحربهم[5].

ومن بين السلع التي تم تبادلها بين الفرنج والمسلمين القماش على اختلاف أنواعه، وكانت المنسوجات الحريرية التي تصنع في المدن الخاضعة للصليبيين كانت تصدر هذا المنتوج، فمن مدن الإمارة بأنطاكية اشتهرت اللاذقية التي كانت تتميز بالحرير الشامي[6]، إضافة إلى ذلك كانت التوابل من الأهمية بمكان، وكان للمسلمين والمسيحيين الشرقيين الباع الأكبر في هذه التجارة، والتي تم نقلها من الداخل إلى الساحل، كما أن التجار اليونانيين والأرمن بدورهم نقلوها من أنطاكية إلى الساحل[7]. ورغم وقوع المعارك بين الصليبيين والمسلمين، إلا أن التواصل التجاري بين المسلمين والفرنج لم ينقطع، وهذا حسب ما يرويه ابن جبير:"ومن أعجب ما يُحَدّث به أن نار الفتنة تشتعل بين الفئتين من مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم"[8]، ويضيف قائلا:" ومن أعجب ما يُحَدّثُ به في الدنيا أن قوافل

---

[1] علي السيد علي، المصدر السابق،ص.45.
[2] القلقشندي، المصدر السابق،ج.14،ص.37.
[3] علي السيد علي، المرجع السابق،ص.47.
[4] ابن جبير، رحلته، دار صادر، بيروت، د.ط.، ص.260.
[5] نفسه،ص.260.
[6] علي السيد علي، المرجع السابق، ص.57.
[7] نفسه، ص.58.
[8] ابن جبير، المصدر السابق،ص.260.

المسلمين تخرج إلى بلاد الإفرنج، وسَبْيَهم يدخل إلى بلاد المسلمين"[1].

ورغم وجود العلاقات التجارية بين المشرق الإسلامي والغرب اللاتيني، إلا أن حكام المسلمين لم يمنحوا التجار الأوربيين فنادق في البلدان الإسلامية، إلا بعد أن ازدهرت حركة التبادل التجاري بين الشرق والغرب عقب الحروب الصليبية، ولقد كان الصليبيون هم الواسطة في هذا التبادل[2]، وتعتبر مدن الشام مثل دمشق وحلب وحماه وحمص المحطات النهائية للطرق التجارية القادمة من الشرق الأقصى، لذا كان على تجار الفرنج أن يقوموا بإبرام المعاهدات على أعمالهم التجارية هناك في فنادقهم، ثم ينقلون مشترياتهم على ظهور الجمال إلى أنطاكية وصور وعكا وغيرها ليتم نقلها غربا إلى أوربا، كما أن السلطة الإسلامية قامت بتجهيز أهم هذه الفنادق بالكنائس ودور العبادة والصلاة، لقد جاء في الامتيازات التي منحها السلطان العادل الأيوبي سنة1238م/636هـ، لجميع فئات الفرنج المختلفة بإقامة كنائس خاصة بهم داخل فنادقهم، إضافة إلى الحمامات الخاصة بكل طائفة[3]. ومثلما كان للفرنج في بلاد المسلمين فنادق، كان للمسلمين في بلاد الفرنج خانات(مباني يأوي إليها التجار)، وطبعا كان ذلك عاملا مشجعا لمزاولة التجار لنشاطهم في بلاد الفرنج. وللتواصل بين التجار المسلمين وغيرهم من الصليبيين استغلوا المترجمين، سواء كانوا من المسيحيين الشرقيين أو من الذين يتقنون العربية أو من الذين يستعملون الفرنسية والايطالية[4].

وبما أن استمرار حياة الإمارات الصليبية كان مرهونا بتعاملهم التجاري مع المسلمين، لذا فتحوا المجال للتجار نحو بلادهم وأقاموا على حدودها مناطق جمركية، للاستفادة من الجهتين من جني الرسوم والاستفادة من السلع[5]. ويقول ابن جبير في ذلك:" وانتهينا إلى حصن كبير من حصون الفرنج، يُعرف بتبنين وهو موضع تمكيس القوافل"[6]، ونتيجة لازدهار النشاط التجاري ببلاد الشام بين الفرنج والمسلمين، تداولت العملات الإسلامية (الدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلس النحاسي) واللاتينية وتنوعت نقودها حسب الأجناس التي كانت تفد إلى الشام، بل أن الفرنج سكوا العملات الذهبية والفضية على غرار النقود الإسلامية ونقشوا وكتبوا عليها بالعربية، وطبعا هذا لتسهيل عملية التبادل التجاري كونهم في البلاد الإسلامية[7]، كما أن الفرنج ضربوا

---

[1] ابن جبير، المصدر السابق، ص.271.

[2] علي السيد علي، المرجع السابق، ص.77.

[3] نفسه، ص.78.

[4] نفسه، ص.ص.83-86.

[5] نفسه، ص.96.

[6] ابن جبير، المصدر السابق، ص.274.

[7] علي السيد علي، المرجع السابق، ص.117، 119.

نقودا تقليدا للدنانير الإسلامية في كل من صور وطرابلس وأنطاكية وعكا والتي عُرفت بالبزنتيات" Besants Serracenatus" في السجلات والمواثيق، كما أنها عُرفت لدى العرب بالدينار الصوري[1].

وفي إمارة أنطاكية بصفة خاصة سك النورمان نقودا ذات كتابات يونانية لاتينية، نتيجة ارتباط المدينة ببيزنطة[2]، ولقد كان للتبادل التجاري أثر على حياة الفرنج في الشام، بل حتى على الذين ارتحلوا إلى الغرب اللاتيني، إذ أن الإمارات الصليبية كانت تنعم بالرخاء والدّعة، واستخدم الفرنج بعد عودتهم الطواحين الهوائية والتي عهدوها في المشرق، إضافة إلى استخدام الأسمدة والمخصبات، كما تأثروا بفنون أخرى[3]. ولقد امتدت العلاقات إلى الميدان الاجتماعي أيضا، فمبرور جيل واحد عن تكوين الإمارات الصليبية، نرى أن الصليبيين قد نسوا تعصبهم الديني -رغم أن العداء السياسي قد استمر- وأصبح المسلمون وخاصة التجار، يتحركون وبكل حرية في المناطق التي استولى عليها الفرنجة[4]. بينما من يأتي إلى بلاد الشام يكون أكثر تعصبا وهذا حسب ما يرويه المؤرخ أسامة بن منقذ فيقول:" فكل من هو قريب العهد بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقا، من الذين قد تبلّدوا وعاشروا المسلمين"[5].

وفي هذه البيئة امتزجت الحياتين الشرقية والغربية، ولا غرابة في أن يكتسب العديد من الصليبيين ذوق الأطعمة والأشربة و الزي الشرقي، حتى أنهم بنوا بيوتهم على الطراز السوري[6]، ومن خلال ما يرويه فوشيه الشارتري أن الصليبيين بمرور عقدين من الزمن اندمجوا في الحياة الشرقية، حيث يقول:" إذ أن أولئك الذين كانوا غربيين أصبحوا الآن شرقيين، ومن كان روميا أو فرنجيا قد تحول في هذه البلاد إلى جليلي أوفلسطيني. ومن أتى من الرايمس Reims أو الشارترز Charters، أصبح الآن مواطنا من صور أو أنطاكية ...ويمتلك البعض البيوت والمنازل بالميراث الآن، وأتخذ البعض زوجات لهم لا من بنات جلدتهم، بل من السوريات أو الأرمينيات، بل وحتى من الشرقيات اللواتي حُظِين بالتّعميد"[7]. ولقد اعتاد البعض منهم تقليد المسلمين مثل ما فعل الأمير

---

[1] أنظر، LAVoix Henri, Monnaies A Légendes Arabes Frappées en Syrie Par Les Croisés, Libraires de La Bibliothèques de L'École National des Beaux-arts, Paris,1877,P.51.

[2] علي السيد علي، المرجع السابق، ص.122. للمزيد من التفاصيل حول النقود وسكها في المشرق، انظر، براور يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين -مملكة بيت المقدس اللاتينية-، ، ص.ص.455-466.

[3] علي السيد، المرجع السابق، ص.ص.134، 137.

[4] الحويري، المرجع السابق، ص.242؛للمزيد من التفاصيل حول صداقة الصليبيين للمسلمين، أنظر، رانسيمان، المرجع السابق،ج.2، ص.ص.367-368.

[5] أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.134.

[6] الحويري، المرجع السابق، ص.243.

[7] فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص.218، أنظر أيضا، عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص.ص.52-53؛=

تانكريد، إذ أنه أرسل لحيته وارتدى العمامة وهذا ليس غريبا عليه مثل أقرانه الذين نشأوا في جنوب ايطاليا وصقلية، هذه المنطقة التي شهدت الوجود العربي الإسلامي وما تميزت من تفاعل حضاري، ويظهر ذلك من خلال صورته على العملة التي سكها في أنطاكية، كما أنه استخدم الكتابة اليونانية واللاتينية على السكة[1]، حتى النساء الفرنجيات قلّدن مثيلاتن الشرقيات في ارتداء الخمار أثناء خروجهن من البيوت[2]. ونتيجة لطول معاشرتهم للمسلمين اكتسب الصليبيون الكثير من الذوق الشرقي، خاصة السكر والتوابل وأصبحت القهوة شرابا للكثيرين منهم[3]، وربما أن البعض منهم تخلى عن بعض مأكولاتهم المباحة، والمحرمة لدى المسلمين متأثرا بهم.

ومن خلال مايرويه المؤرخ أسامة ابن منقذ يظهر مدى تأثر الصليبيين بالسكان المحليين، وهي أن أحد أصحاب أسامة قد نزل ضيفاً على أحد الفرسان الأوائل، والذي أُعْفِي من الخدمة واستقر بأنطاكية، حيث يقول:" أحضر مائدة حسنة وطعاما في غاية النظافة والجودة"، ولكن صاحب أسامة لم يأكل فقال له، "كُلْ طيّب النفس فأنا ما أكل من طعام الإفرنج، ولي طباخات مصريات ما آكل إلا من طبيخهن، ولا يدخل داري لحم خنزير"[4].

ويرى المؤرخ رنسيمان أن التكيف مع الحياة الشرقية لا مفر منه، لذا وجب على الصليبيين الاتصال بجيرانهم، ولقد كان المناخ عاملا ذا تأثير فمثلا الشتاء في الشام يطابق شتاء الغرب اللاتيني، لكنه أقل طولا أما الصيف القائظ أرغمهم على ارتداء ملابس خفيفة وتناول أطعمة متنوعة[5]. ولم يتوقفوا عند هذا، بل أنهم استخدموا الحمامات وأصبحت مثل النوادي يجتمع فيها مرتادوها، ويتناولون المشروبات الساخنة وتجاذب أطراف الحديث[6]، ومع أن الزواج هو أحد العوامل الرئيسية في التفاعل الاجتماعي والاختلاط بين الصليبيين والمسلمين، إلا أنه لم يحدث إلا فيما ندر، وعلى العكس فقد حدثت المصاهرة بين الصليبيين والمسيحيين

=زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية،دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،1958، ص.ص.143-144.

[1] أنظر، Krijnie Ciggaar(N), Adaptation to oriental Life by Rulers In And Around Antioch In East And West In The Medieval Eastern Mediterranean, Peeters Publishers and Depatment of Oriental Studies, Louvain, Belgium, 2006, Vol.,I, p.268,272.

[2] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.366؛ للمزيد حول تأثر الصليبيين بالمسلمين. أنظر، عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص.ص.50-53.

[3] الحويري، المرجع السابق، ص.ص.244-245.

[4] أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.140.

[5] رانسيمان، المرجع السابق، ج.2، ص.266.

[6] الحويري، المرجع السابق، ص.ص. 245-246.

الشرقيين، مما أدى إلى ظهور جيل جديد يسمى البولاني[1]، وعادة ما استمر على نمط الحياة الشرقية[2]، وقد أنكر عليهم ذلك جاك دي فيتري أسقف عكا، حيث يقول:" وأبناءهم الذين يُسَمّون البولاني عاشوا حياة الدّعة والرخاء مخنثين، اعتادوا على الحمامات أكثر من خوض المعارك، مدمنين على الشهوات، كما أنهم ارتدَوا الملابس الفضفاضة مثل النساء"[3].

وبالرغم من وجود العلاقات الاجتماعية بين الفرنج والمسلمين، إلا أنه كان يشوبها كثير من السلبيات، خصوصا في فترة التوتر والصراع السياسي والعسكري، حيث كان يُضطهد المسلمون ويتعرضون للمشقة والأهوال[4]، وبما أن الصليبيين قصدوا المشرق للغزو والاستيطان فإن حياتهم اتصفت بالغلظة والخشونة، وهمهم الوحيد هو توطين أنفسهم والدفاع عن مواقع استيطانهم، وسط المحيط الإسلامي. ورغم أن حدة الصراع بين الصليبيين والمسلمين قد خفت وطأتها، إلا أن الروح العدائية استمرت، ولم ينس المسلمون بأن طرد الصليبيين من أرض الشام واجب، وهذا ما تحقق فعلا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي(السابع الهجري)، وبهذا لم تتح للصليبيين حياة الاستقرار الكلي لمباشرة النشاط الفكري، عكس ما أُتيح لأبناء الغرب اللاتيني في الأندلس وصقلية[5]. ويقول كلود كاهن:"إن الفرسان والتجار الذين سيطروا على المشرق، لم يجدوا أكثر من أنطاكية وطرابلس والرها وبيت المقدس مراكز للحضارة الروحية، مقارنة في أماكن أخرى"[6]، أي أن هذه الأماكن مقدسة، وامتزجت بها ثقافات عدة، والمسلمون في المشرق كانوا يعتبرون أنفسهم أرفع ثقافة، لذا يروا بأن الإفرنج لم يكن لديهم شيء ثقافي ومعارف تستحق الاهتمام[7]، ورغم ما لاحظه أسامة بن منقذ من سذاجة في العلاج، إلا أنه كانت لبعضهم طرقهم الخاصة في معالجة مرضاهم باستعمال بعض الأعشاب الطبية وغيرها، والتي كانت لها فعالية في علاج المصابين[8].

وعليه فإن الحروب الصليبية رغم كثرة أحداثها، إلا أنها كانت هزيلة فيما حققته في مجالي الفكر والثقافة،

---

[1] الحويري، المرجع السابق، ص.259.

[2] أنظر، Krijnie Ciggaar ,op.cit.,Vol.,I.p.267.

[3] أنظر، Jacques de Vitry, op.cit.,I,p.137.

[4] حلاّق حسّان، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى(الأندلس–صقلية–الشام)، دار النهضة العربية، بيروت، 2012، ص.201.

[5] الحويري، المرجع السابق، ص.217.

[6] أنظر، Cahen,op.cit.,p.569.

[7] الحويري، المرجع السابق، ص.218.

[8] أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص.ص.132-134.

وأن الاتصال في الغرب كان أفضل من الاتصال في الشرق، باستثناء التجارة والصناعة[1]. ويقول المؤرخ رنسيمان:" أن الحياة الفكرية في ما وراء البحار كانت مخيبة للآمال، مقارنة بالحياة الفكرية في صقلية وإسبانيا، وربما كان متوقعا أن يكون التلاقي بين الفرنج والشرقيين حافزا للتفاعل الفكري، غير أن المجتمع الفرنجي الذي يتكون من غالبية الجنود والتجار، لم يكن مناسبا لإيجاد بيئة فكرية عالية المستوى والمحافظة عليها"[2]، بمعنى أن طبيعة الحملة الصليبية وما حمله أصحابها من أفكار تعصبية، وطمعا في ثروات المشرق جعلت التوتر منذ بدايته، وبمرور الزمن حدث هناك تقارب بين العرب والإفرنج، ولاسيما بين رجال من ذوي العلم وغيرهم من النساك والرهبان في الأماكن المقدسة، حين فترة انتشار الأمن[3].

وأما في ما يخص التعليم في الشرق الفرنجي لا يعدو أن يكون عبارة عن مدارس ملحقة بالكاتدرائيات، أوبلاط الملوك والأمراء مثلما هو في الغرب اللاتيني[4]، والكنيسة بأنطاكية مثل أي كاتدرائية في الغرب بمدرّسيها ومدارسها، والأديرة غير العسكرية لعبت دورا هاما كمراكز للدراسة[5]، أي أن التعليم بالشرق الفرنجي لا يزال على الطريقة المعهودة في الغرب، حكرا على الكاتدرائيات والأديرة، ولا أدل على ذلك من أن قادة الفكر ورجال الدين والسياسة، أمثال وليم الصوري وايمري دي ليموج بطريرك أنطاكية وجاك دو فيتري أسقف عكا، كانوا ممن ذهب إلى الغرب خاصة فرنسا لإكمال تعليمه[6]. وفي الشرق الفرنجي لا يُعرف عن التعليم إلا الشيء القليل. وعليه فإن الثقافة الفرنجية في ما وراء البحار ظلت في عمومها استيراد من الغرب اللاتيني، مع القليل جدا من الاتصال بالثقافة الشرقية، عدا الفنون[7]، ورغم ذلك إلا أن هناك من قام بترجمة بعض العلوم العربية، كستيفن الأنطاكيStephen of Antioch الذي قام بترجمةٍ في مجال الطب، وكان ذلك سنة1127م[8]، أما في مجال الأدب والملاحم فنجد خصوصا قصيدة أنطاكية، والتي تُسمى بقصيدة البؤساء Chanson Des Chétifs هذه القصيدة لقيت رواجا في الشرق والغرب تتعلق أحداثها بحصار أنطاكية1098م، حيث تروي

[1] الحويري، المرجع السابق،ص.218.

[2] رانسيمان، المرجع السابق، ج.3، ص. 559.

[3] الحويري، المصدر السابق، ص.219.

[4] نفسه، ص.ص.221-222.

[5] أنظر، Cahen,op.cit.,p.569.

[6] الحويري، المرجع السابق، ص.222.

[7] رانسيمان، المرجع السابق، ج.3، ص.ص.559-560.

[8] انظر، Leclerc Lucien, Histoire De LA Médecine Arabe, Libraire des Sociétés Asiatiques de Paris, Paris,1876,T.,II,pp.39,445,498.

قصة الصليبيين الذين وقعوا في أسر كربوغا أتابك الموصل، وقد ألفها مجهول استجابة لرغبة ريموند بواتييه أمير أنطاكية[1]. ولقد كان لبلاط الملك أو الأمير سحرا شاملا خلابا، لكن عدد الدارسين المقيمين في الشرق كان ضئيلا، وقد حالت الحروب والصعوبات المالية وجود مؤسسات كبرى كمراكز دراسة حقيقية، تمكنها من استيعاب المعارف الشرقية[2].

وفي إطار الاندماج في البيئة المشرقية بأن أنطاكية كإمارة صليبية، في عقدها التكويني الأول استطاعت أن تؤسس هياكل إدارية وأنماط خاصة بحصص الأراضي تأثراً بالنمط البيزنطي مع وجود خليط من السكان، كما أنها أقامت علاقات دبلوماسية مع القوى الإسلامية المجاورة خاصة حلب وشيزر، والمتفحص لتاريخها يرى بأنها وحدة قائمة ومتميزة بذاتها وليس جزءا من تاريخ مملكة بيت المقدس. ولقد طورت أنطاكية ارستقراطية قوية، تضاءلت على نحو أسرع من القدس، إضافة إلى إدراج مؤسسات بيزنطية في حكومتها المحلية[3]، والتي لا يمكن العثور عليها في أي أماكن أخرى في الشرق اللاتيني، وتفاعلت وتعاملت مع المسلمين بشكل نشط، أكثر من جيرانها اللاّتين في هذه الفترة المبكرة، إذا كنا نستطيع وصف الإمارة كمجتمع صليبي، حيث كانت المثل العليا للحرب المقدسة مازالت متبناة، بالمقارنة مع شبه جزيرة إيبيريا وصقلية أو العالم المسيحي الغربي، وكمثال هام ومتميز من التوترات بين الفكر الديني والواقع السياسي، حتى في سياق الشرق الأدنى وفي ظل الحركة الصليبية، بدأ هذا المجتمع في استيعاب الحدود جزئيا ومع العالم المشرقي في التعاون في غضون سنوات قليلة من إنشائها[4].

8-سقوط إمارة أنطاكية الصليبية :

لاشك في أن هناك عوامل عدة كانت تقرب هذه الإمارة من نهايتها، فمنذ أن تولى بوهمند الثالث(1162م-1201م) عرش الإمارة، وتقربه من البلاط البيزنطي وأصبح يحظى بحماية الإمبراطور مانويل كومنين، ولكن عقب انتهاء ذلك ودخوله في الصراع مع الأرمن حول وراثة العرش بالإمارة، وتعدد جبهات الصراع من صليبيين وأرمن كان له أثره السلبي عليها، بل والأكثر من ذلك أن استمر النزاع واتسعت دائرته لتشمل كل القوى السياسية الفاعلة في المنطقة، حتى الغرب اللاتيني. ولم تنته تلك المشكلة إلا بعد إرهاق مواردها البشرية والاقتصادية، لتجد نفسها مرة أخرى وجها لوجه مع الأحداث التي دارت بين الصليبيين أنفسهم، من تنافس حول وراثة العرش ببيت المقدس وتدخل الجاليات الإيطالية ومن سار في ركبهم، لتحقيق مآربه السياسية

---

[1] الحويري، المرجع السابق، ص.227.

[2] رانسيمان، المرجع السابق، ج.3، ص.562.

[3] أنظر، Asbridge,op.cit.,p.324.

[4] أنظر، Ibid.,pp.324-325.

والاقتصادية، إضافة إلى حالة التفكك والنزاع بين المسلمين لاسيما الأيوبيين في مصر والشام[1].

وفي ظل المتغيرات في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي(النصف الثاني من القرن السابع الهجري)، وما ستُقْدِم عليه المنطقة من أحداث، رأى الأمير بوهمند السادس وهيثوم ملك أرمينيا الصغرى بأن ذلك سيحقق نجاحا للقوى المسيحية، إذا ما تحالفت مع القوة الجديدة التي ستحُل بالمنطقة والمتمثلة في المغول، ولكن بعد انهزامهم في عين جالوت[2] انتهت سيادة المغول في الشام، واسترد المسلمون دمشق وحلب وخضع لسيادة المماليك كل من حاكمي حمص وحماة الأيوبيين، وهكذا عادت الوحدة الإسلامية لمصر والشام، أي أن الانتصار في هذه المعركة قد قلب الموازين رأسا على عقب، وأصبحت إمارة أنطاكية هدفا لسلطان المماليك الظاهر بيبرس[3].

وقبل أن يُقْدِم المماليك على مهاجمة أنطاكية، اتبع السلطان إستراتيجية لعلها تحقق له غايته المرجوة، فمنذ الوهلة الأولى عمل على إكمال توحيد الجبهة الداخلية والقضاء على المناوئين لحكمه من بني أيوب، وثانيها تأمين حدوده خارجيا وهذا لمنع وصول أي مساعدة للصليبيين ومن والاهم، حيث قام سنة 1263م/660م بعقد سلسلة من الأحلاف والاتفاقات مع الملوك والحكام المجاورين له مباشرة أو من بعيد، إذ نجده يعقد حلفا مع الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجس Michael Palaeologus (ت.1282م)البيزنطي، كما عقد مع بركة خان زعيم القبيلة الذهبية(مسلمو القفجاق) لمواجهة أي غزو مغولي جديد، إضافة إلى عقد اتفاقٍ آخر مع منفرد هوهنشتاوفن Manfred Hohenstaufen (ت.1266م) ملك صقلية ونابولي، لاعتراض أي حملة صليبية جديدة، وأخيرا مع سلاجقة الروم لمواجهة مغول فارس وأرمينيا الصغرى[4]. ويروي ابن واصل خبر إرساله من طرف الظاهر بيبرس، حيث يقول:" وتوجهتُ رسولا إلى منفريدا من جهة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة فأقمت عنده مُكَرّمًا"[5]، وهذا دفع بشارل Charl كونت أنجو Anjou عدو منفرد بأن يطلب وُد الظاهر بيبرس[6].

وهكذا حقق الظاهر بيبرس هدفه بإتباع سياسة العزلة ضد بقايا الوجود الصليبي بالشام، في وقت كانوا يعانون من اضطرابات داخلية والحروب الأهلية، والتي لا تكاد تنقطع بين الجاليات الايطالية ومن ناصرهم. وفي

[1] نهى فتحي،المرجع السابق،ص.89.
[2] ابن تغري بردي، المصدر السابق،ج.7،ص.ص.73-74.
[3] حسين عطية، إمارة أنطاكية،ص.445-446.
[4] عزمي أبو عليان، المرجع السابق، ص.28.
[5] ابن واصل، المصدر السابق،ج.4،ص. 248.
[6] حسين عطية، المرجع السابق،ص.450.

ظل الضغط المتزايد أصبحوا يتوقون إلى الصلح مع السلطان، وكان ما يركز الظاهر بيبرس جهوده عليه هو بوهمند السادس وهيثوم الأول، لأنه كان شديد الحذر منهما نتيجة وقوع ممتلكاتهم في أقصى الشام ومحاذاتها لحلفائهم من مغول فارس[1]. وحين اقتراب الفترة الحاسمة وإنهاء وجود أنطاكية،كانت هذه الأخيرة تعيش في أسوأ حالات ضعفها من جراء النزاعات الداخلية والهجمات المتكررة عليها من طرف قبائل التركمان، مما أدى إلى إنهاك قوتها العسكرية وثروتها الاقتصادية، إضافة إلى انصراف أميرها عن إدارة شؤونها واستقراره في طرابلس[2].وعندما حانت ساعة الحسم اتبع السلطان المملوكي إستراتيجية في الهجوم على أنطاكية، لتمويه بوهمند السادس وكل من يقف إلى جانبه، إذ أنه قسّم جيشه إلى ثلاث فرق، حيث اتجه الأول إلى ميناء السويدية ليقطع اتصالها بالبحر، الذي طالما لعب دورا رياديا في رسو السفن الفرنجية طيلة عقود، والثاني سد المنافذ من جهة قليقية لمنع أي مساعدة أرمينية، والثالث قاده بنفسه نحو أنطاكية[3].

وفي يوم الأربعاء 15من ماي سنة1268م /01 من رمضان666هـ عسكرت قواته أمام أنطاكية[4]، حينها خرج سيمون مانسل Simon Monsel كونستابل أنطاكية بفرقة للدفاع عن الأسوار، لكنه وقع أسيرا والذي تم إرساله كوسيط لإقناع من بها بالاستسلام، لكن دون جدوى[5]. ويقول ابن تغري بردي:"ونزل أنطاكية في غُرّة شهر رمضان، فخرج إليه جماعة من أهلها يطلبون الأمان وشرطوا شروطا، لم يُجب إليها وزحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر"[6]. واقتحم المسلمون أسوار المدينة من الجهة الجنوبية وشرعوا في قتل من بها من الرجال[7]، وحُصِر من قُتِل فيها ما يفوق الأربعين ألفا[8]، في حين لجأ ثمانية آلاف إلى قلعتها وتحصنوا بها، وبعد يومين استسلموا باستثناء الوكيل حنا انجرفيل John Anjerville الذي تمكن من الهرب[9]، بينما رتب الظاهر بيبرس جماعة من الأمراء على أبوابها، كي لا يخرج منها أحد بشيء من السّلب[10]، وبهذا أصبحت

[1] حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص.ص.450-451.

[2] نهى فتحي، المرجع السابق،ص.93.

[3] عاشور، الحركة الصليبية،ج.2،ص.1149.

[4] حسين عطية، المرجع السابق،ص.470. ويقول رانسيمان إن بيبرس ظهر أمام أسوار أنطاكية يوم14ماي وفي 18من الشهر تم دخول المدينة. أنظر، رانسيمان، المرجع السابق،ج.3،ص.ص.378-379.

[5] أنظر، Cahen, op.cit.,p.716.

[6] ابن تغري بردي، المصدر السابق،ج.7،ص.128.

[7] حسين عطية، المرجع السابق،ص.472.

[8] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج.7، ص.129.

[9] أنظر، Cahen, op.cit.,p.716.

[10] ابن تغري بردي، المصدر السابق،ج.7،ص.ص.128-129.

بما فيها غنيمة لجيش المماليك[1]، إذ أنه من كثرة ما حصلوا عليه من الأموال والذهب والفضة، والتي أصبحت تلاً بها حين تجميعها، وقُسِّمت بين الناس فلما طال الوزن "قُسِّمت النقود بالطاسات"، إضافة إلى كثرة الأسرى إذ أنه "لم يبق غلام إلا وله غلام، وتقاسم النساء والبنات والأطفال وأُبيع الصغير بأثني عشر درهما، والجارية بخمسة دراهم". ومن حسن حظ أميرها بوهمند السادس، أنه كان مُقيما في طرابلس فوصله كتاب الظاهر بيبرس وهو هناك[2]، وكان خطابه هذا مليئا بالسخرية والتهديد[3].

ولقد كان سقوط أنطاكية ليلا جديدا على انهيار ذلك البناء الضخم في بلاد الشام، الذي أقامه الصليبيون حتى أن تنظيم الداوية لم يكن بمقدوره البقاء والاحتفاظ بما تبقى من قلاع الإمارة، بل أنهم تخلوا على قلعة بغراس التي تحمي أنطاكية من جهة الشمال، وبهذا انقطعت صلة الصليبيين في طرابلس وعكا بأرمينيا الصغرى، وبذلك تبددت فكرة التحالف بين أنطاكية وأرمينيا والمغول[4]. وعليه فلم يبق من أملاك الإمارة سوى مدينة اللاذقية، وحصن القُصير الذي أنشأ صاحبه علاقة صداقة مع مسلمي الجوار، والذي سُمِح له بالبقاء هناك ولمدة سبع سنوات كتابع لسلطان المماليك[5].

وبفقدان أنطاكية لمكانتها التجارية، نتيجة تغير مركز الثقل إلى ميناء إياس في قليقية، أصبحت أنطاكية مجرد قلعة حدودية، ولم يهتم المسلمون بإعادة تعميرها، كما انتقل رؤساء الكنائس المحلية إلى مناطق أكثر حيوية. ولم يلبث أن تأسس بدمشق المقرّيْن الرئيسيين للكنيستين الأرثوذكسية واليعقوبية[6]، واقتصرت حدود بطريركية أنطاكية الكاثوليكية على جُبيل وطرابلس وأنطرسوس وبانياس واللاذقية، والتي كانت سلطتها الدينية في طرابلس على يد بارثولميو Bartholomew أسقف أنطرسوس(1272-1292م)، الذي شغل منصب البطريرك اللاتيني أوبيزو Obizou الموجود في أوربا، ولم تعد أنطاكية سوى مدينة إسلامية يقطنها المسلمون، ومن خضع لهم من المسيحيين الشرقيين بمختلف مذاهبهم[7].

---

[1] عاشور، الحركة الصليبية، ج.2، ص.1149.

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت،1997، ج.2،ص.50. للمزيد عن سقوط أنطاكية، أنظر، بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،1993،ص.ص.36-37.

[3] حسين عطية، المرجع السابق،ص.474.

[4] عاشور، المرجع السابق، ج.2، ص.ص.1149-1150.

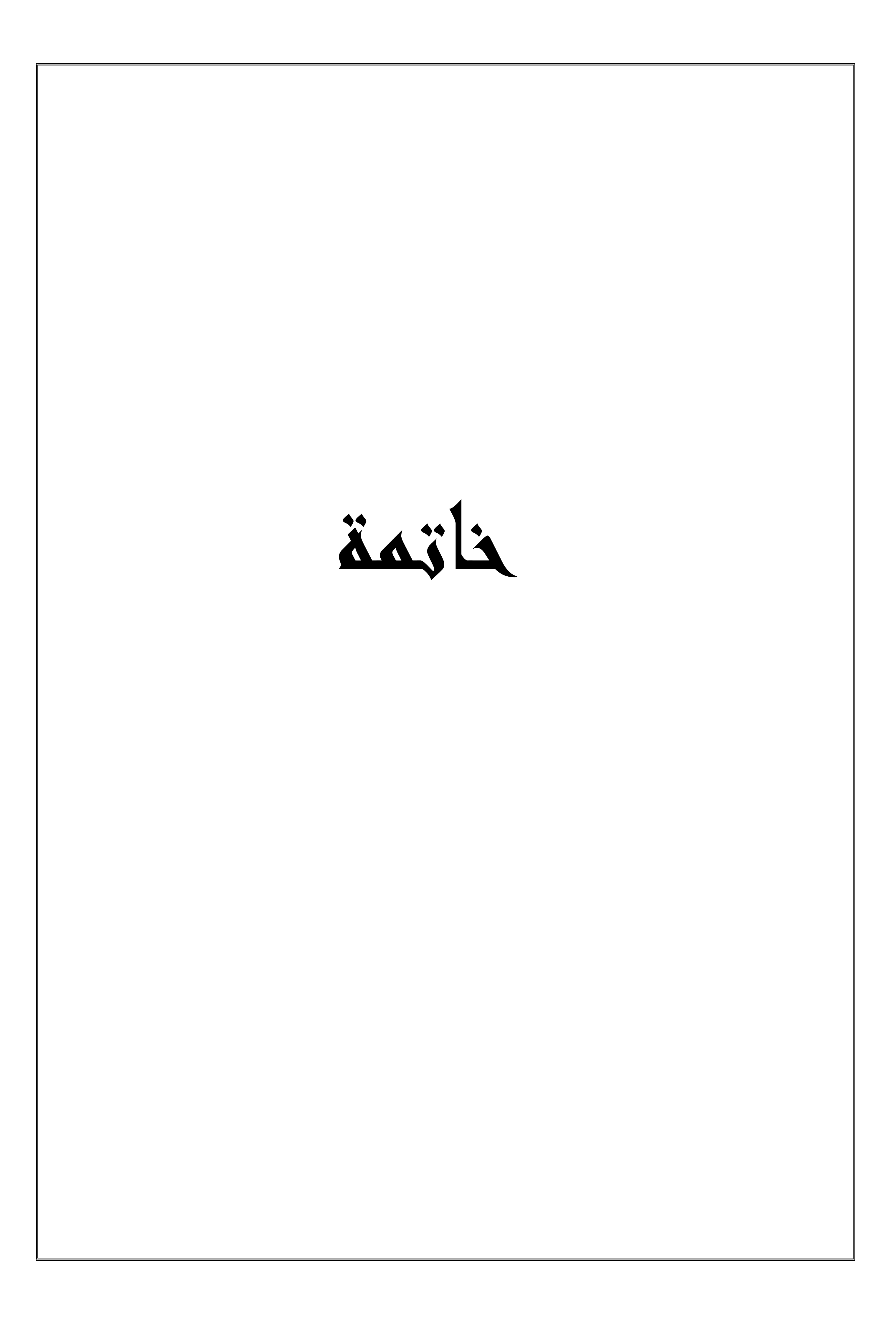
[5] رنسيمان، المرجع السابق، ج.3، ص.380.

[6] نفسه، ص.379-380.

[7] حسين عطية، المرجع السابق، ص.ص.475-476 ، حاشية(260).

وختاما لذلك فإذا كان استيلاء الصليبيين على أنطاكية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)، وتأسيس ثاني إمارة صليبية بها والتي تعتبر أهم إمارة في الشمال، فإن استردادها من طرف المماليك يعتبر نهاية الاستيطان الصليبي في بلاد الشام[1].

[1] حسين عطية ، إمارة أنطاكية، ص.475.



خاتمة

إن الحملة الصليبية الأولى ونجاحها في بلاد الشام، قد أوجدت دويلات صليبية تقاسمت أقاليمه من الشمال إلى الجنوب، مرورا بالساحل وهذا جعلها أكثر تمركزا، إذ أنها تحكمت في الممرات والطرق ولهذا أصبحت مدن الشام، أكثر تعرضا لهجمات الصليبيين منذ الوهلة الأولى.

وإستراتيجية من إمارة أنطاكية في الشمال الغربي، بدأت ترسي دعائمها منذ أن انفرد بوهمند الأول بالمدينة، لذا نرى بأن سياسة أمراء أنطاكية كانت مبنية على الهجوم المباغت والسريع، الذي يمكنها من إحراز مزيد من النتائج. وعليه فبداية إمارة أنطاكية كانت موفقة، من جراء السياسة الناجحة التي اتبعها أمراؤها، ولقد كانت الإمارة بالنسبة للصليبيين بمثابة الدرع الواقي من هجمات سلاجقة الشمال، الذين طالما خطرهم يزداد شيئا فشيئا على وجودهم بالشام، خاصة مملكة بيت المقدس التي كانت بمثابة القلب النابض للاستيطان الصليبي في الشام.

وما يمكن استنتاجه أن الحملة الصليبية الأولى وخاصة لنورمان أنطاكية، لم تكن سوى مشروعا طالما حلم به النورمان، خاصة بوهمند لتأسيس مُلك على حساب البيزنطيين، بل على حساب المسلمين حتى وإن كانت دعوة البابوية قد لقيت قبولا واستحسانا وحماسا دينيا، إلا أنها لم تكن لبعض القادة الآخرين سوى مبررا لأهدافهم، وذلك من خلال ما جرى على ساحة الأحداث من تنافس في ما بين القادة والأمراء.

إن قيام إمارة أنطاكية في الجهة الشمالية من بلاد الشام، كان ذا أهمية بالنسبة للصليبيين وخاصة لمملكة بيت المقدس، لما تميز به النورمان من طموحات في المنطقة في ظل الحماسة للصليبية، وبهذا أصبح جنوب بلاد الشام الصليبي آمنا وبمنأى عن سلاجقة الشام والعراق، حتى وإن كان رد فعل إسلامي من العراق والموصل، فسرعان ما تهب النجدات الصليبية من الشمال لبيت المقدس.

والمتتبع لتاريخ إمارة أنطاكية الصليبية، يرى بأنها وحدة سياسية مستقلة لم تخضع لسلطة المملكة ولا لبيزنطة، إلا في الظروف الاستثنائية والأوقات الحرجة، وكان لذلك أثره الإيجابي على بقائها، سواء كان ذلك تحت وصاية ملوك بيت المقدس أو تحت الحماية البيزنطية، كما كان فرسانها أكثر حماسة مما جعلها ترسي أقدامها في بلاد الشام، ومع هذا تلقت ضربات موجعة، خاصة في فترة التأسيس ولولا وقوف ملوك بيت المقدس لكان حلم بوهمند قد ذهب أدراج الرياح.

ومن خلال دراستنا لعلاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى المسيحية في المشرق والغرب اللاتيني، ما يقارب القرنين من الزمان، كانت نتيجتها إلى حد ما إيجابية:

لقد كانت علاقة هذه الإمارة بمملكة بيت المقدس وطيدة، فمنذ أن اعترف بوهمند بالسيادة الإقطاعية لبطريك بيت المقدس يعتبر ذلك اعترافا بالتبعية، وهذا سياسة منه ليبقى على اتصال بالغرب ولاسيما البابوية الداعم

الرئيسي للحركة الصليبية، رغم أنه لم يعترف لا بجودفري ولا ببولدوين سيدا أعلى له، لكن نرى بأن هذه الإمارة، قد لقيت دعما كافيا من ملوك بيت المقدس خاصة الأوائل في فترة تكوينها، كما أنها كانت درعا واقيا في الشمال لمملكة بيت المقدس.

أما في ما يخص باقي الإمارات الصليبية رغم أن العلاقة توترت بين أنطاكية من جهة والرها وطرابلس من جهة أخرى، إلا أنهما كانتا سند آخر دعّم به النورمان وجودهم في المشرق خاصة إمارة طرابلس بعد أن أصبحت بحوزة البيت النورماني.

أما بالنسبة لعلاقة أنطاكية ببيزنطة رغم توترها أثناء تأسيس هذه الإمارة، إلا أنها كانت خير مجير لها في فترة تنامي الوحدة الإسلامية. فلولا الحماية البيزنطية لكان المسلمون قد قوضوا أركانها في فترة تكوينها، كما أن الحماية قد كرست المذهب الأرثوذكسي ثمنا لذلك الدعم، وهذا طبعا أدى إلى توتر العلاقات بين البابوية والإمارة.

وفي ما يخص علاقتها بالأرمن رغم أن الإمارة كانت خير نصير للأرمن، إلا أن وراثة العرش بأنطاكية كانت نتائجه وخيمة على المجتمعين الأنطاكي والأرميني، بل على الوجود الصليبي عامة.

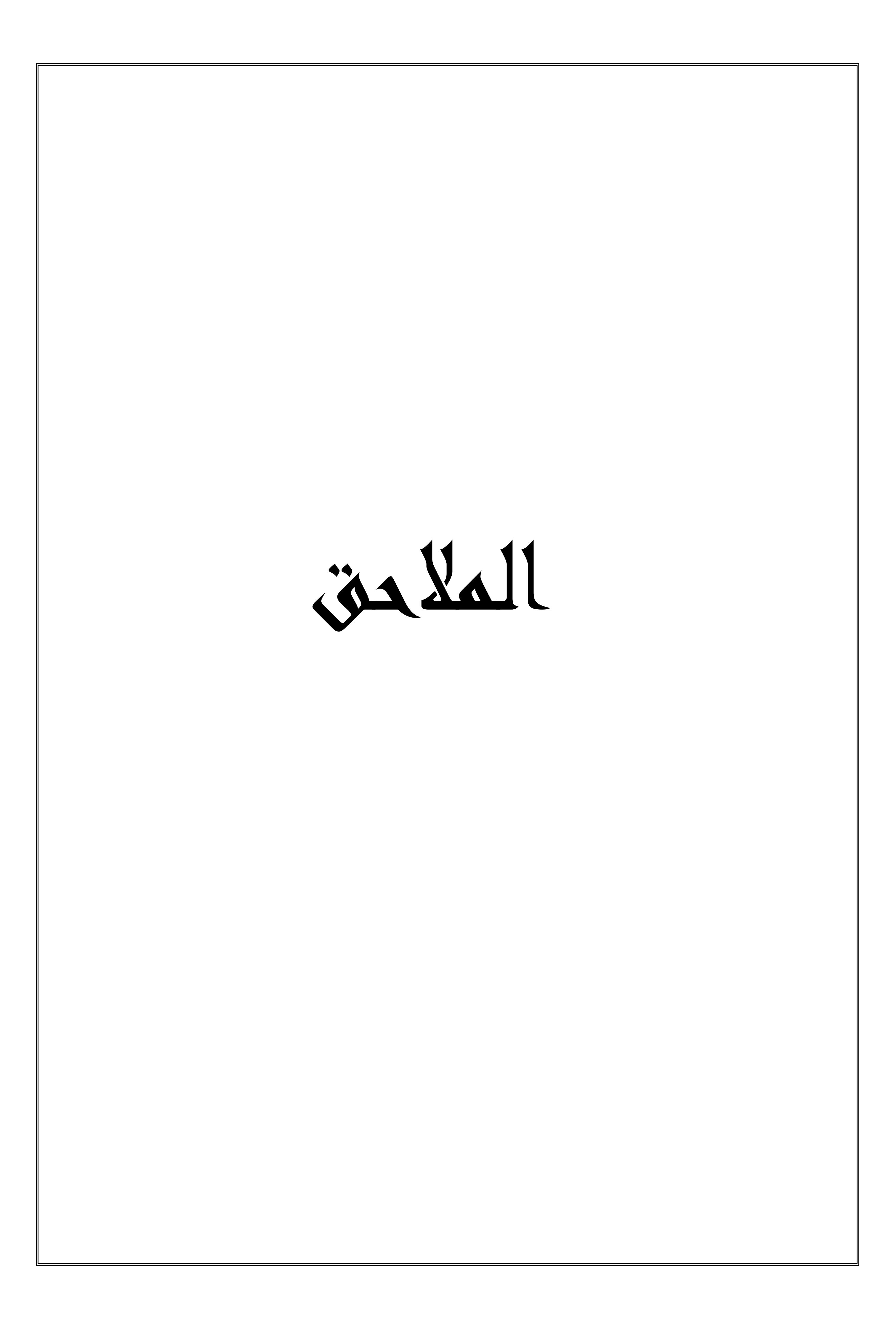
وأما علاقة الإمارة بالمدن التجارية الإيطالية فقد كان يشكل ذلك دعما أساسيا لها، كما أنها هي الأخرى وقفت إلى جانب الجاليات الايطالية وتدعيم استيطانها في المشرق، إضافة إلى أن إمارة أنطاكية قد أدخلت الهيئات الدينية في الصراع الإسلامي الصليبي بعد تناقص عدد فرسانها، وأصبحت تخشى تنامي الجبهة الإسلامية في عهد نور الدين محمود، وكان وقوف الجماعات العسكرية إلى جانب الإمارة مقابل امتيازات، وقد زاد ذلك من عمرها. وأما بالنسبة لعلاقتها بالغرب اللاتيني فقد حاول الأمراء النورمان استغلال ذلك المد الهائل من الغرب لصالحهم وتوسيع نفوذهم، إلا أنه لم يكن في المستوى المطلوب، باستثناء المدن التجارية الايطالية التي كانت الداعم الاقتصادي الرئيسي للإمارة، حتى وإن كان ذلك مرهونا بالامتيازات داخل أراضي أنطاكية، والوقوف إلى جانب الجاليات واستيطانها في الشام.

ولقد كانت إمارة أنطاكية مستعدة للتحالف مع أي قوة أخرى لتحقيق مكاسب واسترجاع هيبتها في المنطقة، وهذا ما حدث فعلا مع المغول رغم أن الصليبيين كانوا يخشون من التحالف مع القوة الجديدة، نتيجة للدمار الذي أحدثته آنذاك، بل أن المسيحيين قد فتحوا مناطق نفوذهم في الشام لعبور جيش المماليك لملاقاة الجيش المغولي، وكان ذلك فرصة للمسلمين بأن ردعوا والحقوا بالمغول شر هزيمة.

وأما في ما يخص العلاقات بين أنطاكية والمسلمين، فبدايتها كانت متوترة غلب عليها الطابع العسكري، ونتيجة للصراع الإسلامي في الشام استغل النورمان ذلك الظرف، وحاولوا التقرب أكثر من المسلمين خاصة في عقد الأحلاف العسكرية لتحقيق أهدافهم الخاصة ولو على حساب إخوانهم، وبمرور الوقت حاولت هذه

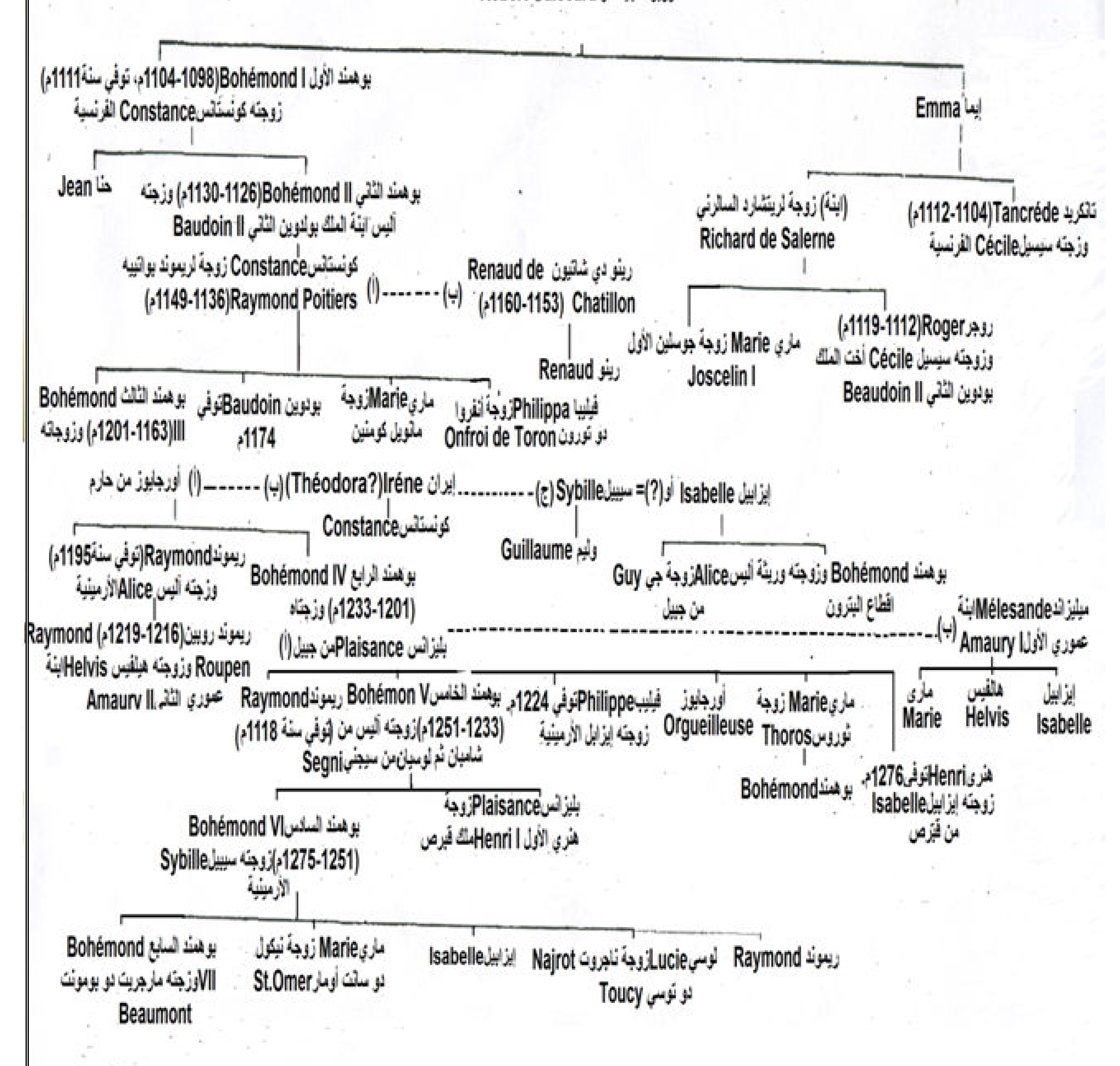
الإمارة الاندماج في المحيط الإسلامي خاصة مع جيرانها في حلب وشيزر، وأصبحت ضمن القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية في المشرق.

وعليه فنجاح الحملة الصليبية الأولى في بلاد الشام، يعتبر بحق تجربة استيطانية للغرب اللاتيني في الشام، وكيف استطاعت هذه الفئات، أن توطن نفسها بفضل سياساتها الناجحة، والتعاون في ما بين الدويلات الصليبية، مستغلين ضعف وانقسام البيت الإسلامي لتحقيق أهدافهم في المنطقة. ورغم ظهور الوحدة الإسلامية، وتقويضها لأركان البنيان اللاتيني الضخم، إلا أن التجربة اللاتينية في الشام قد فتحت أفاقا لأوربا ارتكزت عليها في مراحل لاحقة.



الملاحق

الملحق(01): شجرة نسب أمراء أنطاكية الصليبية



عن المرجع : Cahen Claude,op.cit.,p.546.

الملحق(02): خطاب البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت27نوفمبر1095م

بعد أن تجمع الحاضرون في كليرمونت قام البابا أوربان الثاني وألقى خطابه، الذي ابتدأه بتحسيس المسيحيين بضرورة الوحدة والإسراع بالتوبة، كما أنه أظهر نفسه نائبا لله في الأرض طالبا منهم ترك خلافاتهم، وأن يجددوا مصالحتهم المعروفة باسم" مصالحة الله" التي أقرها الآباء من قبل، وأن يراعوا شؤون الكنيسة ويحافظوا على شرائعها.

ويروي فوشيه الشارتري وقائع تلك الأحدث، فبعد أن أتم البابا الشطر الأول من خطابه أضاف قائلا:" بما أنكم يا أبناء الله قد وعدتموه بأن تحفظوا السلام بينكم، وأن تُخلصوا أكثر مما مضى في المحافظة على حقوق الكنيسة، فإن عليكم أن تؤدوا مهمة ملحة لكم ولله، تستطيعون أن تظهروا فيها مدى صدق نواياكم. وعليكم أن تسارعوا لمد يد العون لإخوانكم في المشرق الذين يحتاجون المساعدة وطالما التمسوها. إن الأتراك قد هاجموهم كما يعلم الكثيرون منكم، وتقدموا داخل الأراضي الرومانية إلى أن وصلوا إلى ذلك الجزء من البحر الأبيض المتوسط، الذي يدعى ذراع القديس جورج(بحر مرمرة)، ولقد انتزعوا شيئا فشيئا من أراضي المسيحيين وهزموهم في سبع معارك حتى الآن وقتلوا وأسروا الكثيرين، وهدموا الكنائس ودمروا مملكة الله. وإن سمحتم لهم بالتقدم فإن احتلالهم وقهرهم لشعب الله المؤمن يكون أشمل وأعم.

لذا وبصلاة خاشعة فإنني لا بل أن الله وليس أنا يحثكم يا جنود المسيح على أن تحثوا الرجال مهما كانت مراتبهم، بأن يسارعوا لسحق هذا الجنس الخسيس من أراضينا، ويمدوا يد العون للسكان المسيحيين قبل فوات الأوان. إنني أخاطب الحاضرين وأعلن للغائبين وعلاوة على ذلك فإن يسوع المسيح يأمر بمايلي: كل من يذهب إلى هناك سوف تُغفر له كل خطاياه، إذا ما واجه حتفه زاحفا في البر أو عابرا البحر أو مقاتلا الكفار، إنني أمنح ذلك لكل من يذهب مستمدا القوة من السلطة التي وضعها الله فيّ. يا خزينا ويا عارنا إذا ما انتصر جنس يتسم بهذه الحقارة والانحطاط، وتستعبده الشياطين والعفاريت على شعب أنعم الله القدير عليه بالإيمان وتباهى باسم المسيح. آه كم من المعايير سترمون بها حتى من الرب نفسه، إذا لم تقوموا بعون من يعتبرون مثل أنفسكم في الدين المسيحي.

دع أولئك الذين اعتادوا على شن حروبهم الخاصة بطيش على المؤمنين، أن يزحفوا على الكفار بحرب تبدأ الآن ولا تنتهي إلا بالنصر. وليصبح أولئك الذين طال كونهم لصوصا جنودا للمسيح، دع أولئك الذين حاربوا في الماضي ضد إخوانهم وأقاربهم يحاربون بحق ضد البرابرة، دع أولئك الذين كانوا يُستأجرون لقاء عدة قطع من الفضة يحصلون الآن على ثواب مخلد، دع أولئك الذين كانوا ينهكون أنفسهم متلفين أجسادهم وأرواحهم يعملون الآن للمجد المثني، أجل فعلى هذه الناحية سيقف التعساء والفقراء، وعلى تلك السعداء والأثرياء، هنا أعداء الله وهناك أصدقاؤه.

عن المصدر: فوشيه الشارتري، المصدر السابق،ص.ص.32-37.

الملحق(03): قائمة بأسماء بطاركة أنطاكية

بطاركة لاتين (كاثوليك)		بطاركة يونانيين (أرثوذكس)		بطاركة يعاقبة	
1- برنار أف فالنس	(1135-1100م)	- حنا الرابع	(1100-1091/1088م)	-أثناسيوس السابع	-(1129-1090م)
2- رالف أف دمفرنت	(1140-1135م)	- حنا الخامس	(1134 -1106 م)	-حنا الثاني عشر	-(1137-1130م)
3- إيمري أوف ليموج	(1193-1140م)	- لوقا	(1156-1138/1137م)	-أثناسيوس الثامن	-(1166-1138م)
4- رالف الثاني	(1196-1193م)	- سوتريكوس بانتيوجينوس بطريرك منتخب	(1157-1156م)	- ميخائيل الأول السرياني(المؤرخ)	-(1199-1166م)
5- بطرس أف أنجوليم	(1208-1196م)	أثناسيوس الثالث	(1170-1157م)	-أثناسيوس التاسع	-(1199م-1207م)
6- بطرس الثاني أف إفريا	(1217-1209م)	سيريل الثاني	(1179-1173م)	حنا الرابع عشر	-(1220-1208م)
7- بطرس أف كابوا (بطريرك منتخب)	(1219-1217م)	تيودور الرابع بالزامون	(1195-1189م)	أجناتيوس الثاني	-(1252-1222م)
8- رينييه	(1225-1219م)	سمعان الثاني	(1239-1206م)	ديونيسيوس السابع	-(1261-1252م)
9- ألبرت أف ريزاتو	(1246-1227م)	داود	(1258-1245م)	حنا الخامس عشر	-(1263-1252م)
10- أوبيزو دي فيتشي	(1292-1247م)	يوثيميوس الأول	(1274-1258م)	أجناتيوس الثالث	- (1282-1264م)
11- ---------------	---------------	ثيوديسيوس 5 أف فيلهاردوين	(1284/1283-1278م)	أجناتيوس الرابع فيلوكسينوس	- (1292-1283م)
12- ---------------	---------------	أرسنيوس	(1286-1284/1283م)	---------------	---------------
13---------------	---------------	سيريل الثالث	(1308-1287م)	---------------	---------------

عن المرجع: حسين محمد عطية، المرجع السابق،ص،ص.527-528.

الملحق(04): قائمة بأسماء أمراء انطاكية الصليبية والأوصياء عليها من ملوك بيت المقدس

اسم الامير أو الوصي	فترة حكمه
1- بوهمند الأول	1098م-1100م
2- تانكريد(وصي)	1100م-1103م
3- بوهمند الأول(بعد إطلاق سراحه)	1103م-1104م
4- تانكريد (الوصاية الثانية)	1104م-1112م
5- روجر السالرني (وصي)	1112م-1119م
6- الملك بولدوين الثاني(وصي)	1119م-1126م
7- بوهمند الثاني	1126م-1130م
8- الملك بولدوين الثاني(الوصاية الثانية)	1130م-1131م
9-الملك فولك الانجوي(وصي)	1131م-1143م
10- ريموند بواتييه	1136م-1149م
11- الملك بولدوين الثالث(وصي)	1149م-1153م
12- رينودي شاتيلون	1153م-1160م
13- الملك بولدوين الثالث(الوصاية الثانية)	1160م-1162م
14- الملك أماالريك الأول(وصي)	1162م-1163م
15- بوهمند الثالث	1163م-1201م
16- بوهمند الرابع (أنطاكية+طرابلس)	1201م-1216م
17- ريموند روبين	1216م-1219م
18- بوهمند الرابع (أنطاكية+طرابلس)	1219م-1233م
19- بوهمند الخامس (أنطاكية+طرابلس)	1233م-1251م
20- بوهمند السادس (أنطاكية+طرابلس)	1252م-1268م

عن المرجع : حسين عطية، المرجع السابق،ص.526.

الملحق(05): ضباط إمارة أنطاكية الصليبية

I- القهرمان(Seneschal)

1- إيشيفارد دو سرمين **Eschivard de Sarmenia**(1149م-1169م).
2- جيرفيز دو سرمين **Gervais de Sarmenia**(1181م-1199م).
3- أشاري دو سرمين **Acharie de Sarmenia**(1216م-1251م).
4- بيتر دو هازارت **Peter de Hazart**(1262م).

II- الكونستابل (Constable)

1- روبرت **Robert**(1098م).
2- ريتشارد **Richard**(1101م-1114م).
3- آدم **Adam**(1101م-1114م).
4- رينولد مانزوار **Rainauld Mansoer**(1126م-1134م).
5- والتر دو سوردوفال **Walter de Surdeval**(1134م-1135م).
6- روجر دي مونتز **Roger des Monts**(1140م-1149م).
7- أرشمبولد **Archembauld**(1153م).
8- جيوفري جوردان **Geoffrey Jourdain**(1154م).
9- جيسكارد دو ايل **Guiscard de L'Ile**(11701172م).
10- بولدوين **Baldwin**(1174م).
11- رينالد **Rainald** (1179م).
12- رالف دي مونتز **Ralph des Monts**(1186م-1194م).
13- روجر دي مونتز**Roger des Monts**(1194م-1216م).
14- روبرت مونسال**Robert Mancel**(1207م-1219م).
15- سيمون مونسال**Simon Mancel**(1262م).

III- المارشال(Marshal)

1- ريموند**Raymond**(1140م).

2- جارين مالموزGuarin Malmuz(1140م-1160م).

3- وليم تيرال William Tirel(1149م-1169م).

4- وليم دو كافا William de Cava(1175م-1186م).

5- بارثولوميو تيرالBartholomew Tirel(1186م-1191م).

6- هيج فلونكورتHugh Flauncurt(1193م(1200م؟).

7- توماسThomas(1200م-1231م).

8- باسيلBasil(1210م) هناك إشارة تبين بأنه كان مارشال، بعد روبرت مونسال وروجر دي مونتز، في منحة ليون الثاني الأرميني سنة1210م، وربما كان مارشالا في أرمينيا ورتبة مارشال فخرية في أنطاكية.

9- بارثولوميو تيرالBartholomew Tirel(1262م).

IV- كبير الخدم(Butler)

1- مارتن دو مارجات(المرقب) Martin de Margat(1140م-1444م).

2- بيتر سالفاريسي Peter Salvarici(1149م).

3- وليم دو موسي William de Moci(1169م).

4- باجانوسPaganus(1210م).

5- جوليان الأصفر Julien le Jaune(1216م).

V- الياور(Chamberlain)

1- تريجود Trigaud(1138م).

2- باسيلBasil(1140م).

3- بيتر Peter(11511172م).

4- وليم William(1163م).

5- ريموند دو جيبلات(جبيل)Raymond de Gibelet (1174م).

6- أوليفرOliver(1179م-1190م).

7- سيمون بيرجفينSimon Burgevin(1195م).

8- سيمونSimon(1215م-1216م).

VI- المستشار (Chancellor)

1- ولتر Walter (1114م-1122م).

2- رالف Ralph (1127م).

3- فرانكو Franco (1133م-1135م).

4- أودز Eudes (1140م-1143م).

5- جون John (1149م).

6- ولتر Walter (1154م).

7- جيوفري Geoffrey (1154م-1155م).

8- بوشارد Bouchard (1155م).

9- برنارد Bernard (1163م-1170م).

10- وليم William (1172م).

11- جون John (1177م-1183م).

12- ألبرت أسقف طرسوس Albert Archbishopof Tarsus (1186م-1200م).

13- أليكسندر Alxander (1193م-1200م).

14- جون أف كوربونيو John of Corbonio (1203م-1205م).

15- جوردان Jourdain (1215م-1216م).

16- جون أنت John ante (1225م)، ربما يكون جون كوربونيو.

17- جيوفري Geoffrey (1241م).

18- وليم William (1262م).

عن المرجع: LAMonte(J),op.cit.,pp.257-259.

الملحق(06): نسب عائلتي سوردفالSourdeval ودي لوجDes Loges

أ) عائلة سوردوفال

روبرت سوردفال

Robert Sourdeval

جوتيي Gautier I, وزوجته سيبيلSybille(1134م-1154م).

روجرRoger(1167م-1183م).

روبرت الثانيRobert II(1134م)

(1125م-1163م)

جوتيي Gautier II(1179م-1215م)، توفي قبل 1220م.

سيبيلSybilleزوجة أيمار Aymarدو لايرون أرملة سنة 1235م،كانت معروفة منذ 1220م-1236م، توفيت قبل 1262م.

ب) عائلة دي لوج

روبرت Robertوزوجته هوديرنHodierne(1140م)

روجرRoger(1151م)

هنريHenri(1170م)

وليمGuillaume(113م-1170م)

فيليبPhilippe(1179م-1185م)

هيجHuge(1175م- 1190م)

بطرسPierre(1183م-1191م)

عن المرجع: **Cahen, op.cit.,p.544.**

الملحق(07): نسب عائلة فريزنال Fraisnel في إقطاع حارم

جي Gui(1110م-1119م).

وليم William(1140م).

تانكريدTancréd(1153م-1160م).

أورجايوزOrgueilleuseزوجة بوهمند الثالث قبل 1168م.

روبرت فريزنال Robert Fraisnel(من فرسان المعبد 1183م).

عن المرجع: Cahen, op.cit.,p.545.

الملحق(08): نسب عائلتي مازوارMasoir ومونسالMansel

(1) مازوار (اقطاع المرقب)

س X

س X

شارلز Charles

رونو Renaud معروف منذ سنة 1109م إلى 1135م.

س X زوجة وليم من ثوروت Thorot

رونو الثاني Renaud وزجته أجنس Agnés الطرابلسية معروف منذ 1151م إلى 1185م، توفي 1186م.

عموري Amaury دو ثوروت Thorot

روبرت Robert

عموري Amaury (1165-1183م)

برتراند Bertrand معروف منذ 1174م باع اقطاع المرقب في (1186م).زوجته بارموند Bermonde توفي بعد 1217م.

توماس Thomas (1160م)

ألفرد Alfred (1210-1219م)

أجنس Agnés زوجة عموري Amaury بارلي Barlais

(بياتريس) (Béatrice?

رونو Renaud توفي قبل 1217م

س X زوجة رينوارد Renoard III أو ريموند من اقطاع مرقية

(2) نسب عائلة مونسال Mansel

س X. مونسال 1135م.

وليم William مونسال وابنه 1135م

روبرت Robert مونسال 1163م، 1167م.

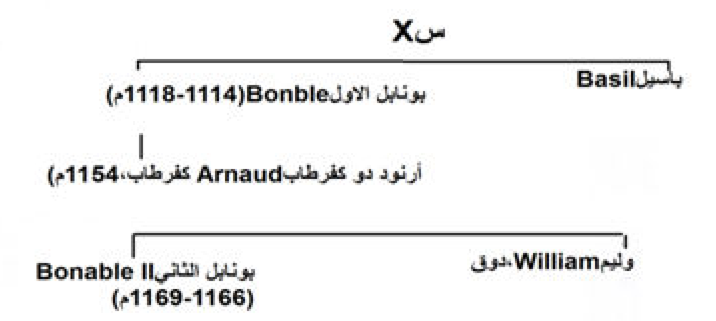
ثوماس Thomas من جبيل وابنه، 1175-1187م.

روبرت مونسال الكونيتابل Connétable، 1207-1219م.

سيمون Simon مونسال الكونيتابل وابنه 1255م؟ 1262-1268م.

عن المرجع: Cahen,op.cit., pp .543-544.

الملحق(09): نسب عائلة بوفردBaufredفي اقطاع كفرطاب



عن المرجع: .Cahen,op.cit.,p.545

الملحق(10): نسب عائلات اقطاع صهيون وسرمين وعزاز

(1) صهيون وزردنا

روبرت الأبرص Robert le Lépreux

وليم William 1131م

جارينتون Garenton (1131-1155م) توفي قبل سنة 1175م

جوسلين Joscelin

جارينتون Garenton 1170م

روجر Roger وزوجته أفيسيا Avicia (1170-1194م)

باسكال Pascal (كاتب) (1193-1209م).

ماثيو Mathieu (1183م) توفي قبل 1193م

(2) عائلة اقطاع سرمين

إيشفارد Eschivard، قهرمان (1149-1175م)

جيرفي Gervais، قهرمان (1175-1189م)

زكريا Zacharie توفي مابين 1172 و 1175م

إيشفارد (1209-1216م)

زكريا، قهرمان، قبل (1216-1219م)

(3) عائلة اقطاع عزاز

- بطرس Pierre 1167,1168م
- تانكريد Tancréd، 1170م
- بطرس (= الأول؟)، 1178-1194م
- وليم (1215-1219م)
- بطرس، 1262م.] طرابلس
- حنا Jean، 1262-1282م] طرابلس

عن المرجع : Cahen,op.cit.,pp.544-545.

الملحق(11): خطاب بوهمند السادس أمير أنطاكية طرابلس إلى هنري الثالث ملك انجلترا في14ماي سنة1255م

إلى السيد المعظم هنري بفضل الله ملك انجلترا المبجل، يُرسل بوهمند بفضل الله أمير أنطاكية وكونت طرابلس، التحيات والتبجيل إلى سيده (الملك). لقد انتقل إلى شخص جلالتكم وبقوة مضاعفة، ذلك الإخلاص الديني الذي توفر لدى أسرتك المبجلة منذ قديم الزمن، في الحماسة من أجل اسم المسيح الذي بشرت به النبوءة العظمى سيدا لملوك الأرض، والذي رفع أعماله العظيمة عاليا من أجل المستقبل، وحتى يكون من خلالك أنت يا ساعد ملك الملوك الثناء والمجد لاسم الرب والذل لأعداء المسيح بُجّلت للأبد. وأن أشجع رفاق المسيح الملك النبيل ريتشارد عمل خالد الذكر، الذي يدوي اسمه في كل أرجاء العالم، قد برهن على الحماسة الصادقة التي توفرت لديه بأعماله غير العادية، وبينما عرّض كل قواته وقوات رجاله ونفسه للموت، كي يُخلص أرض ميراث الرب المستضعفة من (أيدي المسلمين)، فقد حرر بنفسه وبسيفه الظافر مقاطعات ماوراء البحر والأرض المقدسة التي احتلها أعداء الصليب، ولكن أتباع السيد السابق ذكره(ريتشارد) يتلهفون عليك بمزيد من الإيمان، وفي قلق بالغ كملك أكثر مسيحية، وخلفا له ليس فقط بحق الميراث ولكن أيضا بالفضيلة، حيث أن كل الكرامة التي حققها أسلافك بعفة تظهر أكثر كمالا في شخصك وبخدماتك السماوية.

ففي الحقيقة فإن أرض أنطاكية تنتظر بلهفة كل المساعدة من سموك، لأن إقليمها أكثر من أقاليم الشرق الأخرى قد نكّل به أعداء المسيح. فبينما وقعت حالات الاضطهاد بكل مقاطعات الشرق، فقد أصابت أنطاكية البائسة بصفة خاصة، لأن التركمان قد دأبوا على غزوها لفترة طويلة الآن، ووقع اختيار أعداء الرب والبشرية على أنطاكية ميراثي التعس كمجال للسلب، وضايقوها بلا شفقة وبقتلهم للسكان وبأسرهم للفلاحين وبتدميرهم لكل الحقول، وبتخريبهم للكروم والحقول والمزارع والقرى والبلدان والبضائع حتى أسوار المدينة. فقد حولوا هذه المدينة السامية مرآه الشرق إلى آثر(بعد عين) باجتياحهم كل مكان بوحشية، وبارتكاب أعمال القتل والحرق والسرقة وأعادوها إلى أدنى حدود لها. لذلك فإن هؤلاء التركمان السابق ذكرهم، قد قوضوا ميراثي وباحتلالهم الطرق المؤدية إلى المدينة فلا شيء يمكن القيام به مع وجودهم فيها. فليس في استطاعة السكان الخروج من المدينة، ولقد هجر المدينة الفرسان والبرجوازية الذين على قيد الحياة، أو بقوا لحراسة أحجار فقط. أواه ياربي هكذا مشيئتك أن يهجر الأمراء المسيحيون المدينة التي اتخذ فيها لقب"مسيحي" لأول مرة، ومع اضطهاد(المسلمين) المتزايد للأماكن الدينية، فإن نسلك أمراء العالم والمؤمنين غالبا ماكان في حاجة إلى العون. لذلك فإن أنطاكية التعسة، التي كانت عاصمة الشرق قد مضت إلى الظلام وتُركت في احتقار...وأبعث إلى جلالتكم الرجل النبيل كونراد دي دوسي وهو فارس تابع لي، وجارنيير كاهني الخاص، حاملي هذه الرسائل اللذين ربما يحظيان بفضل وحسن استماع سموكم لهما.

سلم في طرابلس في 14 ماي سنة 1255م.

عن المرجع: حسين محمد عطية، المرجع السابق، ص.ص.518-520.

الملحق(12)

المنح والامتيازات التي قدمها أمراء أنطاكية إلى المدن التجارية الإيطالية

1- البندقية

- بوهمند الأول: وثيقة مفقودة تم تحريرها في 1098-1099م.
- تانكريد الوصي على أنطاكية: وثيقة مفقودة تم تحريرها 1103-1112م.
- بوهمند الثاني: وثيقة مفقودة تم تحريرها 1126-1127م.
- ريموند بواتييه: وثيقة تم تحريرها في ماي 1140م تنص على: بموجبها يمنح هذا الأمير للبنادقة حرية التجارة وتخفبفا في التعريفو الجمركية وحماية سفنهم الغارقة، زحق التقاضي في محكمة الأمير بقانونهم الخاص.
- رينو دي شاتيلون: وثيقة تم تحريرها في ماي 1153م تنص على: يؤكد أمير أنطاكية وزوجته كونستانس للبنادقة كل المنح التي قدمها كل من بوهمند الأول وتانكريد الوصي على أنطاكية وبوهمند الثاني وريموند بواتييه. ويمنح الأمير والأميرة أهل البندقية تخفيضا إضافيا في التعريفة الجمركية، ومحكمة خاصة بهم في أنطاكية تخضع لأشراف قضاتهم.
- بوهمند الثالث وثيقة تم تحريرها في 1167م، تنص على: يرفع بوهمند الثالث أمير أنطاكية عن التجار البنادقة نصف قيمة الضرائب المقررة عليهم في مدينة أنطاكية، ويؤكد لهم المنحة التي بموجبها تم إنشاء محكمة خاصة بهم في المدينة نفسها.
- بوهمند الثالث: وثيقة تم تحريرها سنة 1169م تنص على: يمنح بوهمند الثالث أمير أنطاكية للبنادقة حق المثول أمام محكمتهم الخاصة في أنطاكية في القضايا التي يكون طرفاها من البنادقة، ويعدهم بسرعة الفصل في قضاياهم التي تكون في محكمته الخاصة.
- بوهمند الثالث: وثيقة تم تحريرها في سنة1183م تنص على:يؤكد بوهمند الثالث للبنادقة حقهم في كل المنح والامتيازات التي حصلوا عليها فيما سبق داخل نطاق إمارة أنطاكية.

2- جنوة:

- بوهمند الأول: وثيقة تم تحريرها في 14جويلية 1098م تنص على: يمنح بوهمند الأول أمير أنطاكية، كنيسة القديس يوحنا وثلاثين منزلا في مدين أنطاكية وإعفاءً من كل المكوس والرسوموالعوائد المقررة على من هم سواهم أو التي سوف تقرر في مدينة أنطاكية أو مجاروتها.
- تانكريد: وثيقة تم تحريرها سنة1101م تنص على: يمنح تانكريد الوصي على أنطاكية لكنيسة

القديس لورانس Lawrence بجنوة ثلث دخل ميناء السويدية، ونصف دخل ميناء اللاذقية وشارع وكنيسة باللاذقية وأراضي في جبلة، وذلك عندما يتم الاستيلاء على المدن.

- بوهمند الثاني: وثيقة تم تحريرها في ديسمبر1126م تنص على: يؤكد بوهمند الثاني أمير أنطاكية المنحة التي قدمها والده من قبل.
- ريموند بواتييه: وثيقة تم تحريرها في 1144م تنص على: يؤكد ريموند بواتييه أمير أنطاكية وزوجته الأميرة كونستانس للجنوية المنح التي قدمها كل من بوهمند الأول وتانكريد وبوهمند الثاني.
- بوهمند الثالث: وثيقة تم تحريرها في 1169م، تنص على:يؤكد بوهمند الثالث أمير أنطاكية للجنوية كل الامتيازات التي يتمتعون بها في أنطاكية في الوقت الحالي، ويعدهم بسرعة البت في قضاياهم التي ينظر فيها في محاكمه الخاصة.
- بوهمند الثالث: وثيقة تم تحريرها في أفريل1189م، تنص على:يمنح بوهمند الثالث أمير أنطاكية للجنوية محاكم خاصة بهم في كل من أنطاكية واللاذقية وجبيل.
- بوهمند الثالث: وثيقة تم تحريرها فيسبتمبر1190م، تنص على: يمنح بوهمند الثالث أمير أنطاكية الجنوية حرية التجارة دون أي ضرائب.
- بوهمند الثالث: وثيقة تم تحريرها في أفريل1199م، تنص على: يؤكد بوهمند الثالث أمير أنطاكية للجنوية حقهم في إنشاء محاكمهم الخاصة في مدينة أنطاكية وميناء اللاذقية.
- بوهمند الرابع: وثيقة تم تحريرها في جويلية 1205م، تنص على: يمنح بوهمند الرابع أمير أنطاكية وكونت طرابلس للسيد هنري المالطيوالجنوية حق البيع ومحكمة في مدينة طرابلس مقابل ثلاثة آلاف بيزنط، وإمدادهم بسفينتين حربيتين وثلاثمائة مقاتل.
- ريموند روبين: وثيقة تم تحريرها في فيفري1216م، تنص على: يمنح ريموند روبين أمير أنطاكية الجنوية الحرية والأمن في مدينة أنطاكية.

3- بيزا

- تانكريد: وثيقة تم تحريرها في 1108م، تنص على: يمنح تانكريد أمير أنطاكية للبيزاوية حيا من أحياء مدينة أنطاكية وآخر في اللاذقية.
- ريموند بواتييه: وثيقة تم تحريرها في 1154م، تنص على: يمنح ريموند بواتييه وزوجته الأميرة كونستانس للبيزاوية قطعا من الأراضي في مدينة أنطاكية وميناء اللاذقية.
- بوهمند الثالث: وثيقة تم تحريرها في جانفي1194م، تنص على:يؤكد بوهمند الثالث أمير أنطاكية للبيزاوية كل الإمتيازات التي يتمتعون بها في مدينة أنطاكية ومجاوراتها.
- كما أن هناك وثيقة أخرى تم تحريرها في جانفي 1194م، تنص على: يمنح بوهمند الثالث أمير

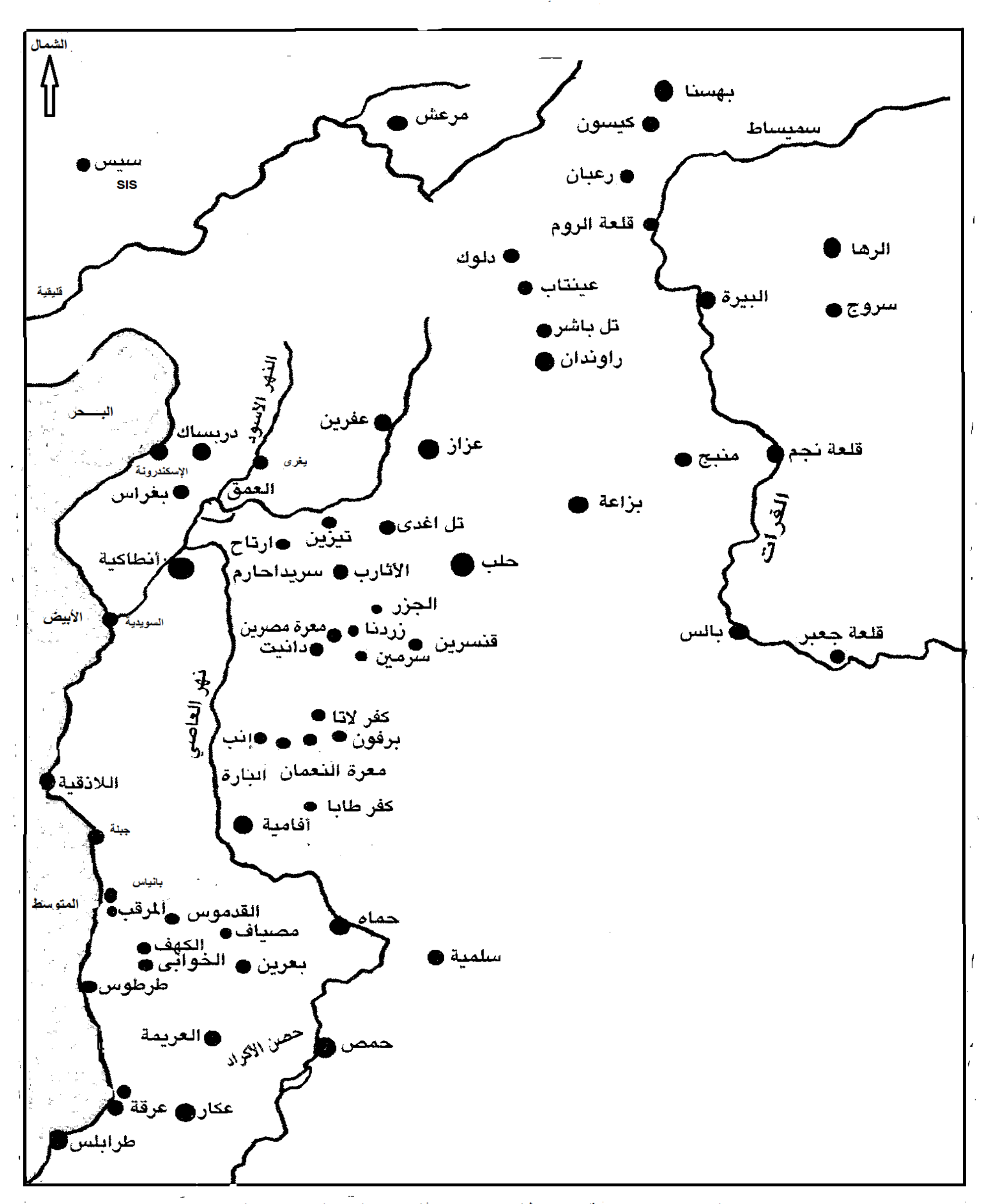
أنطاكية للقومون البيزاوي في عكا ثلث عائد ميناء طرابلس وإعفاء من الضرائب مقابل خمسمائة بيزنط.

- بوهمند الرابع: وثيقة تم تحريرها في 26أوت1199م، تنص على: يعقد بوهمند الرابع كونت طرابلس اتفاق السلام مع البيزاوية مقابل تسعة آلاف بيزنط، مع التعهد بعدم اعتقال البيزاوية الموجودين في طرابلس السؤولين عم الأضرار التي الحقها بنو وطنهم بالمدينة.
- بوهمند الرابع: وثيقة تم تحريرها في 1200م، تنص على:يؤكد بوهمند الرابع أمير أنطاكية وكونت طرابلس للبيزاوية كل الامتيازات التي منحتهم اياها الاميرة كونستانس، ويمنحهم أيضا اعفاء من نصف قيمة الرسوم الجمركية المقررة على السلع في مدينة أنطاكية.
- ريموند روبين: وثيقة تم تحريرها في أفريل 1216م، تنص على: يؤكد ريموند روبين أمير أنطاكية للبيزاوية كل المنح التي قدمها إليهم كل من بوهمند الثالث وكونستانس.
- بوهمند الخامس: وثيقة تم تحريرها في مارس1233م، تنص على: يؤكد بوهمند الخامس أمير أنطاكية وكونت طرابلس للبيزاوية المنح التي قدمها لهم من قبل كل من ريموند الثالث كونت طرابلس وبوهمند الرابع.

عن المرجع: حسين محمد عطية، المرجع السابق،ص.ص.521-525.

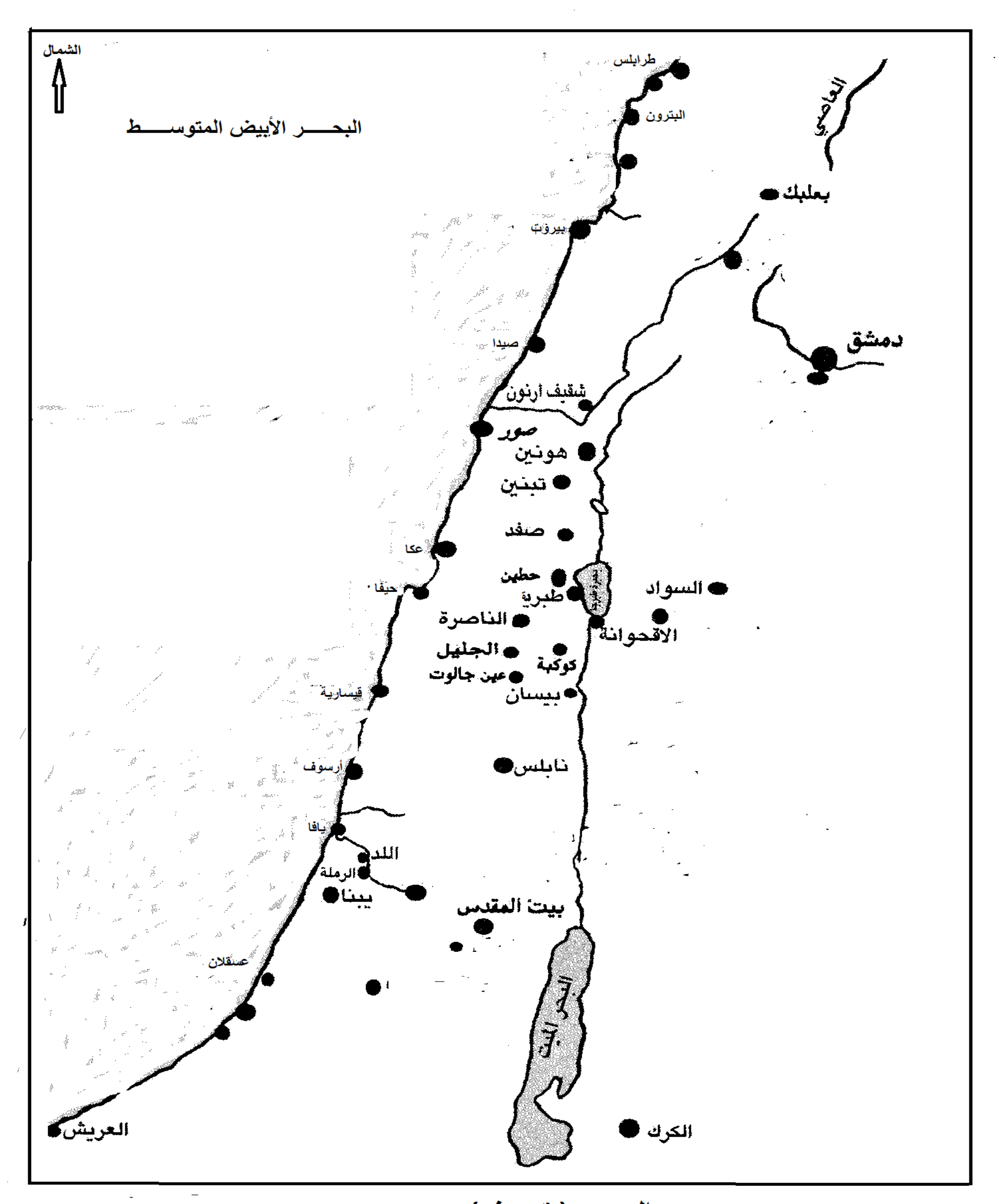
الخرائط

الخريطة(01): شمال بلاد الشام



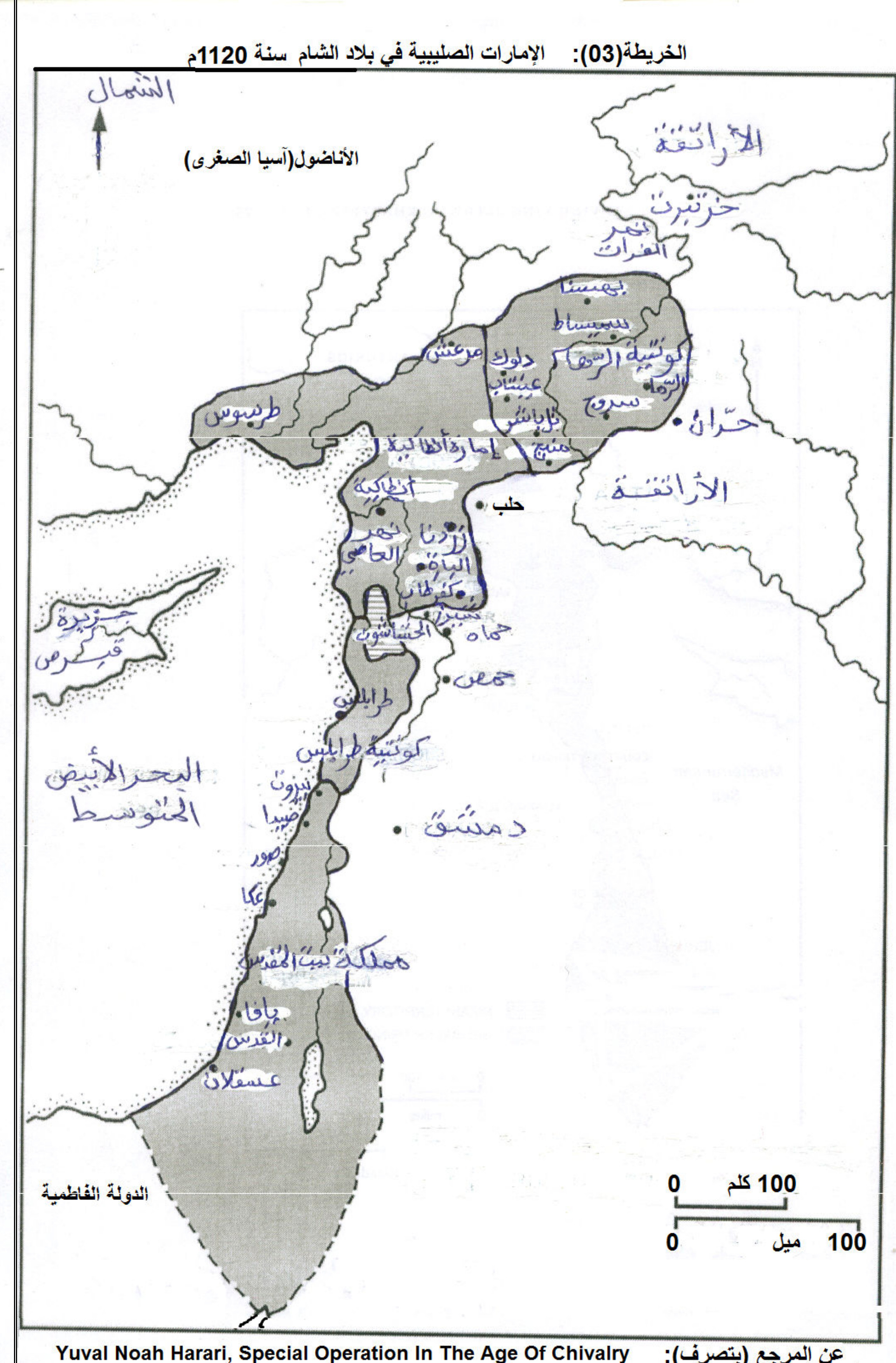
عن المرجع(بتصرف): طقوش محمد سهيل، المرجع السابق،ص.262.

الخريطة(02): جنوب بلاد الشام



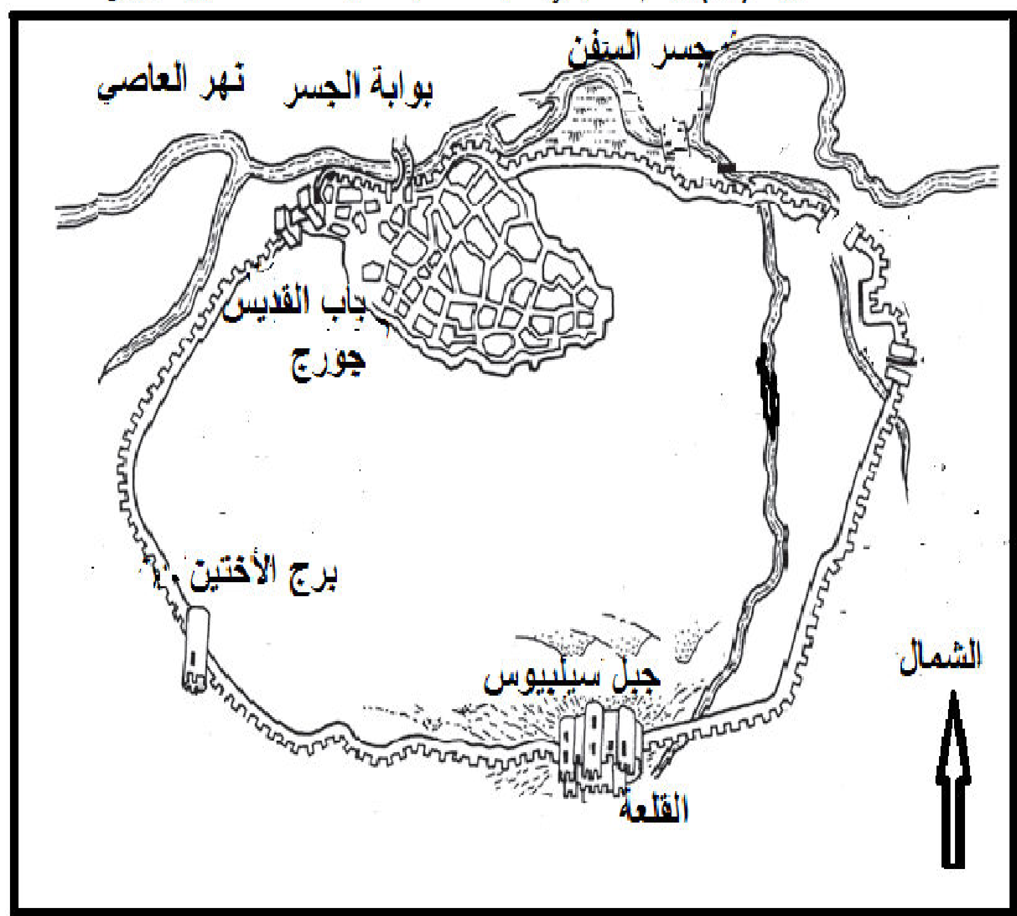
عن المرجع (بتصرف): طقوش محمد سهيل، المرجع السابق،ص.261.

الخريطة(03): الإمارات الصليبية في بلاد الشام سنة 1120م



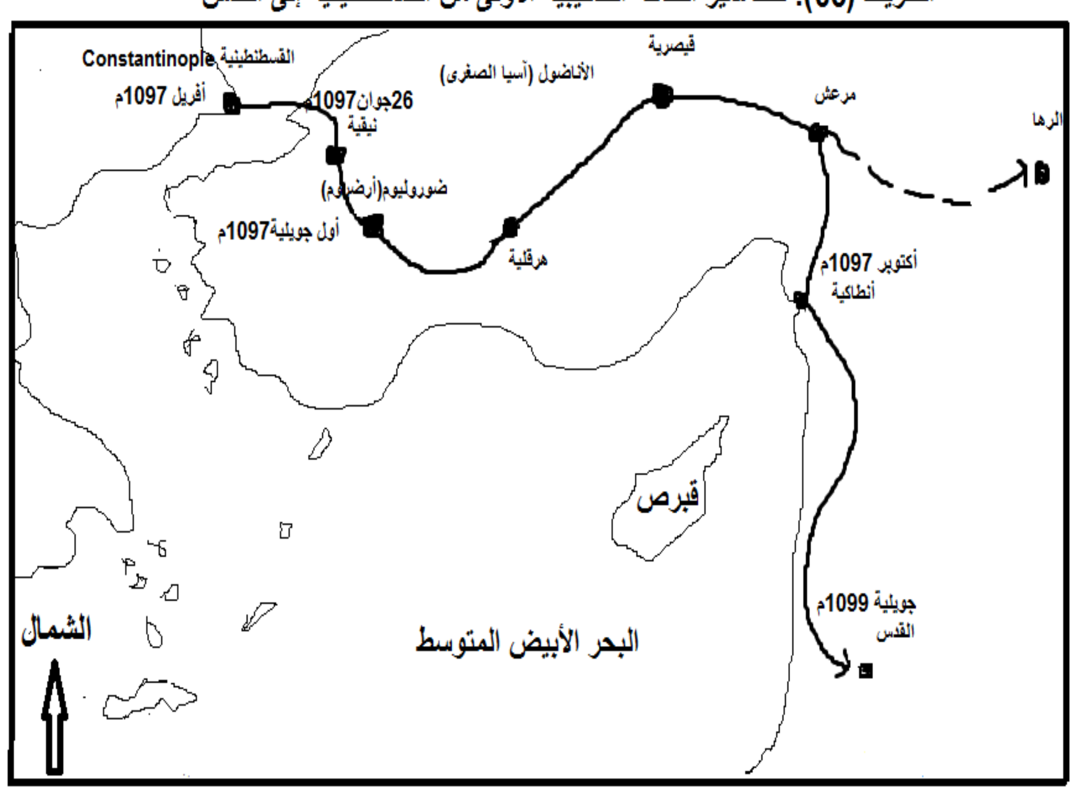
عن المرجع (بتصرف): Yuval Noah Harari, Special Operation In The Age Of Chivalry 1100-1550, The Boydell Press-Woodbridge,U.K.,2007, p.75.

الخريطة(04): رسم تخطيطي لمدينة أنطاكية عشية الحملة الصليبية الأولى



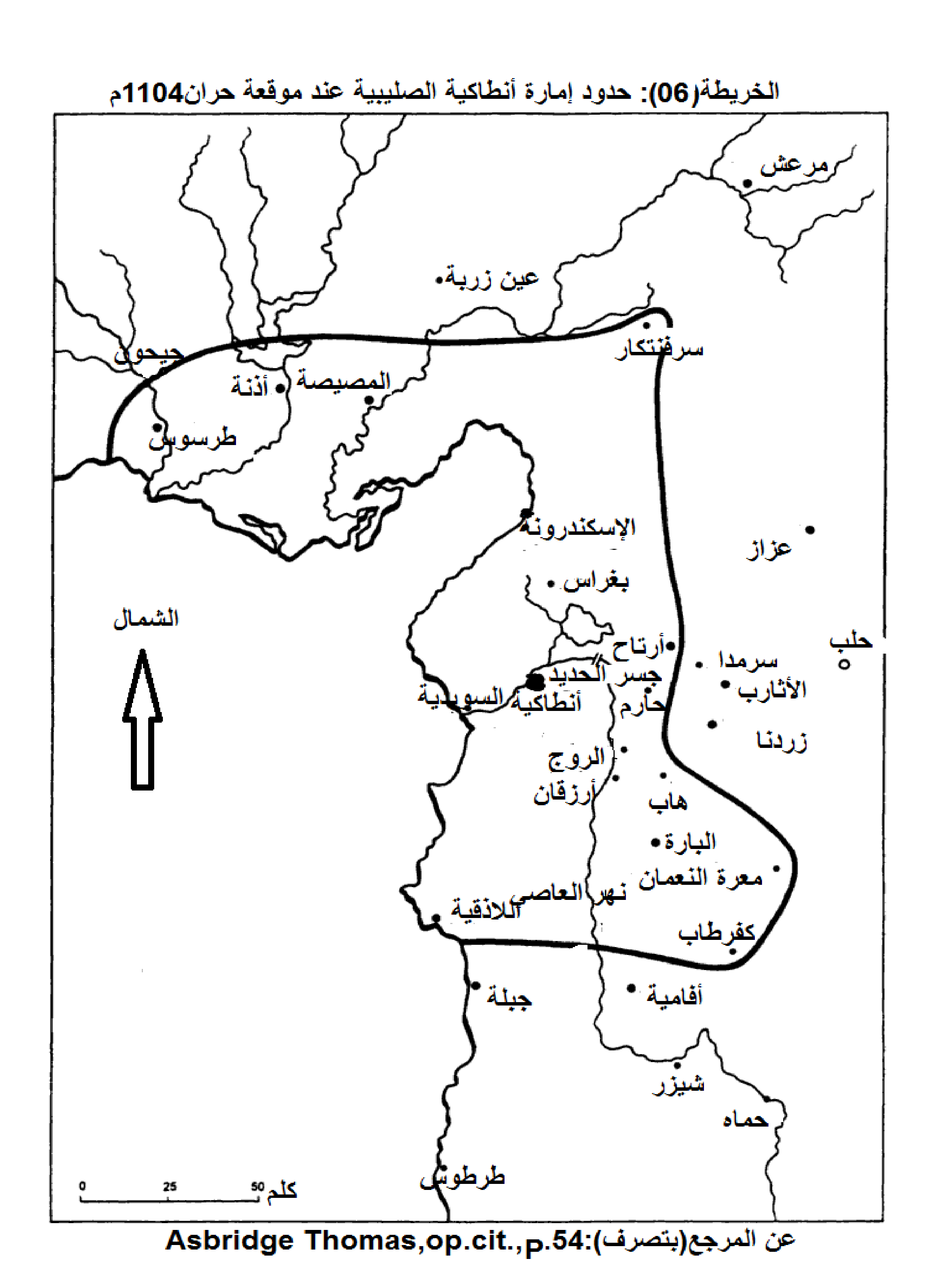
عن المرجع(بتصرف): Yuval Noah Harari, op.cit.,p.66.

الخريطة(05): خط سير الحملة الصليبية الأولى من القسطنطينية إلى القدس



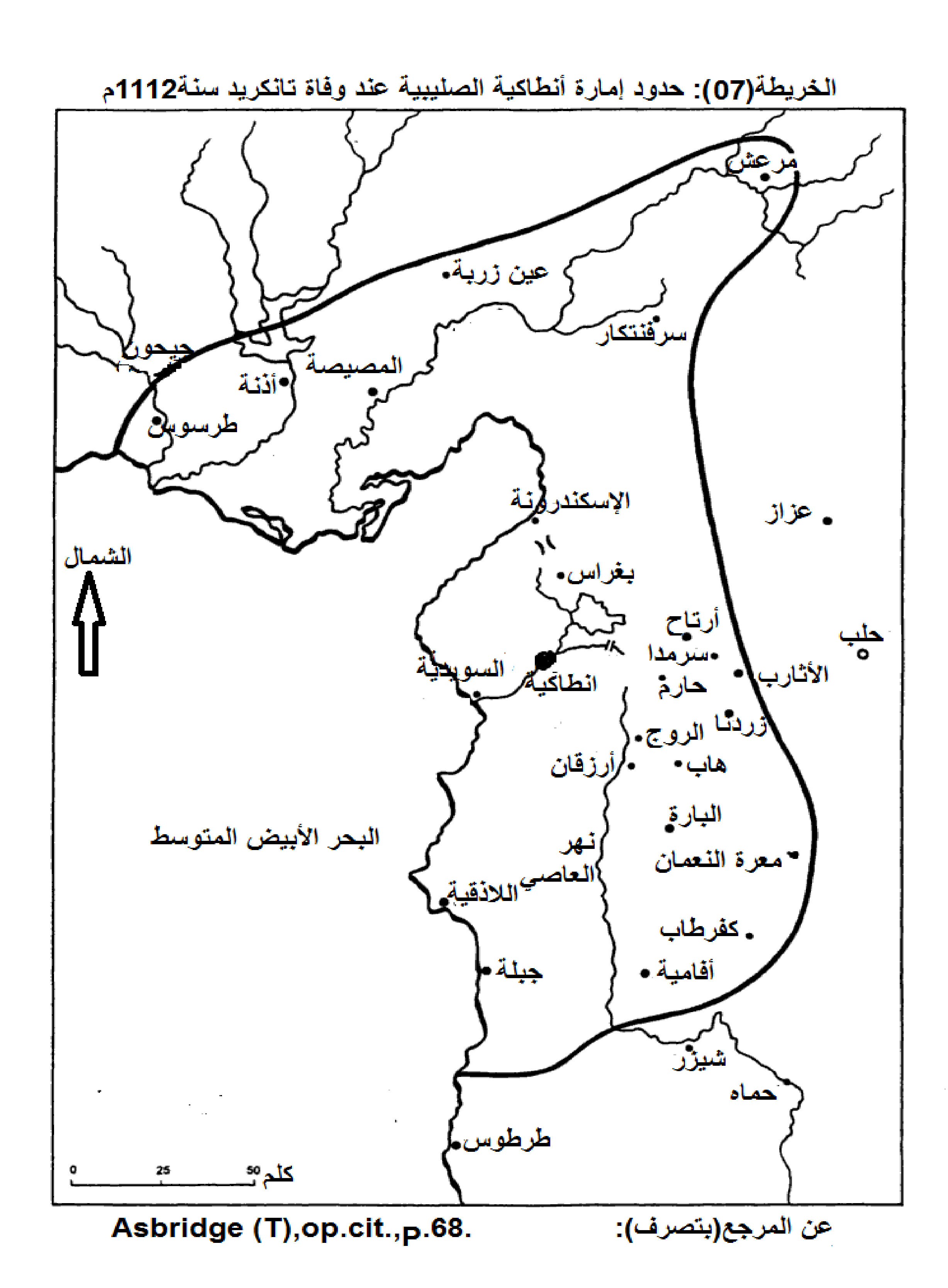
عن المرجع(بتصرف):.Setton Kenneth(M); op.cit.,p.346

الخريطة(06): حدود إمارة أنطاكية الصليبية عند موقعة حران1104م



عن المرجع(بتصرف):Asbridge Thomas,op.cit.,p.54

الخريطة(07): حدود إمارة أنطاكية الصليبية عند وفاة تانكريد سنة1112م



عن المرجع(بتصرف): Asbridge (T),op.cit.,p.68.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر العربية والمعربة :

ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم(ت.630هـ/1233م).
- الكامل في التاريخ، تحقيق، أبو الفداء عبد الله القاضي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى1987.

الأصفهاني: عماد الدين محمد البنداري.
- دولة آل سلجوق، شركة طبع الكتب العربية، مصر،1900.

أسامة بن منقذ: مؤيد الدولة أبي مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري(ت.583هـ/1188م).
- الاعتبار، تحرير فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ طبعة.

الأنطاكي: يحي بن سعيد بن يحي(ت.458هـ/1067م).
- تاريخ الأنطاكي المعروف بصِلَة تاريخ أوتيخاَ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان،1990.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت.779هـ/1377م).
- رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،المطبعة الأميرية بمصر، الطبعة الأولى، 1928.

البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر(ت.279هـ/892م).
- فتوح البلدان،ت.عبد الله أنيس الطباع،مؤسسة المعارف، بيروت،1987.

ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف(ت.874هـ/1470م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،الطبعة،بيروت الأولى 1992.

ابن جبير: أبو الحسين محمد بن احمد بن الكناني(ت.614هـ/1217م).
- الرحلة، دار صادر، بيروت، دون تاريخ طبعة.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت.597هـ/1201م)
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق،محمد عبد القادر عطا ومصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة الأولى 1992.

الحريري:احمد بن علي بن المغربي
- الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعيين من ديار المسلمين،ت.سهيل زكار،مكتبة الملاح،1981.

الحسيني : صدر الدين أبي الحسن علي بن أبي الفوارس ناصر
- أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح، محمد إقبال، لاهور، 1933.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد(ت.808هـ/1406م).
- تاريخ ابن خلدون المسمي العبر وديوان المبتدأ والخبر،دار الفكر،بيروت،2001.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد(ت.681هـ/1283م).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء اهل الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1994.

ريموند اجيل:

- تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس في الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، تأليف وإعداد وتحقيق سهيل زكار، ج.6، دمشق، 1995.

ابن العبري: غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الملطي(ت.685هـ/1286م).

- تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة، أنطوان صالحاني، دار الرائد اللبناني، لبنان، الطبعة الثانية، 1994.

ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد(ت.660هـ/1261م).

- زبدة الحلب في تاريخ حلب،الجزء الأول، تحقيق سهيل زكار، دار الكتاب العربي، دمشق،1997، والجزء الثاني،تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ،دمشق،1954.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ الطبعة.

العيني: بدر الدين محمود(ت.855هـ/1451م).

- عِقْد الجُمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية،2010.

الفارقي: أحمد بن يوسف بن علي.

- تاريخ الفارقي(الدولة المروانية)، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، وزارة الثقافة، القاهرة، 1959.

أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل(ت.732هـ/1231م).

- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، دون تاريخ الطبعة.

فوشيه الشارتري:

- تاريخ الرحلة إلى القدس، ت. زياد جميل العسلي العسلي، دار الشروق، عمان-الأردن،1990.

أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي(ت.665هـ/1267م).

- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية ولاصلاحية، تحقيق، محمد حلمي محمد أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة،الطبعة الثانية، 1998.

ابن الشحنة: أبو الفضل محمد بن الشحنة الحنبلي(ت.890هـ/1485م)

- الدر المنتخب في مملكة حلب،تحقيق محمد عبد الله الدرويش،دار الكتاب العربي،1984.

ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة(555هـ/1160م).

- ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين،بيروت،1908.

القلقشندي:أبو العباس احمد بن علي(ت.821هـ/1418م).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا،دار الكتب المصرية،القاهرة،1922.

ابن شداد: بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت.632هـ/1239م).
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994.

الشهرستاني: أبو الفتح محمد عبد الكريم(ت.548هـ/1154م).
- الملل والنحل، تعليق،احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الثانية،1992.

مجهول:
- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة، حسن حبشي، دار الفكر العربي، 1958.

مجهول:
- تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ إلى روثلان (1229-1261م)، ت. أسامة زكي زيد، دار المصطفى للطباعة، طنطا، مصر، الطبعة الثانية، 2001.

المقدسي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد(ت.390هـ/999م).
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،دار صادر،بيروت،1906.

المقريزي:تقي الدين احمد علي(ت.845هـ/1441م)
- اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، ت. محمد حلمي، المجلس الإسلامي الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة،1996.
السلوك لمعرفة دول الملوك، ت. محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت،1997.

المنصوري بيبرس (ت. 725هـ/1325م)
- مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة702هـ)، طباعة ونشروتوزيع الدار المصرية اللبنانية-القاهرة.

الهمذاني: رشيد الدين فضل الله(ت.716هـ/1316م).
- جامع التواريخ(الإيلخانيون)،ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، الجمهورية العربية المتحدة، دون تاريخ طبعة.

ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم(ت.697ه/1298م).
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،،الإدارة العامة للثقافة،القاهرة، د.ت.

وليم الصوري:
- الحروب الصليبية،ت.حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1991.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله(ت.622هـ/1225م).
- معجم البلدان ، دار صادر،بيروت،1977.

اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد(ت.726هـ/1326م).
- ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن،الهند، الطبعة الأولى 1954.

ب- <u>المراجع العربية والمعربة:</u>

احمد السيد الصاوي:
- مجاعات مصر الفاطمية، دار التضامن ، بيروت ،1988.

احمد الشامي:
- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية،القاهرة 1985 .

ادبيوري بيترو:
- قبرص والحروب الصليبية دار الملتقى للطباعة والنشر- بيروت، 1997.

اسحاق عبيد تاوضروس:
- روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس إلي سقوط مدينة قسطنطين ،دار المعارف بمصر،1970 .

اسمت غنيم :
- دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1991.

باركر أرنست:
- الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريني، ط.2، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط.

براور يوشع:
- عالم الصليبيين،ت.قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،1999.
- الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس اللاتينية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001.

بدوي عبد الرحمن:
- مذاهب الإسلاميين،دار العلم للملايين- بيروت،1997.

جوزيف نسيم يوسف:
- العدوان الصليبي على بلاد الشام ،دار الكتب الجامعية،الاسكندرية،1971
- الوحدة وحركات اليقظة العربية-ابان العدوان الصليبي-دار النهضة العربية،بيروت،1981.

جوناثان رايلي سميث :
- الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ، ت. محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، الطبعة الثانية، 1999.

حامد زيان غانم:
- الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ،دار الثقافة للنشر،1983 .

حسن عبد الوهاب حسين:
- تاريخ جماعة التيوتون في الأراضي المقدسة 1190-1291م، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1989.

حلاق حسان:
- العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى(الأندلس-صقلية-الشام)، دار النهضة العربية، بيروت، 2012.

حسنين محمد ربيع :
- دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية- القاهرة،1983.

حسين محمد عطية :
- إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون 1171-1268،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.
- تشريعات الصليبيين دراسات في قوانين انطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012.

الحويري محمد محمود:
- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر عصر الحروب الصليبية، دار المعارف-القاهرة،1979..

زبيدة عطا:
- بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، د.ط.

زكي النقاش:
- العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1958.

زينب عبد المجيد عبد القوي:
- إليانور دوقة أكوتين- 1122- 1204، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية-مصر، 2009 .

صفاء عثمان محمد:
- مملكة بيت المقدس في عهد بولدوين الثاني، دار العالم العربي،2008.

طقوش محمد سهيل :
- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس،بيروت،2009.

الصلابي محمد على:
- الدولة الزنكية،دار المعرفة الجامعية ،بيروت ،2007.

الصياد عبد المعطي:
- المغول في التاريخ،دار النهضة العربية،بيروت،1980.

عاشورسعيد عبد الفتاح:
- الحركة الصليبية(جزءان)،ج.1، الطبعة الثانية ،1971، مكتبة الأنجلو المصرية ، وج.2، الطبعة الأولى، 1963، مكتبة الأنجلو المصرية.
- أضواء جديدة على الحروب الصليبية، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1964.
- بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى،جامعة بيروت العربية،1977.

عبد العزيز سالم:
- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر،الإسكندرية، د.ط.

عبد العظيم محمد :
- السلاجقة:تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،2001.

العروسي المطوي:
- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب الإسلامي،ط.2، 1982.

عصام الدين عبد الرؤوف:
- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة،د.ط.،
- الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

علي بن صالح المحيميد :
- الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول،مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1994.

علية عبد السميع الجنزوري:
- إمارة الرها الصليبية،الهيئة العامة المصرية للكتاب،2001.

علي السيد علي:
- العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1996.

المباركفوري صفي الرحمن:
- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير،دار السلام للنشر والتوزيع-الرياض،ط.2، 2000.

قاسم عبد القاسم:
- الحملة الصليبية نصوص ووثائق، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،2001.
- ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،1993.
- الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية-دراسة عن الحملة الاولى1095-1099، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،1999.

مایر(اتش.إ):
- الحملات الصليبية ،ترجمة محمد فتحي الشاعر ،دار الأمين ،القاهرة،ج.1، 1999.

محمد بيومي مهران :
- بلاد الشام(مصر والشرق الادنى القديم)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1990.

محمد عبد العظيم :
- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،2001.

محمد مؤنس عوض :
- الحروب الصليبية (العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12 و13) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ،1999-2000.
- السياسة الداخلية والخارجية للدولة النورية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،1998 .

محمود سعيد عمران :
- القادة الصليبيون الأسرى في أيدي المسلمين1100-1137، دار النهضة العربية ،بيروت 1986.
- تاريخ الحروب الصليبية،1095-1291،دار المعرفة الجامعية،2000. .

مسفر بن عريج :
- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية ،دار المطبوعات الحديثة جدة ،1986.

نبيلة مقامي إبراهيم :
- فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام القرنين12و13، مطبعة جامعة القاهرة ،1994.

نهى فتحي الجوهري:
- إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي،دار العالم العربي،2088.

هايد وليم :
- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ترجمة اخمد محمد رضا الهيئة العامة المصرية للكتاب الجزء الأول 1985.

يحى الشامي:
- موسوعة المدن العربية و الإسلامية ،دار الفكر العربي ،بيروت، 1993.

ج– المصادر الأجنبية:

Albert D'Aix:

- Histoire des Faits et Gestes dan les Régions d'outre-mer, traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs AL' histoire de France, depuis la fondation de la monarchie Française Jusqu'au 13e siècle.,T.,I et II, Imp. de A. Belin, Paris,1824.

Anna Comnena:

- Alexiad, Translated by Elizabeth Dawes, Byzantine Series, Parentheses Publication,Cambridge, Ontarion, 2000.

Ernoul:

- Chronique D'Ernoul et Bernard de Trésorier, Traduction, Le Comte,De Mas-Latrie, Imp. De A. Gouverneur, Paris,1871.

Foulcher de Chartres:

- Histoire des croisades traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs A L' histoire de France, depuis la fondation de la monarchie Française Jusqu'au 13e siècle , Imp. de A. Belin, Paris, 1825.

Guibert de Nogent:

- Histoire des Croisades, traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs AL' histoire de France, depuis la fondation de la monarchie Française Jusqu'au 13e siècle , Imp. de A. Belin, Paris,1825.

Guillaume de Tyr:

Histoire des croisades traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs AL' histoire de France, depuis la fondation de la monarchie Française Jusqu'au 13e siècle , Imp. de A. Belin, T.,I et II, Paris,1824.

Grégoire Le Prêtre:

- Continuation de Chronique de Matthieu D'Edesse (1136-1162),Traduction, Edouad Delaurier, Imp. A. Carro, Paris,1958.

Jaques de Vitry:

- Histoire de Croisades, traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs AL' histoire de France, depuis la fondation de la monarchie Française Jusqu'au 13e siècle, Imp. De Lebel, Paris,1825.

Joinville John:
- Histoire de Saint Louis, Traduction, Natalis de Wailly ,Hachette, Paris,1888.

Matthieu D'edesse:
- Chronique Matthieu D'Edesse(936-1162), Traduction, Edouad Delaurier, Meaux.- Imp. A. Carro, Paris,1858.

Orderic Vital:
- Histoire de Normandie, traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs AL' histoire de France, depuis la fondation de la monarchie Française Jusqu'au 13e siècle, T.IV et V, Imp. De A. Belin, Paris,1827.

Raimond D'Agiles:
- Histoire des Franc qui ont pris Jérusalem ,traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs A L'histoire de France, depuis la fondation de la monarchie Française Jusqu'au 13e siècle, Imp.de A. Belin, Paris,1824.

Raoul De Caen:
- Histoir de Tancred, traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs AL' histoire de France, Imp. De Lebel, Paris,1825.

Robert Le Moine:
- Histoire de La Première Croisade, traduction de Guizot(M),dans collection des mémoires relatifs AL' histoire de France, depuis la fondation de la monarchie Française Jusqu'au 13e siècle, Imp. De Lebel, Paris,1825.

Sempad Le Connétable:
- Assises D'Antioche, Traduction en Français, Alishan Léon, LA Société Mekhithariste de Saint-Lazare, Imp. Arménienne Médaillée, Venise,1876.

Suger:
- Vie de Louis Le Gros, Traduction de Auguste Molinier, Ed., Alphonse Picard, Librairie des Archives Nationales et de la Société de L'Ecole de Chartes, Paris,1887.

د– المراجع الأجنبية:

Adrian Boas(J):

- Jerusalem In The Time of The Crusades, Routledge, London,2005.

Asbridge Thomas:

- The Creation of the Principality of Antioch 1098-1130, The Boydell Press, Woodbridge,U.K.,2000.

Cahen Claude:

- La Syrie du Nord A L'Époque des Croisades et La Principauté Franque D'Antioche, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1940.

Chalandon Ferdinand:

- Essai Sur le Règne D'Alexis I(1081-1118), Société de L'Ecole des Charters, Paris,1900.

Conder Claude Reignier:

- The Latin Kingdom of Jerusalem 1099-1291, Hanover-Square, London, 1897.

De La Ville Le Roulx:

- Les Hospitaliers en Terre Saint et A Chypre 1100-1310,Paris.

Elisabeth Van Houts:

- The Normans In Europe, Manchester University Press,U.K.,2000.

Gatteyrias(J.A):

- L'Arménie Et Les Arméniens, Librairie Léopold Cerf, Paris,1882.

Grousset René :

- L'Epopeé des Croisades, Librairie Académique Perrin, Paris, 1995.

Jamieson Alan(G):

- Faith And Sward, Reaktion Books, London, U.K.,2006.

kennedy Huge:

- Crusader Castels, Cambridge, University Press, U.K., 1994.

Kostick Conor:

- The Siege of Jerusalem, Crusade and Conquest in 1099, London, 2009.
- The Social Structure of The First Crusade,Brill,Leiden.Boston,2008.

LAmmens(S.J):

- L a Syrie Précis Historique, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1921.

Leclerc Lucien:

- Histoire De LA Médecine Arabe, Libraire des Sociétés Asiatiques de Paris, Paris,1876,T.,II.

LA Monte John:

- Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem 1100-1291, Combridge,Massachusets,U.S.A.,1932.

LAVoix Henri:

- Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque National(Syrie et Egypte),Imp., National, Paris,1896.
- Monnaies A Légendes Arabes Frappées en Syrie Par Les Croisés, Libraires de La Bibliothèques de L'École National des Beaux-arts, Paris,1877.

Mackay(A) and Ditchburn(D):

- Atlas of Medieval Europe, Routledge, London,1997.

Michael Pain:

- The Crusades,Travelgar-Square,U.S.A.,2005.

Michaud François Joseph:

- Histoire de La Première Croisade, New York, Mac-Milan, Company , 1897.

Pirenne Henri:

- Medieval Cities Their Origines and the Revival of Trade, Princeton University Press,Princeton,U.S.A.,4ed.,1946.
- Economic and Social History of Medieval Europe, New York,U.S.A.,1937.

Purton Peter:

- A History of the Early Medieval Siege 450-1200, the Boydell Press, Woodbridge,U.K.,2009.

Rey Emmanuel Guillaume:

- Les Colonies Franques de Syrie a 12-13 Siècles, Librairie des Archives National, Paris, 1883.

Richard Alfred:

- Histoire des Contes de Poitou 778-1204,Paris,1903.

Runciman Steven:

- A History of Crusades, Cambridge University Press, U.S.A,1995.
- The Eastern Schism, Oxford University Press, New York,1955.

Schlumberger Gustave:

- Renaud de Chatillon Prince D'Antioche, Librairie Plon, Paris, 1898.

Setton Kenneth(M):

- A History of Crusades, The University of Madison Press, Mil Waukee, 1969.

Sharan Newman:

- The Real History Behind The Templars, Berkley Books, New York, U.S.A., 2007.

Stevenson(M.A):

- The Crusades in The East, Cambridge University Press, 1907.

Vasiliev:

- A History of the Byzantin Empire 324-1453, the University of Wisconsin Press, Madison, London,1952.

William Harris(W):

- The Levant A Factured Mosaic, Priceton,U.S.A.,2Ed.2005.

Yewdal(R.B):

- Bohemond I, Prince of Antioch, A Dissertation Presented to the Faculty of Princeton University,U.S.A.,1917.

Yuval Noah Harari:

-Special Operation In The Age of Chivalry 1100-1550, The Boydell Press-Woodbridge, U.K., 2007.

ه- **الرسائل والأطروحات الجامعية:**

بوعمامة فاطمة:

- العلاقات الخارجية لمملكة أرمينيا الصغرى منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حتى سنة1375م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى(غير منشورة)، إشراف، د.إبراهيم فخار، جامعة الجزائر معهد التاريخ، السنة الجامعية(1993-1994/1414-1415هـ).

تومي رشيد:

- العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب ايطاليا وصقلية ما بين1017-1154م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى(غيرمنشورة)، إشراف،د.موسى لقبال، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، السنة الجامعية،1987.

عبد العزير محمود عبد الدايم:

- إمارة طرابلس الصليبية في القرن12م، رسالة لنيل شهادة الماجستير(غير منشورة)، إشراف، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، جامعة ام القرى، مكة المكرمة،1971.

الغامدي علي محمد:

- بلاد الشام قبل الغزو الصليبي 1070-1098م، رسالة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ الإسلامي(غير منشورة)، إشراف،د. حسنين محمد ربيع، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1982/1981م.

سرور علي عبد المنعم:

- السياسة الداخلية والخارجية للملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي1131-1143م/526هـ-538هـ، رسالة (غير منشورة) لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف،د. علية عبد السميع الجنزوري،جامعة عين شمس، القاهرة،2000.

و- **الموسوعات والدوريات:**

- حوليات كلية الآداب (ياغي سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى 477هـ-491هـ/1085م-1098م)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ح.18، 1998.

- An Ecyclopedia of Crusades,Oxford,England,2006.
- An Encyclopedia of Key Figures in Medieval Europe, Routledge, London,2006.
- LA Grande Encyclopédie, Société des Savants et gens de Lettre, Paris

ن- المقالات:

باللغة العربية:

إبراهيم خليل:

- كربوغا صاحب الموصل ودوره في مقاومة الصليبيين، المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ع.5، د.ط.، ص.ص.95-111.

الألوسي محي الدين:

- حصار أنطاكية 1097م/491هـ، مجلة آداب المستنصرية، كلية الآداب، جامعة بغداد،ع.13، 1986.

محمود سعيد عمران:

- معركة حارم(التحالف البيزنطي الصليبي الأرميني ضد نورالدين زنكي)1164م/559هـ، مجلة المؤرخ العربي، ع.8(1978)، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد.

فوري الآن:

- النظم الرهبانية العسكرية (الأصول والتأسيس) 1120م-1512م في رايلي سميث، أكسفورد للحروب الصليبية، ت.قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى،2007.

فيليبس جوناثان:

- الشرق اللاتيني 1098م-1291م في رايلي سميث، أكسفورد للحروب الصليبية، ت.قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى،2007.

باللغة الأجنبية :

Asbridge Thomas :

- The Crusader Community at Antioch: The Impact of Interaction With Byzantium and Islam, Transaction of The Royal Historical Society, U. K., Sixth Series,Vol.,9,1999.

Edgington Susan:

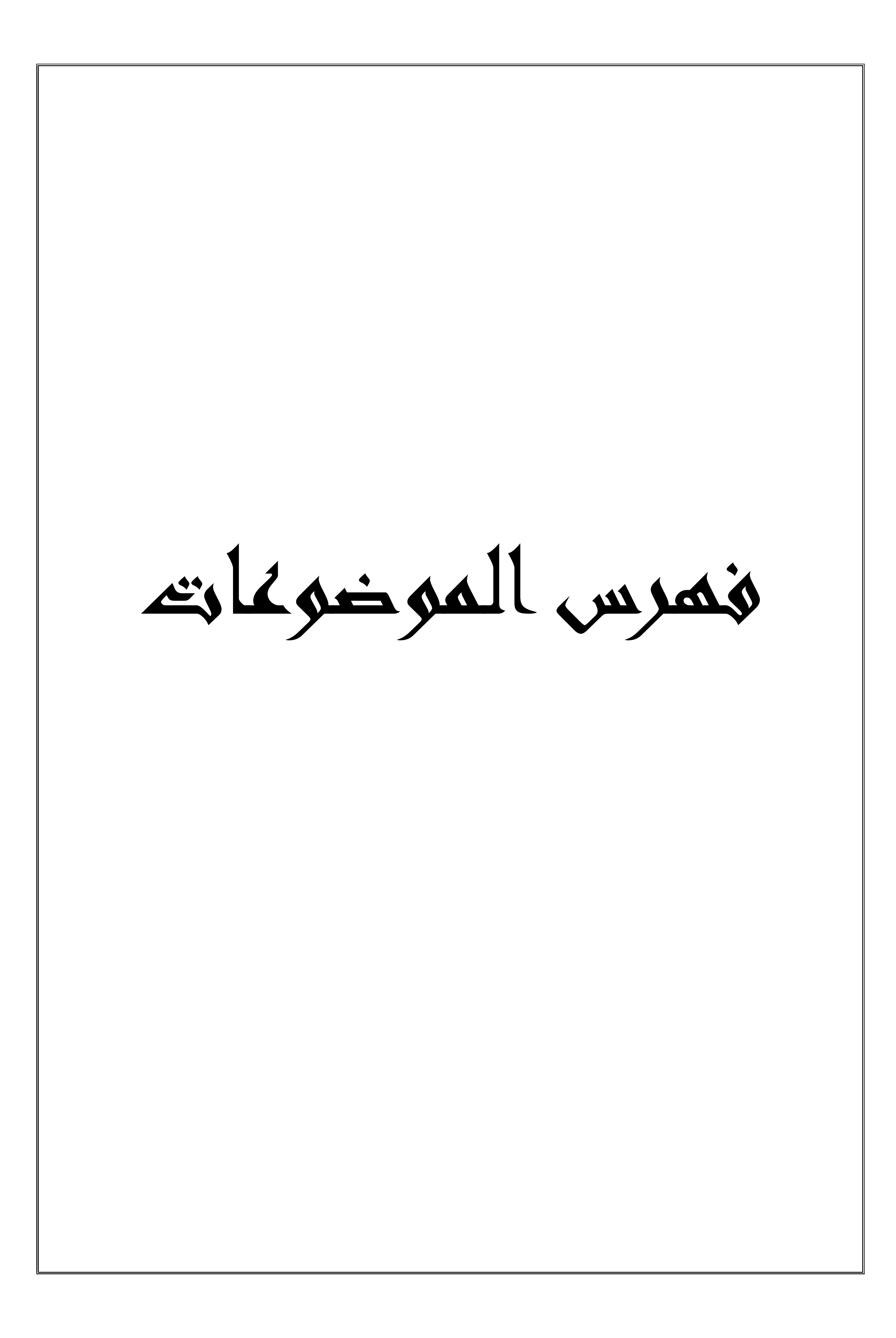
- The Order of Hospital In An Encyclopedia of Crusades, Oxford, England, Vol., 2, 2006.

Krijnie Ciggaar(N) :

- Adaptation to oriental Life by Rulers In And Around Antioch In Krijnie Ciggaar; Metcalf(M), East And West In The Medieval Eastern Mediterranean, Peeters Publishers and Depatment of Oriental Studies, Louvain, Belgium, Vol., I.2006.

Malcolm Barber :

- The Order of Temple In An Encyclopedia of The Crusades, Oxford, England, Vol., 4. 2006.



فهرس الموضوعات

الإهـــــداء

المختصرات

مقـــــدمة 6-13

الفصـــل الأول: تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية

I-الأوضاع السياسية في بلاد الشام قبل الحملة الصليبية الأولى.................. 17-30

1 – الصراع العباسي الفاطمي على بلاد الشام و دخول السلاجقة بغداد.................. 17-18

2 – التوسع السلجوقي في بلاد الشام.. 18-23

3 –الإمارات العربية ببلاد الشام وصراعها قبل الغزو الصليبي........................... 23-26

4 – صراع الأمراء والقادة السلاجقة في بلاد الشام...................................... 26-28

5 – تراجع وانهيار النفوذ الفاطمي ببلاد الشام... 28

6– الطوائف الدينية والعرقية في بلاد الشام... 29-30

II– الحملة الصليبية الأولى و قيام إمارة أنطاكية الصليبية 30-78

1– الأحوال السياسية للمدينة.. 30-31

2– الموقع الاستراتيجي لمدينة أنطاكية.. 31-32

3– المكانة الاقتصادية للمدينة.. 33

4– المكانة الدينية للمدينة... 33

5– الإعداد للحملة الصليبية في الغرب اللاتيني.. 34-36

6– وصول الصليبيين إلى القسطنطينية وزحفهم باتجاه الشام............................... 36-38

7– قيام إمارة الرها الصليبية... 38-39

8– بداية حصار مدينة أنطاكية ومقاومة ياغي سيان.. 40

9– رد الفعل الإسلامي ببلاد الشام 40-41

10– معاناة الجيوش الصليبية ومحاولة بوهمند استغلالها................................... 41-43

11– سقوط مدينة أنطاكية 43-45

12– وصول الجيش الإسلامي بقيادة كربوغا أتابك الموصل وحصاره المدينة.................. 46-48

13– خسارة الجيش الإسلامي وتأكيد سقوط أنطاكية.. 48-49

14– التنافس بين بوهمند والكونت ريموند حول ملكية المدينة............................... 49-51

15- توسع الصليبيين في نواحي أنطاكية..54-51
16- انفراد بوهمند بحكم المدينة. ....55 -54
17- زحف الصليبيين باتجاه بيت المقدس والاستيلاء عليها..............................56-55
18- رحلة بوهمند إلى بيت المقدس واكتسابه شرعية الإمارة..........................57-56
19- تكوين الإمارة (توسيع حدودها) 68-57
20- نظام الحكم(الحكومة المركزية في أنطاكية)..71-68
أ- سلطة الأمير 71-68
ب- الضباط...71
21- النظم القضائية..76-71
أ- المحكمة العليا(محكمة البارونات)...72-71
ب- محكمة البورجوازية..74-72
ج- محاكم الجاليات الإيطالية...75-74
د- محاكم الكنيسة..76-75
22- العائلات النبيلة والإقطاع 78-76

الفصـــــل الثاني:علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقُوى المسيحية والمغولية

I- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى المسيحية في المشرق...............................132-80

1- علاقة إمارة أنطاكية بمملكة بيت المقدس الصليبية 96-82
2- علاقة إمارة أنطاكية بإمارة الرها الصليبية..102-96
3- علاقة إمارة أنطاكية بإمارة طرابلس الصليبية..109-103
4- علاقة إمارة أنطاكية بمملكة أرمينيا الصغرى...114-109
5- علاقة إمارة أنطاكية بفرق الرهبان العسكرية 118-114
6- علاقة إمارة أنطاكية بالإمبراطورية البيزنطية 129-118
7- علاقة إمارة أنطاكية بمملكة قبرص 130-129

8- علاقة إمارة أنطاكية بالمغول 132-130

II- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى المسيحية في الغرب اللاتيني.......................... 147-132

1- علاقة إمارة أنطاكية بالملوك والأباطرة والأمراء 140-132

2- علاقة إمارة أنطاكية بالبابوية 144-140

3- علاقة إمارة أنطاكية بالمدن التجارية الإيطالية 147-144

الفصــــل الثالث: علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالقوى الإسلامية في المشرق

1- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة بني دانشمند السلجوقية في الأناضول......................... 151-149

2- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة حلب... 162-151

3- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بإمارة شيزر.. 164-162

4- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالزنكيين .... 170 -164

5- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالأيوبيين 182-170

6- علاقة إمارة أنطاكية الصليبية بالمماليك 184-182

7- تفاعل الإمارة مع المحيط الإسلامي... 192-184

8- سقوط إمارة أنطاكية الصليبية... 196 -192

خاتمة 200-197

الملاحق.. 217-201

الخرائط.. 225-218

قائمة المصادر والمراجع.. 241-226

فهرس الموضوعات.. 245-242